د. الهادي المبروك الدالي

التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء



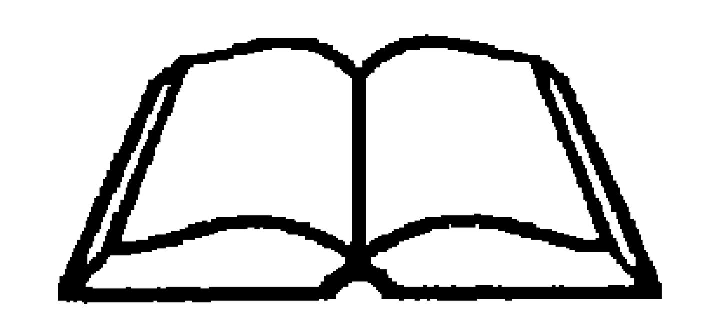
من نهاية «القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر»

د . الهادي المبروك الدالي

التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء

من نهاية (القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر)

الطبعة الأولى 2000 ف
الناشر :



❀❀ الإهـــداء ❀❀

الى كل من احب العلم وسهل طريق
اهدى هذا العمل

❋❋❋❋❋❋

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم تكن علاقتي بالمجتمعات والقبائل الصحراوية في منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء وليدة اليوم ، بل هى علاقة تجاوزت جل العلاقات ، حتى أصبحت فيضاً ، دافقاً وعشقاً متجدداً ، يوماً بعد يوم ، عشقاً لأنهارها ، ووديانها وكثبان رملها وسلاسل جبالها ، وغاباتها ، ومدنها ، وقراها ، وأثارها .

هذه الصحراء الشاسعة الرائعة أحياناً ، والمخيفة أحياناً أخرى ، شق أديمها أباؤنا وأجدادنا ، بأرجلهم الحافية ، وعلى رواحلهم عبر قوافلهم الحضارية ، في حركة دؤوبة ، نتج عنها تأثر وتأثير ، مما قوى اللحمة الاجتماعية بين أبناء المنطقة ، بالإندماج الذي تمثل في الزواج بين الوافدين والسكان الأصليين ، الذي نتج عنه تكوين بنية اجتماعية جديدة في المنطقة ، من سماتها نشر الإسلام واللغة العربية وتشييد المنارات العلمية التي أدت دورها الحضاري حيث نشرت علوم تلك العصر من لغة وطب وفلك ومنطق وحساب وعلم الأدوية .

تنقلت بين نجوعها وبواديها ، وفي خيامهم ، وطالباً للمعرفة ، وجامعاً لمخطوطاتها ولرواياتها الشفوية ، وبطولات شعبها ، ولم يبخل على أبناء هذه المنطقة بتراثهم المكتوب ، والمروي ، بل زودوني من خزائنهم العامة والخاصة الغنية بنفائس المؤلفات .

وبعد أن شعرت بأن منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء ، لم تأخذ نصيبها

من الاهتمام من قبل الباحثين ، الذين تسابقوا إلى **تسطير** تاريخ أوروبا ، وعلاقاتهم معها ، نسوا أو تناسوا تاريخهم الأفريقي المشرق ، الذي شيد فيه أباؤهم وأجدادهم حضارة ، نهلت من ينابيعها أوربا ، عندما كانت ترزخ في غياهب وبراثن الظلام ، والجهل ، والتخلف في العصور الوسطى .

حاولت أن أخرج بهذا التاريخ والتراث الرائع الثمين ، الذي هو حبيس وجداني ومكتبتي عبر تجربتي المتواضعة في هذا المجال ، إلى الرحاب الأوسع ، إلى القراء والمثقفين من أبناء هذه القارة العظيمة ، ليفهموا منه ويكون مصدراً لنقاشهم ، وإثراء للمكتبة الإفريقية .

فترجمت ذلك التراكم الحضاري إلى جملة من الدراسات منها : ما هو منشور ومنها ما هو قيد النشر ، ومنها ما هو قيد الإنجاز .

ومع قناعتي التامة بأن دراسة التاريخ الاجتماعي ، لأي أمة من الأمم هو خير معبر عن تاريخها وهو أصدق ما يدون به تاريخ الشعوب ، ومن هذا المنطلق قمت بهذه الدراسة ، التي تحمل عنوان : التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، والتي تناولت فيها البنية الاجتماعية للمنطقة ، والعمران ، والفكر ، حيث قسمتها إلى : مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

المقدمة : تناولت فيها عرضاً لعلاقتي بالمجتمعات الصحراوية ، وعرضاً مختصرا للدارسة .

الفصل الأول : تناولت فيه البنية الاجتماعية ، بدأً بقبائلها ، ونظام الطبقات وتقسيماتها ، وتركيبتها السكانية ، ثم تعرضت إلى التقاليد الاجتماعية ، بما فيها البيت السوداني ، طريقة بنائه ، وترتيباته ، وطعامهم ، وحلوياتهم ، والأدوات المستعملة للطهي .

ثم تعرضت للزي ، واختلافاته من منطقة لأخرى ، وعرجت على طريقه

قص الشعر ، ثم تطرقت إلى الطرب والتسلية ، والمناسبات الاجتماعية ، من عادات الزواج والختان ونماذج من عقود الزواج في تلك الفترة ، ومراسيم العرس ، ثم تعرضت إلى الديانات المنتشرة في المنطقة ، وسيادة الدين الاسلامي ، وماترتب على انتشاره من إحياء الإحتفالات الدينية ، بقدوم شهر رمضان وعيد الأضحى والاحتفال بمولد الرسول ﴿ﷺ﴾ .

ثم تناولت الأمراض المتوطنة التي تصيب الإنسان ، والحيوان على السواء وكيفية علاجها .

__أما الفصل الثاني :__ فقد تناولت فيه العمران ، وقسمته إلى قسمين :

1- الحواضر / وتطرقت فيها إلى أربعة عشر حاضرة ، أبتداءً من مدينة تتبكت ، وإنتهاء بمدينة أهير .

2- القرى / التي وصل عددها إلى أربع وعشرين قرية ، وكان أولها ناشز ، وآخرها قرية ماسة ، حيث تناولت وضعية القرى ، وتركيبتها السكانية ، ووضعها السياسي والاقتصادي .

ففي ظل الحواضر تحدثت فيها عن الموقع والإسم وحركتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسكانية .

__الفصل الثالث :__ الحركة الفكرية (في منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء) بين التعليم والإبداع .

قدمت فيه دراسة لمنارات العلم والعبادة وأبرزها جامعة سنكري ، حيث تناولت تاريخ تأسيسها ودورها العلمي ، تعرضت إلى الجامع الكبير ، كمنارة من منارات العبادة ، وتناولت مراحل التعليم ، ومناهج الدراسة ، ونظام منح الإجازات ، وطريقة صياغتها ، ثم العلوم التي كانت تدرس ، وتطور الإبداع الفكري السوداني من تآليف وتعليقات ، ثم تعرضت إلى أعلام المنطقة ، ودورهم في الحركة الفكرية ، حيث تناولت حياتهم ،

ومؤلفاتهم ، ثم تعرضت إلى أدب الرحلات في المنطقة وأخذت رحلة أبوسالم التنبكتي كنموذج من نماذج أدب الرحلات ، ثم استعرضت أدب الرسائل .

وأخيراً إسهام عدد من علماء المنطقة ، في رسم سياسة الدولة ، وكيف ساهم العلماء في إرساء سياسة الحكام في المنطقة .

وأما الخاتمة : فاستعرضت فيها خلاصة نتائج دراستي الميدانية لهذة المنطقة

د . الهادي المبروك الدالي

طرابلس في1 / 9 / 2000 ف

الفصل الأول

البنية الاجتماعية في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء

- قبائلها
- نظام الطبقات
- التقاليد الاجتماعية
- البيت السوداني طريقة بنائه وتأثيثه
- طعام وحلويات افريقيا فيما وراء الصحراء
- طريقة طهي طعامهم
- الزي
- اللباس
- طريقة قص الشعر
- الطرب والتسلية
- الغناء
- المناسبات الاجتماعية
- عادات الزواج في المجتمع السوداني
- المهر
- مراسيم العرس
- الاحتفال بالمولود وختانه

الديانات والاحتفالات بالمناسبات الدينية

- أنواع الديانات
- الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك
- الاحتفال بعيد الاضحى

- الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم
- الأمراض المتوطنة في المجتمع السوداني
- أمراض تصيب الإنسان
- أمراض تصيب الحيوان
- الطب الشعبي
- طريقة تجهيز الميت ودفنه

الوضع الاجتماعي
لمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء

التركيبة الاجتماعية

أ- نظام الطبقات :

استمد المجتمع السوداني نظام الطبقات في الفترة التي نتحدث عنها من اسلافه الذين كانوا يحكمون منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء ابتداء من امبراطورية غانا الوثنية ومرورا بمملكة مالي الاسلامية ، وهو لذلك سار على نفس النهج السابق مع تغير طفيف لانه من الصعب على اي مجتمع ن يتغير في فترة قصيرة ، فالبنية الاجتماعية صعبة التغير الا على امد طويل ، وبالرغم من ظهور نظام الطبقات في هذا المجتمع الا انه ما يميز هذه الظاهرة انها لم تكن منغلقة بل كان مرنة بحيث يستطيع الفرد ان يرقى من طبقة الى اخرى ، فمثلا فعل فلن كان عبدا لاسكيا الحاج محمد ثم اصبح فيما بعد مستشارا له وامينا على سره (1) .

كذلك قصة الحاج العبد الكنتوي مع اسكيا داوود ، حينما استقبل اسكيا داوود موكب الحج خارج المدينة وتقدم الكنتوي لمصافحة اسكيا الذي قبل يده ، وأراد حراسه منع الكنتوي من مصافحة اسكيا وطلبوا منه قطع يده عقابا على ما اقترفه من مصافحه السلطان الا ان اسكيا صافحه من جديد واعطاه مائة

---

(1) محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، باريس :نشر هوداس وبنوه 1964م ص60 وعبدالقادرزبادية ،مملكة سنغاى فى عهد الاسقيين ،الجزائر:الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1977 ص111.

(2) محمود كعت ،المصدر السابق ص112-113

الف واعتق خمسين رجلا من قبيلة ابيه ، ومثلهم من قبيلة امه واعفاهم من وظائف السلطنة(2) .

وقصة العجوز التي جاءت الى اسكيا داوود وطلبت منه ان لا يفرق بين اولادها واحفادها واسباطها البالغ عددهم سبعة وعشرين اذا باعهم او وهبهم ان يكونوا لشخص واحد حتى لا يتفرقوا فأجابها بانه اعتقهم شكرا لله . فاصبحوا احرارا (1) وكانت مكانة العبد الاجتماعية ترقى بارتفاع درجة مالكه ،

وما يؤكد ذلك ان الاسكيا محمد بن داوود امر باعفاء عبيد الشريف الحسني من جميع وظائف السلطنة الوضعية احتراما وتقديرا لمقام سيدهم الشريف (2)

وتبعا لذلك كان عبيد الامراء والولاة وخدامهم ،يمارسون شتى انواع التسلط والاعتداء ، ما لا يستطيع احد من العبيد والخدام الاتيان به .

وكان المجتمع السوداني مقسما الى ثلاث طبقات اجتماعية وهذه الطبقات بدورها مقسمة حيث ان الطبقة الواحدة تتكون من عدة فئات والطبقات هي :

1ـ الطبقة الاولى : (طبقة العائلة الارستقراطية) :

تتألف من افراد الاسرة الحاكمة والحاشية والنبلاء ، وقواد الجيش وولاة الاقاليم وكانت اقل الفئات عددا لكنها اكثر سلطة ومالاً ، لان افرادها يشغلون اهم المناصب في الدولة بل توارثوا حكم الاقاليم فقد عين اسكيا الحاج محمد الاول عند ذهابه للحج عام 902/1496 م اخاه عمر كمزاغ نائبا عنه كما عين عددا من ابنائه حكاما علي المقاطعات .

---

(1) محمود كعت ، ص103،زبادية مملكة سنغاي ص11 نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام مراجعة عمر الحكم ، كوناكرى 1969ص101 De schamps,H:jAtique pre.coionieala(paris)p:49

(2)محمود كعت المصدر السابق ص123،زبادية سنغاى المرجع السابق ص112

عاشت هذه الطبقة حياة مترفة لا تجاريها في ذلك اي طبقة اخرى فقد اورد كعت ان الاسكيا داوود كان يجلس في يوم الجمعة على عاداتهم وعبيده الخصيان واقفون بين يديه ، وكانوا حوالي سبعمائة وكل واحد منهم يرتدي لباسا من حرير (1) .

كما امتازت هذه الطبقة عن بقية الطبقات بأن قوانين الدولة لا تطبق على افرادها لان اجهزة التنفيذ وعلى رأسها الاسكيا هي التي تقف حاجزا دون تنفيذ الاحكام الصادرة ضدهم اذا ما تجاوز هؤلاء حدود حرياتهم وسط افراد المجتمع فرسالة السيوطي الى ملوك التكرور تبرز هذا الامر بوضوح وهي : «وقد بلغني من احدكم انه يذكر له الحكم الشرعي في واقعه المحكوم عليه ويضمه اليه ويحصنه ويحول بينه وبين صاحب الحق ،ويقول : هذا دخل في ملكي او جعل في سلطاني ويرد ما حكم به الشارع اعتزازا بالاماني افلا يخشى احدكم من مالك الملوك ان يحل به العذاب الاكبر وينزل عليه سخطه في الدنيا قبل ان يقبر ؟ «إن بطش ربك لشديد، وما ربك بظلام للعبيد » - (2)

لقد استفاد من هذه الطبقة خدام السلاطين فقد اورد صاحب تاريخ السودان حادثة مفادها ان احد خدام الاسكيا توفي في مدينة دندي فأرسل الاسكيا عبدا له ليحصي تركته التي بلغت خمسمائة عبد ، واربعة عشر (بعوات) (3) فيها الف وخمسمائة (صينة) وسبعة سراح بقر وثلاثون سارحا للغنم ولباسهم واما الخيل فسبعة عشر فرسا ، بسروجها منها سبع

(1) نفسه ص13 اومحمود الغربي بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ،بغداد :دار الرشيد للنشر 1982 ص600

(2) محمد بن عبدالرحمن السيوطي ،رسالة لاحد علماء التكرور ، مخطوط ،مكتبة الباحث ورقة2 وادم عبدالله الالوري موجز تاريخ نيجريا ،بيروت : دار مكتبة الحياة 1965م ص137

(3) بلغة سنغاي اكياس

من اجود الخيول الاحرار وامتعة بيته ، وسلاحه وترسه وثلاثين (من بول معمرات بحريش) (1) وقد حصل على هذه الثروة بالتحاقه في خدمة السلطان (2) .

وهذا يدل على البذخ الذي كانت عليه هذه الطبقة باعتبارها تتحكم في رقاب العباد سلطويا وماديا .

2ـ الطبقة الثانية : (الطبقة الوسطى) :

تأتي في المرتبة الثانية ، بعد الطبقة المالكة وتفوقها في العدد وتتكون من القضاة والائمة والمدرسين والتجار ولا يتولى افراد هذه الطبقة الوظائف الادارية العالية ، التي لا يتولاها الا ذو الحظوة لدى الحكام الاسكيين ، من العائلة او كبار الملاك ولا يبلغ شخص مكانة اجتماعية تجعله اهلا لهذه الوظائف الا بعد ان يرتفع باملاكه وسلطته عن الدرجة الاجتماعية للطبقة الوسطى (3) .

في مقدمة الطبقة الوسطى فئة القضاة والائمة وهم موظفون يتقاضون من خزينة السلطان عوائد معينة بمعنى راتب شهري مقابل الخدمات التي يقدمونها للشعب فهم ذو حظوة لدى الطبقة الاولى وعلى رأسهم السلطان فكان بيت القاضي والامام ملجأ للعامة من بطش السلطان واعوانه كان الاعتصام بدار القاضي او الامام في مثل هذه الامور يعتبر قاعدة قانونية (4) .

كما ان قيام القاضي او الامام في وجه السلطان بقصد تحذيره من تجاوز الحدود الشرعية او ارشاده الى الطريق السليم يعتبر أمرا مقبولا عند

(1) السهام المسمومة

(2) عبدالرحمن السعدى تاريخ السودان، باريس: نشر هوداس ونبده 1964ص102 ومحمد الغربي المرجع السابق ص600

(3) مجهول تذكرة النسيان ،مخطوط مكتبة الباحث ورقة9-10.

(4) عبدالرحمن السعدي ،المصدر السابق ص63 ومحمود كعت،المصدر السابق ص178.

السلاطين يقتضيه واجب القاضي والامام .

ومن جهة اخرى كانت الفئتان السابقتان مسموعتي الكلمة عند السلطان (1) والسؤال المطروح اذن هو :

ـ لماذا تسمع كلمة القاضي والامام بالرغم انهما من الطبقة الوسطى ؟

هناك عدة اسباب لذلك وهي :

1ـ احترام ملوك سنغاي للعلم والعلماء .

2ـ اختلال امر القضاء في الدولة يعني نهايتها ،ولذلك المحافظة على القاضي ومكانته امر ضروري لا يختلف عليه اثنان .

3ـ القضاء والائمة لهم تأثير روحي على جل الشعب الشيء الذي يمكنهم من تحريك الشارع ضد الحاكم اذا ما شعروا بأي ضغوط ولهذا تفانى السلاطين في كسب ودهم .

ومن الفئات التي تندرج تحت هذه الطبقة المدرسون في المساجد الذين كانوا يمارسون العملية التعليمية ويتقاضون رواتب من خزينة السلطان واصبحوا محل رعايته ورعاية الوجهاء على السواء (2) كما كان التجار من ضمن هذه الطبقة وهم ينقسمون الى قسمين :

1ـ القسم الاول : التجار الاجانب

التجار الاثرياء، ومعظمهم من الاجانب ، ويباشرون التجارة في اعقد واضخم صورها من تصدير واستيراد للبضائع وكانوا يمتازون بحظوة بالغة من طرف السلاطين وحكام الولايات لما يجنونه منهم من اموال من التجارة وقد تولوا مناصب ذات طابع حرفي مثل المحاسبة وهندسة المعمار والتدريس ونحوه ، وكان الحكام كثيرا ما يطلبون من بعضهم المشورة وابداء الرأي في عدد من الامور (3) .

---

(1) محمود كعت،ص97وعبدالرحمن السعدى ،ص28. Assio clerici cit31

(2) عبدالرحمن السعدى ،المصدر السابق ص28.

(3) محمود كعت ،المصدر السابق ص57زيادية مملكة سنغاى ،المرجع السابق ص117.

كان افـراد هذه الفـئـة في الاغلب الاعـم ، لا يمارسـون اعـمـالهم بمفـردهـم وانما كان لـهم خدامهم وعبيدهم ووكلاؤهم الشيء الذي وفر لهم متسعا من الوقت للمشاركة في الاحتفالات والمهرجانات التي يقيمها الحكام وحضور جزء من دروس الوعظ والارشاد التي تقام في المساجد وحلقات الدروس التي كانت تعقد في الليل حيث كانوا قادتها وروادها وكانوا على اتصال وعلم بالحوادث التي تمر بها البلاد فكانوا يمثلون الهيئة الاكثر اعتبارا بين افراد الطبقة الوسطى من حيث الثراء والسلطة (1) .

وهناك سؤال آخر وهو :

لماذا اهتم حكام افريقيا فيما وراء الصحراء بهذه الفئة بالرغم من انهم ليسوا من اهل البلاد ؟ .

اولاً : ان الاقتصاد عصب الدولة والمحرك الاساسي لها ،ولذلك كان كسب ود التجار امراً مهما لاستمرارية الدولة .

ثانياً : ان جل التجار الذين كانوا على اتصال بتلك المناطق من الشمال الافريقي قدموا من بيئة حضارية واتصافهم بالامانة والخلق والعلم والتجارة جعل سلاطين تلك المناطق يقربونهم حتى تتم الاستفادة منهم .

ثالثاً : ان جزءا من حكام تلك المناطق يرجع الى اصول عربية من الشمال الافريقي مثل الملك سني علي الامر الذي جعل روح الحمية تؤثر في انفسهم فقربوهم منهم واصبح بعضهم مستشارين للسلاطين وعلى سبيل المثال لا الحصر المهندس عبدالله الغدامسي الذي كان مستشارا للسلطان منسا موسى .

رابعاً : اسناد الامور التجارية الى وكلائهم وتفرغهم لتتبع امور البلاد وحضورهم للحفلات والسهرات التي تقام للفت نظر حكام تلك المناطق الى اهميتهم فوجدوا حظوة بالغة لديهم .

---

(1) محمود كعت،المصدر السابق ص 172-173.

القسـم الثـاني :

التجار الوطنيون وكانوا اقل ثراء من سابقيهم فمعظمهم يتاجرون تجارة محلية محدودة القيمة والتنوع ارباحها ضعيفة الا ان ما يميز هذه الفئة الحرية والعيش المتوسط فهي لا تصل في حياتها الى مستوى عامة الشعب ، ولا ترقى الى مصاف الفئة السابقة وانما كانت وسطا (1) .

ولنا ان نتساءل :

لماذا لا يتم التركيز على هذه الفئة من التجار من قبل حكام افريقيا فيما وراء الصحراء ؟ .

اولا : لانهم لا يشكلون ثقلا اقتصاديا يؤثر على الدولة .

ثانيا : قصر خبرتهم في امور الاقتصاد .

ثالثا : ضعف رأس مالهم .

رابعا : عدم استفادة الحكام منهم ماديا بدفع الضرائب باعتبار تجارتهم محلية .

الطبقة الثالثة : تنقسم الى ثلاثة اقسام :

تضم العبيد والاقنان واصحاب الحرف وهي اكثر عددا من الطبقات السابقة واقلها قيمة في المجتمع .

أ ـ العبيد :

ازداد عدد العبيد عن طريق غزو حكام سنغاي ابتداء من سني علي ومرورا باسكيا الحاج محمد وخلفائه فقد ادت غزواتهم للمناطق المجاورة لهم الى تكاثر عدد العبيد عن طريق استرقاق مناطق باكملها فقد ورث الاسكيا الحاج محمد عقب المعركة التي انتصر فيها على (ش بارو) ابن الملك سني علي اربعا وعشرين قبلة ذكورا واناثا واستخدم جزءا لزرع ارضه وجزءا

---

(1) ابوالعباس احمد الفلقشندى ،صبح الاعشى،القاهرة :المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر 1963م ج5ص299 ومحمود كعت ،المصدر السابق ص161 وزبادية مملكة سنغاى ،المرجع السابق ص119

لرعاية خيوله وكان يأخذ من بعضهم اولادهم كل عام ويبيعهم في اسواق النخاس ويشتري بأثمانهم خيلا وقد وهب للشريف الحسني واولاده ، من هؤلاء العبيد الفا وسبع مائة .

كان العبيد سلعة تباع وتشترى ليس لديهم اي معيار وكان ثمن الفرس الواحدة يساوي خمسة عشر عبدا في فترة الاسكيين وكانت مهمة العبيد . العمل في المزارع والبيوت والملاحات (1) وقد اورد ابن بطوطة ان الشخص اذا اراد ان يسافر يتبعه عبيده يحملون له متاعه (2) .

وفي افريقيا فيما وراء الصحراء لا تصح مناكحة العبيد ، فالسلاطين منذ عهد الممالك التي سبقت سنغاي حذروا الناس من الزواج منهم وقد حذر اسكيا الحاج محمد بعد رجوعه من الحج مناكحة هذه القبائل ، فكل من نكح منهم امرأة ليست من اهل موكير ، فولدت وارادت لولدها الحرية اخرجته من دار زوجها الى دار ابيها ، فإن اقام الولد بدار الزوج وعمل بعمل الزوج فهو اي الولد ملكي .

هذا بعد ان سأل اسكيا الحاج محمد العالم عبدالكريم المغيلي عن امر هذه القبائل ووافق قوله قول السيوطي في ذلك (3) .

باستقراء الاحداث السابقة نجد ان البنية الاجتماعية في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء وخاصة سنغاي تعاني من مرض عضال لم تؤثر فيه تعاليم الدين الاسلامي بدعوته القوية للتغير الجذري او الجزئي ومحو اثار العبودية من البشرية والذي استغربه ولا اكاد اصدقه ! كيف لعالمين مثل السيوطي والمغيلي ان يسمحا باصدار فتاوى تمنع الزواج من فئة دون فئة !؟

وهما بذلك يؤكدان على التمييز العنصري الذي عمل الاسلام على

(1) محمود كعت، المصدر السابق ص55-56-57 زبادية مملكة سنغاي ، المصدر السابق ص120.

(2) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ،بيروت : دار صادر بدون تاريخ ص686.

(3) محمود كعت ، المصدر السابق 14-15

ابطاله ونبذه .

ب ـ الاقنان أو الحراطين الزنوج :

هم سكان البوادي والقرى وكانوا اقل حالا من فئة العبيد الذين يشتغلون في منازل اسيادهم ،ومن مهام الاقنان توفير حاجتها بنفسها من غذاء وكساء لانهم يشتغلون عند كبار الملاك وما يميز هذه الفئة عن العبيد ان الاقنان لديهم الحرية الشخصية بعكس العبيد واورد ـ زبادية نسبة الاقنان الى العبيد تزيد عن الضعف .

ج ـ فئة اصحاب الحرف :

هي فئة قليلة تعتمد في حياتها على عملها اليومي من حدادة ، وخرازة ، وليس لها قيمة تذكر في الوضع الاجتماعي ولا يسند الى ابنائها اي عمل يخص الدولة (1) .

من خلال المعطيات السابقة حول النظام الطبقي للمجتمع السوداني يمكننا ان نتساءل عن سبب تواجد هذه البنية الاجتماعية على هذا الشكل.

ج ـ يبدو ان هذا المجتمع مفكك الاوصال الى حد كبير لدرجة هيمنة روح العصبية والبغض في كثير من شرائحه وذلك راجع الى الموروثات القديمة ، التي لم يستطع ان يتخلص منها هذا المجتمع بسرعة بالرغم من دخول الاسلام الى تلك المناطق منذ امد طويل ، لقد خلقت هذه الطبقات الاجتماعية روح التعالي والتعصب بين ابناء المجتمع الواحد مؤكدة بذلك نظرية البقاء والسيطرة للاقوى :.

التقاليد الاجتماعية :

كانت عادات وتقاليد المجتمع ، في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء

---

(1) موسى بن احمد السعدى زهور البساتين ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 70-71 وزبادية مملكة سنغاى ، المرجع السابق ص123-124

خليطا معقدا من التقاليد القديمة والمؤثرات التي نقلها العرب معهم الى تلك الديار ، وانتقلت من بعد الى السودانيين على مر السنين ، وخاصة في فترة التواجد المغربي وظهرت هذه التأثيرات في الحياة اليومية في بناء منازلهم وتأثيثها وفي طعامهم وشرابهم وفنونهم ، وسوف نعالج ابرز هذه العادات بشيء من التفصيل كلما امكن ذلك .

البيت السوداني طريقة بنائه وتأثيثه :

تطور بناء المساكن في المجتمع السوداني بمرور الزمن ، ففي بداية امرهم كانوا يبنون منازلهم من اغصان الاشجار وجلود الابل على هيئة خيام ثم تطور البناء فأصبح بالاحجار والطين والخشب العريض الطويل . فبنيت الدور ومقر الحكام والمساجد والمنارات العلمية التي ماتزال الى اليوم شاهدة على ذلك وكان البناء يختلف في تطوره من مدينة الى اخرى فمدينة اودغست كانت مبانيها حسنة ومنازلها رفيعة مبنية بالطين فقصر السلطان بناؤه جميل وله ابراج لمراقبة ما في المدينة وقد اكد ذلك صاحب الاستبصار في قوله : «فدخل بلدة واحرقها ،وقتل جنده والملك في قصره ينظر اليه فلما رأى ما حل في بلدة هان عليه الموت) (1) ...

اما منازل اقدز ، فكانت مبنية في بداية امرها من اغصان الاشجار التي يضعون عليها الحصر ، والجلود ونحوه ثم تطور البناء الى البناء بالاحجار والطين ، وظهرت الهندسة المعمارية العربية في البناء وظهر نظام الاقواس والنقش على الطراز الاسلامي ويترجم مسجد الفزاني الذي شيده صاحبه في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي واظهر فيه الابداع الفني . والمسجد الكبير في اقدز تطور فن المعمار (2) .

---

(1) مجهول ،الاستبصار في عجائب الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول الدار البيضاء : دار النشر المغربية 1985 ص 216

(2) لامة بن أحمد ، تاريخ اقدز مخطوط مكتبة الباحث ورقة 8 والحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ط : 2 ترجمة من حجي وحمد الاخضر ، بيروت ،الرباطا : دار الغرب الاسلامي والشركة المغربية للناشرين لمتحدين 1983 ح 2 ص 166-178

وفي مدينة تنبكت ، ايضا تحول البناء بالاشواك ، والاعشاب ، الى البناء بالاحجار والطين وظهر الفن المعماري المغربي الاسلامي متمثلا في جامعة سكنري ومسجد منسا موسى ، ومقر السلطان وحي الغدامسية كما ازداد الفن المعماري تطورا وانتشارا بمجيء المغاربة الى المنطقة ، وسيرد الحديث عنه بشيء من التفصيل في الفصل الخامس .

اما عن التأثيث فقد اعتنى اهالي منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء وخاصة حكامهم بتجميل بيوتهم وتزيينها بالنقوش وتأثيثها بالاقمشة المستوردة من المغرب وازداد جمال البيت السوداني بارتياد الليبيين والمغاربة لمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء حيث جاؤوا بالمؤثرات الغدامسية المغربية والاندلسية فكانوا يفرشون الارض ويرفع الفرش قليلا عنها بواسطة الواح وكانت اغطية اللحف مطرزة ، وقد يضع صاحب البيت فوقها سجادا طويلا او جلد احد الحيوانات ، وغالبا ما كانت الحيطان مزينة ببعض التحف كأنياب الفيلة وبيض النعام وريشه او آيات قرآنية اما عند مدخل الباب فكانت تعلق حدوة حصان أو يرسم كف رجل ، أو يوضع خطان من القطران عند المدخل لاتقاء العين ، وما تزال هذه العادات متوارثة إلى يومنا هذا ،وكانت التحف والاغطية المطرزة تستورد من المغرب غالبا (1) .

---

(1) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 205 ـ 206 .

طعامهم وحلوياتهم

من الخصائص البارزة للمطبخ في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء وخاصة الحواضر الاسلامية كتنبكت وجاو ، وجني واقدز وزندر وطاو في القرن السابع عشر الميلادي استعمال الزبدة ، والتوابل ، والاستهلاك الواسع للسمك وتفضيل اطباق الارز على اية اطباق اخرى .

الواقع ان هذه الخصائص مست السواد الاعظم من السكان اما الطبقات المترفة في المدن فلا تاكل السمك بل استعاضت عنه بلحوم الغنم والبقر ، والجمال والدجاج والحمام ولم يدخل الارز الى مطابخها الا بشكل ثانوي حيث اصبح الكسكس المتخذ من القمح والشعير والذرة الاكلة المفضلة والرئيسية على الموائد (1) .

وينقسم طعامهم الى قسمين :

1ـ طعام الملوك :

يتكون طعامهم من الكسكس او الفتات عليه لحم الغنم المطبوخ أو المشوي أو الملفوف في شرائح من العجين المتناهي الدقة ومعه اصناف من الاطعمة منها دقيق القمح الذي كان يحمله جنكي خديم اسكيا الحاج محمد له .

ومن حفاوة كرم حكام افريقيا ان ضيوفهم يتناولون معهم الغذاء ولو كانوا صغارا في السن وهذا الحسن الوزان لم يتجاوز عمره ست عشرة سنة دعاه ملك تنبكت ، لتناول وجبة العشاء والفطور معه دليلا على الحفاوة التي يكنها له (2) .

من خلال المعطيات السابقة نطرح هذا السؤال :

ـ باعتبار الكسكس والفتات من الاكلات الشعبية المتداولة في الشمال

---

(1) موسي بن السعدي ، مخطوط ورقة 110 و : Rene cailie 2 op cit 303 `` 304

(2) الحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 172 ومحمود كعت المصدر السابق ص 11 .

الافريقي وافريقيا فيما وراء الصحراء ، هل انتقلت هذه الموروثات من الشمال الافريقي الى افريقيا ا فيما وراء الصحراء ام العكس ام هو تأثير وتأثر بين الجانبين ؟ .

ـ من خلال استقرائي للاحداث وتنقلاتي في مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء واتصالي بالعديد من مثقفيهم ،توصلت الى ان هذه الموروثات ،انتقلت من الشمال الافريقي الى تلك المنطقة ،لأن اغلب الذين يستعملون هذه الاطعمة من العرب . اما البنبارة فان استعمالها لهم محدود .

2ـ طعام عامة الناس :

يختلف غذاء عامة الناس من منطقة لاخرى ،ولو ان الاختلاف طفيف فهو ينقسم الى شقين :

الشق الاول : يتمثل في الارز والذرة والدخن وتوجد في تادمكة وكذلك الكسكس (1) ووجبة الكما التي تطبخ مع لحم الابل وتكون وجبة غذائية .

الشق الثاني : يتكون من العسل ولبن المواشي بما فيها الابل ودقيق الكوهمني ، و المتكون من حبات القصب وهو يدق ويخلط بالماء ويشرب وخاصة في اوقات الحر (2) .

الشق الثالث : يتمثل في لحم الغنم والماعز والبقر،والابل والغزلان ولحوم الحيتان الطرية والطيور بمختلف انواعها فهي تمثل الغذاء الرئيسي للسكان(3) .

وفي بعض مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء وبالتحديد في بلدة تيرقي فإن

---

(1) الاستبصار المصدر السابق ص 223 الادريسي المصدر السابق جـ1 ص 108 والبكري المصدر السابق ج 2 ص 880 وعبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 27 والحسن الوزان المصدر السابق جـ2 ص 172 .

(2) احمد بن عبد الله الودلوي يبعث برسالة إلى البكاي يذكره بامر ارسال جيش إلى تنبكت مخطوط ورقة 1 ، وأحمد بلعراف اهمية التاريخ مخطوط ورقة 18 .

(3)مخطوط لسيدي محمد الهادي ، الحقوق الاجتماعية للعبيد مخطوط ورقة 5 وأحمد بلعراف ، أهمية التاريخ ، مخطوط ورقة 8 . ومحمود كعت المصدر السابق ص 34 والحسن الوزان ج 2 المصدر السابق ص 166 ومارمول ج 1 المصدر السابق ص 50 ج 2 ص 180 .

سكانها ياكلون لحم السلاحف التى تعظم عندهم ولهم طريقة في الحصول عليها بأن يشدوها بحبال ويجرونها من جحرها (1) .

اما اهل صحراء نيسر، فتكثر عندهم أفاع طويلة ،وغليظة، يقطعون رأسها ويطبخونها بالملح والماء ،والشيح ،ويأكلونها وهي عندهم من اطيب الاطعمة (2) .

- ولكن لماذا يستخدم الأهالي نبات الشيح عند طبخ الافاعي ؟

- يستخدمونه بغرض ازالة سم الافعى .

الأدوات التي يستعمل فيها الماء والطعام .

استعمل اهل منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء أواني القرعة الكبيرة في حفظ العسل ،والحساء الساخن . ،والدقيق . بأن تفتح فتحة صغيرة من أعلى بحيث تدخل فيها اليد ويحمل فيها الأشياء إلى مناطق بعيدة دون أن تتأثر وتعرف أواني القرعة عند الفلان باسم فاد (3) .

القدر والأقداح :

استخدم اهل افريقيا فيما وراء الصحراء لطهو طعامهم القدور والاقداح المصنوعة اما من النحاس او الفخار (4) . كما استعملوا الدلو المصنوع من جلد البقر ، والابل والماعز بعد دبغه في استخراج الماء من البئر وكان جيش الملك منسا موسى قد استخدمه في رحلة الحج لاستخراج الماء (5) كذلك من الادوات التي تستعمل في حفظ الماء والزيت والدقيق واللحم المجفف القرب والتي تصنع من جلد ذكور الماعز لقوتها وطريقة اعدادها بأن يخرج جلد الماعز من رقبته عند سلخه وتدبغ بلوازم الدبغ كما استعمل اهل افريقيا فيما وراء الصحراء الزق

---

(1) الاستبصار المصدر السابق ص 222 .

(2) الادريسي المصدر السابق ج 1 ص 108 والحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 172 .

(3) موسى بن أحمد السعدي مخطوط ورقة 217 ومارمول المصدر السابق ج 3 ص207 .

(4) نفسه ، الورقة مخطوط ورقة 120 ، ومحمود كعت المصدر السابق ص 90 .

(5) محمود كعت، المصدر السابق ص 35 .

(1) وهو قدح عادة ما يصنع من الفخار يشرب فيه الماء واللبن والخمر ، وقد تغنى به شعراء عصر ماقبل الاسلام كما كانت الخابية من الادوات التى يحفظ فيها الماء .

طريقة طهي طعامهم :

تعتبر المرأة سيدة المطبخ السوداني فهي التي تقوم بعملية الطهي وعادة ما تكون الوجبة السودانية من اللحم ،والسمن ومعها البهارات ، «وتوضع على النار وتعطي رائحة طيبة (2) وقد ذكر كعت في ذلك ما نصه : (3) فإذا هي مملوءة طعاما مطبوخا بانواع الادام واللحم والسمن الكثير » ويطبخ لحم البقر ويسقى بسمن الغنم والماعز على السواء كما تقوم المرأة باعداد وجبة الكسكس بعد طحن القمح ،وخلطه بدقيق الحنطة ويسقى بالخضروات .

وافضل نساء افريقيا فيما وراء الصحراء في الطبخ نساء اودغست فلهن مهارة في ذلك فاقت نظيراتهن ،وخاصة إعدادهن للحلويات مثل الجوز نيقات والوزينجات ، والقاهريات والكنافات والقطائف والمشهورات وأصناف الحلاوات (4) والى جانب هذه الانواع المستوردة كانت هناك أنواع من الحلويات السودانية مثل ما يطلق عليها السقية المعروفة باسم (ديمتيا) ، وشكلها مستدير وتحضر بالفول السوداني ودقيق الارز والتوابل والعسل (5) .

---

(1) محمود كعت ، المصدر السابق ص 35 ، وعبد الرحمن السعدي السابق ص 99 ، وعبد الرحمن السيوطي ، الحاوي ، للفتاوى ، القاهرة : مكتبة القدسى 1351 هـ ج 2 ص 381 .

(2) موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 25 ، ومحمود كعت المصدر السابق ص 128 .

(3) محمود كعت ، المصدر السابق ص 90 ـ 91 .

(4) الاستبصار المصدر السابق ص 116 ، ومحمد الغربي المرجع السابق ص 614 .

(5) أحمد بلعراف إزالة الشك والريب والتفريط في ذكر المؤلفين من اهل التكرور مخطوط،مكتبة الباحث ورقة 10

والسؤال المطروح :

هل هذه الانواع من الحلويات سالفة الذكر محلية أم دخيلة على أهل افريقيا فيما وراء الصحراء ؟

ـ بعد استقراء الاحداث يتضح أن هذه الحلويات جاءت للمنطقة من الشمال الإفريقي ومن الأندلس ومن مصر فالقاهريات على مايبدو اشتقت تسميتها من القاهرة والكنافات والقطائف إلى اليوم تصنع في المغرب .

وقد ادخل المغاربة تقليدا فيما يخص وجبات الطعام اليومية تمثل في تناول طعام العشاء ، وكان اهل المدن قبل ذلك يشربون اللبن في العشاء مع بعض الفطائر ، ولا يتناولون شيئا بعد ذلك اما في الصباح فكانت بعض العائلات في المدن تتناول الاطعمة الدسمة واللحوم والحساء وهذا التقليد الفاسي لم يعرف في السابق بتلك البلاد ، (1)

وكان سكان المدن يتناولون ثلاث وجبات في اليوم : الأولى في الصبح وهي وجبة الافطار ، وتضم تلك الوجبة الحساء ،واللحم المشوي إلا أنها تشمل بشكل عام الخبز الطري والزبدة والعسل ثم وجبة الغذاء وهي عادة ما تكون دسمة ولا يختلف طعام العشاء عن الغذاء من حيث الدسامة (2) وفي الأغلب الأعم يتناول رب الأسرة طعامه مع ضيوفه ، ولا تأكل المرأة مع زوجها إلا نادرا .

وقد ذكر احمد بلعراف ان الضيوف يقدم لهم الكسكس بلحم الغنم يومياً ولم يلاحظ وجود امرأته وقت تقديم الطعام واستمر الحال عندما انتقل إلى دار الضيافة ،حيث اعد له مضيفه فراشا على الارض ،أما الطعام فكانت أطباقه تصف على منديل فوق الارض (3)

أما أيام رمضان والاعياد ، فإنها تختص بأنواع معينة من الأطعمة ويقدم

---

(1) ومحمد الغربي المرجع السابق ص 612 Dupuis Y : op 132 ,128

(2) موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 100

(3) وأحمد بلعراف ،ازلة الريب مخطوط ورقة 18 .

اغلبها على أساس الاستعمال الواسع والعسل ،ونجد تشابهاً كبيرا بين ذلك وما عرف عن السعديين من احتفال في هذه المناسبات (1) .

أما التنوع في الأطعمة فان الاثر المغربي يمكن أن يلمس في كل الاصناف . ولقد كان الكرم ،والإحتفاء بالضيوف من المميزات البارزة للمجتمع السوداني ، وتجد في العديد من المصادر اخبار الزيارات والولائم والحفلات التي كانت تقام بمناسبة او بدونها .

(4) أحمد بلعراف مخطوط ورقة 19 ، مخطوط كعت ، المصدر السابق ص 237 .

الـــــزي :

لا يختلف الزي عما هو موجود منذ عهد امبراطورية غانة ومالي عما هو في مملكة سنغاي وباقي المناطق ،إلا في بعض التغيرات الطفيفة فالمورث الاجتماعي من الصعب أن يتغير من فترة لأخرى خاصة ان المنطقة تأثرت منذ زمن بعيد بالزي المغربي والليبي المتمثل في الجرد .

وبذلك انقسم الزي حسب الطبقات والاماكن .

ففي عهد دولة غانا كان الملك يلبس إزار حرير ، يتوشح به ، أو بردة يلتف بها وسراويل في وسطه ،ونعل شركي في قدمه ،ويركب الخيل وفي المناسبات الدينية له زي كامل ،يقدمه أمامه وتمشي امامه الفيلة ،وضروب من الوحوش التي توجد في بلاد افريقيا (1)ويتحلى الملك الغاني بحلي النساء في عنقه ، وذراعيه ويحمل على رأسه طرطورا مذهبا ويعمم عليه عمامة قطنية وملابسه مخيطة لا يجرؤ احد من الرعية على لبسها إلا ولي عهده (2) .

أما سلاطين سنغاي، فن لباسهم يتمثل في كرازين تشبه العمامة يضعونها على رؤوسهم وما يؤكد ذلك عندما تولى أسكيا إسحق واستطاع أن يسيطر على البلاد ويلاحق ملوك أعدائه قبض على احد معارضيه ، ببكر بن الفق دنك وعندما مثل بين يديه اراد اهانته فقال أسكيا اسحق لرجاله :

«هاتو كرزي فجيء به فقال له خذه وأستر به هذا الشيب السوء » (3) كما يرتدي ملوك سنغاي السراويل والقميص السوسي الأخضر وأربعة قمصان وهو أضل لباس عندهم (4) ويتزينون بالذهب المرصع والدليل على ذلك أن كني احد ابناء ملوك سنغاي عندما خلع قلنسوته ليغتسل رأى الحاضرون ذهباً

---

(1) الادريسي ، نزهة المشتاق ، بور سعيد مكتبة : الثقافة العربية بدون تاريخ ج 1 ص 24 .

(2) البكرى المالك والممالك ، حققه فان اليومن ، تونس : الدار العربية لكتاب 1992 ج 2 ص 872 والاستبصار ، المصدر السابق ص 220 .

(3) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 129 .

(4) موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 163 ومحمود كعت المصدر السابق 43 ـ 83 ـ 115 ـ 155 .

مرصعاً في رأسه فقيل لعله ابن ملك لأن تلك عادة أبناء الملوك (1) .

اما حكام ما سنه فإنهم يرتدون القميص والمازر ، وملوك زافون يلبسون أثوابا مزركشة ويتلفعون برداء أبيض (2) .

أما حكام تاد مكة ،فيرتدون الثياب الملونة وهي عبارة عن عمامة حمراء وقميص اصفر وسراويل زرقاء (3) اما زي وكلاء أعمال ملوك افريقيا فيما وراء الصحراء فعبارة عن كورية وقميص أسود وقلنسوة حمراء وملحفة سوداء وخدامهم يتزينون بملف وند وبيدهم اليمنى سوار فضة (4) .

اختص قادة الجند في دولة سنغاي في العهد المغربي بلبس البدل العسكرية الفضفاضة مع تعليق السلاسل الذهبية والفضية (5) أما عن ملابس الفقهاء والائمة فإنهم يرتدون ملابس طويلة ويتلثمون بلثام ابيض (6) .

أما زي الشرفاء والعامة وابنائهم فان لباسهم يختلف عن سابقيهم فهو عبارة عن جلابيب طويلة وعمائم ولهم شعر يصل الى شحمة الاذان اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم (7) ورجال اهل سنغاي يرتدون الملف والقميص والقفاطين المصنوعة من كتان (دب) والحرير والملف والقمصان والسراويل الكبيرة والعمائم كما يرتدون البرنس (8) قد ذكر عبدالرحمن السعدي ان شيخ الاسلام الفقيه محمد بغيغ الونكري خلع برنسه ووضعه على جثمان الفقيه ، علي سل بن أبي بكر بن شهاب الولاتي التنبكتي (9) .

---

(1) نموسي السعدي ، محفوظ ورقة 286 .
(2) نفسه ورقة 163 .
(3)الاستبصار ، المصدر السابق ص 223 .
(4) محمود كعت المصدر السابق ص 97 ـ 101 .
(5) ،محمد الغربي ، المصدر السابق ص 610 .
(6) حسن الوزان ، ج 2 ، المصدر السابق ج 2 ، ص 163 .
(7) محمد محمد الفتى (مرحباً) ، التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط مكتبة الباحث ورقة 32 .
(8) محمود كعت ، المصدر السابق ص 144 .
(9) عبد الرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 216 .

واورد عبدالرحمن السعدي في موضع آخر عن البرنسي ،عندما أورد قصة الفقيه فودي محمد ساقو أنه كان يصلي على البرنس وجذبه منه اللصوص (1) .

والزي يختلف من منطقة إلى أخرى ويكون اللباس على قدر طاقة الشخص ومرتبته الاجتماعية .

ترتدي نساء منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء منذ زمن غانة ، الحلي المصنوعة من النحاس والخرز والنظم الزجاجية (والباذوق) (2) وانواعاً من المجزعات الزجاجية (3) وتطور عنها في عهد مالي ، فبدأت النساء ترتدين حلي الذهب . وفي فترة سنغاي كانت النساء تتحلى (بتطاريح) (4) من الذهب على رؤوسهن ، واسوار ذهب وفضة في معاصمهن (5) كما يرتدين الملحفة السوداء وما يدل على ذلك منح اسكيا داوود للعجوز التي اعتق ابناءها في كل سنة ملحفة (6) كذلك ورد في موضع اخر ذكر الملحفة في قصة جارية كيرفرم التي سرقت منها ملحفتها (7) .

من خلال عرض زي الرجال والنساء في سنغاي يظهر تأثير شمال افريقيا واضحا ، وخاصة المغرب وليبيا فالبرنس زي يرتديه اهل المغرب وانتقل عبر المؤثرات الحضارية الى منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء وكذلك التطاريح والملاحف التي كانت تلبسها النساء الليبيات في عدة مناطق منها الصيعان والنوائل واما الزي في باقي مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء فيختلف من

---

(1) عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 17 .

(2) نوع من الأحجار صلبة ويميل لرنها للاحمرار تنظم وتعلق على صدر النساء .

(3) الادريسي ج 1 ص 20 .

(4) التطاريح هي نوع من المجوهرات الذهبية على شكل دوائر تنظم بسير الجلد وتوضع من أعلى الرآس الى نهاية العنق .

(5) موسى السعدى ، مخطوط ورقة 293 .

(6) نفسه ورقة 106 .

(7) نفسه والورقة .

منطقة لأخرى .

فنساء مدينة جني مثلا يتلثمن بلثام كبير، من القطن مصبوغ باللون الأزرق أو الأسود يغطين به رؤوسهن ،وبعض من فتياتهن الأبكار لا يسترن عوراتهن (1) اما نساء مدينة تنبكت فمتحجبات متلثمات باستثناء الإيماء اللائي يبعن الأكل وكذلك نساء مدينة ولاته متلثمات (2) .

وأهل ونقارة يرتدون الازر والاكسية والقداوير وكذلك قرية غربيل التي تتبع ونقارة فلباس أهلها الصوف ،وأهل سن والتكرور لباس عامتهم قداوير الصوف، وعلى رؤوسهم كرازين الصوف ولباس خاصتهم ثياب القطن والمازر (3) ، أما أهل زغاوة فإنهم يرتدون جلود الإبل والبقر المدبوغة واهل سامة المعروفون بالبكم يمشون عراة الا المرأة فهي تستر فرجها بسيور مظفورة (4) أما النساء فمن ضمن ما يتزين به حلي يعلق في أنوفهن من الذهب العين وفي عهد الملك دا بن منسو استحدث عادة اجتماعية وهي ثقب انف المرأة ووضع قرط من الذهب العين ،مكان الخزام والذي يقوم بثقب الانف الحدادون ويعرفون بحدادي نم : اي المختص في ثقب الأنف (5) .

أما زي أهل تاد مكة التي عامة أهلها من العرب المغاربة المسلمين فثياب قطنية مصبوغة ،بالاضافة إلى النقاب (6) الذي يبدو أنه وفد عليهم من الشمال الافريقي وبالتحديد من ليبيا فالعالم عبدالجبار الفجيجي الذي توفي بمدينة جني

(1 عبيد الله يوسف بن ابراهيم ، يبعث برسالة لاهل جني ، مخطوط مركز الشيخ المختار الكنتي بجاو بدون تصنيف ورقة 10 ، الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ص 163 .

(2) نفسه ورقة 162 ـ 202 ومارمول ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي زيبير وآخرون ، الرباط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع 1984 ج 3 ص 198 .

(3) الادريسي ، المصدر السابق ج 1 ص 18 ـ 25 ـ 16 وابو الحسن علي بن سعيد المغربي « كتاب الجغرافيا » ، اسماعيل المغربي ، بيروت : مطبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر تحقيق 1970 ص 91 .

(4) الادريسي ، المصدر السابق ج 1 ص 22 والبكرى ، المصدر السابق ج 2 ص 872 .

(5) موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 202 .

(6) الاستبصار ، المصدر السابق ص 223 .

صورة في كتاب المنح الفريد ،في تقييد الشريد ،حققه أستاذنا الدكتور عبدالهادي التازي، يرتدي فيها جردا ليبيا ولا يستبعد أنه من ضمن المؤثرات الاجتماعية الليبية التي وفدت على المنطقة .

أما عن زي قبائل الفلان ،فإن أهلها يرتدون دراريع مفتوحة من الامام وحذاء مصنوعا من جلد البقر والإبل ،ويضفر رجالهم ونساؤهم شعرهم على السواء ويتزينون بالحلي والسيوف والحراب (1) .

أما قبائل الطوارق فإن لباسهم الدراريع واللثام ويتزينون بالسيوف والحراب أيضا وأما قبيلة الهكار فيرتدون معاطف الجلد في الشتاء ومعها اللثام ،الذي لا يتخلون عنه طيلة السنة واهل كاوكا يسيرون حفاة في الصيف لا يرتدون أي لباس غير شبه سروال من الجلد يستر عورتهم ،وتجارهم يلبسون القداوير والاكسية وعلى رؤوسهم الكرازي ويلبسون الارز ويتحلون بالحلي وأهل كاغو فطبقة الفلاحين ترتدي جلود النعام في الشتاء اما في الصيف فتمشي عارية غير انهم يسترون عوراتهم بمئزر صغير، وينتعلون أحيانا بنعال مصنوع من جلد الابل (2) .

أما عن قص شعور أهل افريقيا فلهم في ذلك عدة طرق وهي :

1ـ كوربو توريري :

تظهر في شكل خصلة ترتفع من على الرأس في الهواء مع خصلتين تتدليان على الخدين ،وثالثة على العنق واستعملت بعض أنوا ع الدهون ، وخاصة الزبدة في تليين الشعر .

2ـ ديكوتي :

أي أن يترك الحلاق خصلة صغيرة في رأس الصبي ويتولى جدلها في كل حلاقة .

---

(1) موسى السعدي محفوظ ورقه ، ص230 .

(2) نفسه ، ورقة 170 ، وماومول المصدر السابق ج 3 ص 196 .

3ـ الدازي :

هي عبارة عن ديكوتي مع وجود الخصلة في مؤخرة الرأس وأخذها شكل زينة الطربوش ، وكانت حلاقة الدازي تميز أبناء الشرفاء .

4ـ المانكا :

يضعون خصلة فوق الأذن يتميز بها أبناء العبيد .

5ـ البونو :

يحلق نصف الشعر ويترك النصف الآخر بدون حلاقة .

6ـ اليويو :

وهي حلاقة الشعر ما فوق الأذن مع ظفيرة واحدة صغيرة مشدودة بخيط من وبر الإبل .

والجدير بالملاحظة ان بعض قصات الشعر مستمدة من الشمال الافريقي، ففي ليبيا عندما يختن الطفل يحلق شعره، ويترك له خصلة في أعلى الرأس تعرف بالقطايه

7ـ ودين ديبتي :

وهي أن يحلق الشعر كالسابق ويترك وسط الرأس على هيئة ثلاث كورات (1) .

الطرب والتسلية :

عرفت المجتمعات السودانية بميلها إلى الفن والطرب ،وكان فن النحت على الطين والخشب والموسيقى المعتمدة على الأبواق والطبول والغناء ، والرقص من أبرز تلك الفنون وأكثرها انتشارا وقد حافظت الموسيقى السودانية على ايقاعها الخاص بها ،حتى في العهد المغربي بالرغم من ادخال المغاربة الالات المغربية كالالة الوترية المعروفة (بالكبري) وانواع من المزامير المصنوعة من القصبة فان

(1) Dupuis ; Y: Jndustries Principales Professinos, des Habitants de la Region .de tomboncton (Paris) 1921 . P . 130

الأوزان والسلالم ظلت سودانية صرفة، وقد كانت الالات السودانية القديمة عبارة عن أنواع من الطبول المختلفة الاحجام ومزامير القصبة المتعددة الثقوب، وكذلك الدفوف والقنين والقنينات التي جلبها اسكيا محمد الثاني زمن دولة سنغاي (1).

وقد وصف مارمول اهالي المنطقة قائلا (أهل السودان أشخاص يتصفون بالليونة والظرافة وحسن المعاملة والبشاشة ،يغنون ويرقصون على نغمات طبول ومزامير ،يشبهون في ذلك أهالي بعض الأقاليم في البرتغال .(2)

والسؤال المطروح إذن :

من الذي تأثر بالآخر أهم السودانيون أم البرتغاليون ؟

ليس لدى أي إجابة عن ذلك .

وبمجيء المغاربة للمنطقة شاع استعمال الصنجات الخشبية والنحاسية والرباب، والكنبري والغيطة،وكان نساء المغاربة يستدعين فرق الغناء الى منازلهن في المساء ،ويطربن لسماع الموسيقى والغناء والرقص ،(3)وكان الباشوات لا يخرجون لسفر في النهر او في البر إلا ومعهم جوقة موسيقية بصحبتهم أما في العاصمة فان الموسيقيين يأتون الى فناء المشور بعد صلاة العصر ، حيث يسعون ويرقصون لفترة من الزمن (4).

الطـــرب :

برع المجتمع السوداني في فن الغناء،وكان المغني لسان حال مجتمعه، ولم يقتصر الغناء على المرأة، بل كان الرجل هو الآخر يمتهن هذه المهنة، وكانت الأغاني التي تغنى في المناسبات لها مضمون تعبر عنه فالمغني قد يتغنى بجمال

---

(1) موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 21 ، وحسن الوزان ج 2 ص 89 ، محنود كعت ، المصدر السابق ، وعبد الرحمن السعدى ص 89 .

(2) مار مول ،المصدر السابق ج3ص203

(3) George HARis:opcit p162

(4) مجهول تذكرة النسيان باريس هوداس19ص95

فتاة ، لفت نظره جمالها وأخلاقها وحسبها وقد يكون مضمون الغناء مدح قبيلة أو شخص أو سلطان كان النساء يقمن بالغناء والطرب على آلات منها المزمار والعود والدفوف ،وكان يتخلل العزف على هذه الآلات مقاطع غنائية وزغاريد وكان نساء سنغاي يغنين وفق الظروف المحيطة بهن فبنات اسكيا الحاج محمد فرض عليهن السلطان محمد بنك ان يغنين له وهن كاشفات الرؤوس ،ومصحوبات بآلات الطرب وكن يغنين بان مار فرخ نعامة واحد خير من مائة فرخ دجاج (1) ومعنى هذا ان اسكيا محمد بنك وحيد ابويه انتصر على مائة من أولاد الحاج محمد وأصبح حاكما .

والجدير بالذكر أن فن الغناء كان يختص به بعض القبائل ، فقبيلة المابي في تنبكت وجاو هي التي امتهنت هذه المهنة بالدرجة الاولى وتتكسب منه بالحصول على الهدايا .

وبالاضافة إلى المغنين ،كان هناك الشعراء الذين ينظمون القصائد ، وأغلبها في مدح القبيلة أو شخص ماويتقاضون مقابل ذلك أموالا طائلة (2) .

ولنا ان نتساءل :

لماذا كانت البيئة الافريقية من انشط البيئات وأكثرها انتشار لفن الغناء والرقص والشعر ؟ .

لأن الرجل الافريقي ميال إلى الغناء والرقص ولأن الفراغ القاتل لابد أن يدفع صاحبه الى التفكير في ملئه ،وبذلك يتجه إلى الغناء والرقص أو الشعر .

- البيئة الصحراوية تنتج الابداع الفكري
- رجل البادية عندما يسير خلف قطعان مواشيه ، فانه يقرض الشعر

(1) عبدالرحمن السعدي ،المصدر السابق ص87، وعبدالرحمن السيوطى الحاوى للفتاوى المصدر السابق جـ 1 ،ص399-380

(2)GUPUis.y.op.clTP:80

وينسج الاغاني فرحا بسلامة مواشيه .

ومن ادوات التسلية التي كانت منتشرة في البيئة السودانية القصاص فيأتي بالليل الى حومة السوق حيث يتجمهر حوله الناس ، ويبدأ بقص حكايات يهيمن عليها الخيال ومن القصص التي كانت تروى ان الفقيه صالح بن الفقيه ابراهيم عندما كان يأتي لمسجد سنكري ينشق له جدار المسجد ويدخل الجدار ويتعبد فيه ، وتراب روضته نافع لوجع الضرس اذا وضع عليه وكذلك قصة الغول ... الخ (1)

والسؤال المطروح

هل تراب روضة الفقيه صالح ،اكثر بركة من تراب روضة الرسول صلى الله عليه وسلم !؟

ومن القصص التي كان القصاصون يروونها في حومة السوق على اسماع الناس قصة الملك جي بن قل ، ملك سل والبحيرة ، وفرس النهر ، ومفادها ان الملك جي بن قل حفر بحيرة طويلة من منطقة جالب ، إلى بامبك وذات يوم وهو جالس في قصره يتحدث الى أعوانه ، إذا بأحد أفراس النهر عندما اقتربت من مقر قصره اخذت تنعق وعندما سمعها الملك جي ، توقف عن الكلام وأمر عبيده بأن يحضروا له تلك الفرس النهري الى داره على قيد الحياة فذهب عبيده الى السماكين واعطوهم مالا كثيرا واستعانوا بهم على ذلك الامر فما كان من الصيادين الا ان حملوا تلك الفرس الى الملك بعد أن قتلت من الصيادين عشرين شخصا وضرب الملك الفرس الف سوط ووضع مع الفرس صرة مملوءة بالودع وامر بردها الى النهر وقال لها تداوي بهذه الصرة على الم وجروح الضرب ومن تلك الفترة عندما تقترب فرس

---

(1) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 219 ، وعبد الرحمن السيوطي ، الحاوي ، المصدر السابق ج 1 ص 380 ، لقد شاهدت ذلك في مدينة تنبكت عام 1996 م .

النهر من مقر الملك لا تحدث اي اصوات الى ان تتجاوزه (1) .

بالرغم من أن هذه القصة من نسج الخيال ، إلا أنها تعبر عن ازدهار أدب القصة في المنطقة وان هناك متخصصين في أدب القصة ومتفنين فيه .

وإلي يومنا هذا مازال القصاصون يتواجدون في أسواق تنبكت ، وجني ، وجاو واقدز وكني وغيرها من مدن افريقيا فيما وراء الصحراء ليمارسوا هذه المهنة ، ومن الحلقات التي كانت تعقد في الأسواق والحلات العامة حلقة العرافين والذين يستخرجون العين ،وأكثر رواد هذه الحلقات النساء وهن يحملن اطفالهن للتداوي من العين ، وحتى بعض حكام افريقيا فيما وراء الصحراء كانوا يؤمنون بفكرة العين فقد حذر اسكيا الحاج محمد اخاه فرن عمر ، من ذلك بقوله «لا تعرض نفسك للهلاك بالعين» (2) ومن الحلقات التي يعقدها اهالي افريقيا فما وراء الصحراء في اسواقهم حلقة تسخير الجن فقد اورد عبدالرحمن السعدي ان احد المشعوذين احضر خابية مملوءة بالماء وعزّم فيها ونادى باسم فأجاب وقال له اخرج الي فخرج شخص من الماء بقدرة الله على شكل الرجل الذي يريد أن ينتقم منه وجعل الحديد في رجـــليه ، وطعنه بالحربة ، كان ذلك زمن اسكيا اسحاق (3) .

على الرغم أن هذه القصة خيالية ،الا أنها تدل على أن هناك تعاملا بالشعوذة ، وخرج نطاق استخدام الشعوذة من التسلية إلى الضرر بالعباد فقد اورد كعت أن أحد الشيوخ في عهد دولة سنغاي ،زمن السلطان اسكيا محمد بان اجار وكيل السلطان عليه بضربه ، فاستخدم الشيخ ضده السحر بقصد الانتقام منه ، بأن كتب في قماش أسود كتابة وعلقها على عنق تيس (ذكر الماعز) وضربه بالرمح ، فمـــات ذلـك التيس ، ووافق ذلك اليوم

---

(1) موسى بن احمد السعدي ، مخطوط ورقة 20 .

(2) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 88 .

(3) نفسه ، ص 99 .

موت وكيل السلطان، على ميناء كبر ، المكان الذي تعرض فيه الشيخ للضرب (1).

وقد ذكر المغيلي في أسئلته لاسكيا الحاج محمد ،عن هذه المسألة أن هناك من يدعي أنه يعلم الغيب ،باستخدام خط الرمل ونحوه ،ومنهم من يترصد مواقع النجوم ويترجم وضعها في ذلك المكان الى حوادث معينة، ستحدث والبعض الآخر يترجم أصوات الطيور إلى أشياء معينة .

لقد وصف أحمد بلعراف تعاملهم بالسحر وخط الرمل بقوله : ولكن بعضهم يؤمنون بالخرافات ،لخط الرمل وضرب الودع واشباه ذلك ويؤمنون باهل السحر واهل السر الذين يستعملون اسماء الله الحسنى وآياته في غير المباح ليفرق بين المرء وزوجه ،ومنهم من يكتب لمن أراد حاجة عند احد ، يعتقدون في ذلك انهم يظهرونه، وهذا هو اعتماد كثير منهم ويكتبون في اشياء كثيرة حتى انه يتصور لعوامهم ان هؤلاء السحرة لهم قدرة وتأثير ... واهل السحر أرفع مقاما واكثر ارزاقا وحكما (2).

وهذا نعتبره نوعاً من التسلية عند كثير من أهل افريقيا .

من خلال استقراء الأحداث السابقة نطرح السؤال الآتي :

-ما مدى تقدم الفكر الافريقي ؟ وهل هو يجاري ما يحيط به ؟ .

-في الحقيقة أن جزءا من المجتمع الافريقي لم يرق في تفكيره الى المستوى الذي كان عليه الشمال الافريقي ، بل كانت تهيمن عليه الخرافات والأساطير ،التي تنم عن ضعف البيئة الافريقية علميا وعلى أن الرجل والمرأة الافريقية كان تفكيرهما محدودا وفي نطاق ضيق ، رغم أن البيئة كانت فيها حركة علمية الى حد كبير . وفي المقابل كان هناك تخلف واضح لان الشعوذة لا تنتشر الا في المناطق الفقيرة .

---

(1) محمود كعت ، المصدر السابق ص 130 .

(2) أحمد بلعراف ، اهمية التاريخ ، مخطوط ورقة 16 .

إن الرواسب التي ورثها أبناء المنطقة عن أبائهم واجدادهم لم تاخذ طريقها إلى التغيير بسرعة ،بل مكثت هذه الرواسب عالقة في أذهان الشباب والشيوخ على السواء بالرغم من التقدم العلمي الملحوظ في المنطقة ومن سائل التسلية التي كان السكان يمارسونها لعبة الشطرنج حيث اورد السعدي ان باشوات افريقيا كانوا يقضون وقتهم في هذه اللعبة (1) .

أما الاطفال فكانوا يتسلون بالعابهم الشعبية في الليل ،وقد أورد السعدي لعبة كان يمارسها الاطفال ،الا أنه لم يفصح عنها بقوله : فخالف على المصطفى وعزله ، فكان اسكيا ولم يمكث فيها إلا قليلا فسمع في ليلة واحدة اصوات الاطفال يلعبون فظن أن أهل سنغي هم الذين خالفوا عليه فخرج وهرب (2) وعلى ما اظن ان هذه اللعبة يعني بها السعدي لعبة «حلت» وهي ان الاطفال يربطون عيني أحدهم وتبقى أعين الباقي مفتوحة ، ثم يطلقون اصواتا من عدة جهات، والطفل المربوطة عيناه يحاول ان يمسك باحدهم بأن يتحسس مكان الصوت .

ومن أدوات التسلية التى استخدمها أهل افريقيا ،فيما وراء الصحراء القردة التي تقوم بحركات غريبة أمام الناس فتثير ضحكهم وهذا ما افاده الشيخ عبدالرحمن بن عمر التواتي في فهرسه عندما كان يحضر درسا للشيخ ابو العباس سيدي أحمد بن صالح السوقي ، عندما مر عليه صبي يمسك قردا ويأمره بعمل حركات مضحكة أمام الناس (3) كما كانت فترة انتهاء المحصول مناسبة لاحياء حفلات موسيقية تتخللها اغان وزغاريد يروحون بها على انفسهم (4) .

مازالت هذه العادة موجودة عندهم إلى اليوم ،وقد حضرت في مدينة

(1) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 89 .

(2) نفسه ص 311 .

(3) عبد الرحمن بن عمر عمر التواتي ، فهرسة لاشياخه ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 37 .

(4) محمود كعت ، المصدر السابق ص 56 .

سيكاسوا ، بجمهورية مالي عام 1987 حفل انتهاء الحصاد ، الذي تخللته أغاني ورقصات ، يختلط فيها الرجال والنساء على السواء ، وينتظمون في حلقات مشتركة من الجنسين يضربون على الدفوف والمزامير ، ويلعلعون باغان كلماتها تقول الزرع انحصد والخير جاء والناس تشبع ، واطلبوا الرجاء والله رازق ، ومن يطلبه ما يخيب ، والمطر كاثر والطيور كثيرة والذي يريد الزواج فليتقدم الليلة .

وقد أخبرني أحد الحاضرين منهم أنه في هذه الليلة يتم اختيار الشباب للشابات للزواج .

المناسبات الاجتماعية :

عادات الزواج في مدن المجتمع الافريقي :

كان الزواج في المجتمع الافريقي قبل مجيء الإسلام إلى تلك الديار غير منظم ، ويستند إلى مواريث فوضوية بعيدة عن التنظيم ، فليس للرجل والمرأة زوج معين بذاته ، بل أشبه حياتهم بحياة حيواناتهم التي يرعونها . فالمرأة يجتمع عليها أكثر من رجل ، وقد يصل إلى اثنى عشر رجلا في كوخ واحد ، والرجل يجتمع مع عدد من النساء كما كانوا يتناكحون بغير صداق ، وقد يتزوج الرجل المرأة الغنية وهو زواج مبني على المصلحية (1)

إلا إنه بمجيء الإسلام إلى تلك الديار غير إلى حد كبير هذه العادات ، وأصبح فيها نظام للزواج ، وفق الشريعة الاسلامية ولو أنه لم يستطع القضاء عليها ،وما يؤكد ذلك ما أورده إبراهيم باغو ، من ان رجلا واحدا من قبيلة كف بنر يدعى (افرنطك) كان له ألف وسبعمائة ابن (2) كذلك

---

(1) الإدريسي ، المصدر السابق 1 ص 22 ، وحسن الوزان ، المصدر السابق ج 2 ص 159 ـ 160 وماومول ، المصدر السابق ج 3 ص 196 ، عبد الرحمن السيوطي الحاوي ، المصدر السابق 380 .)

(2) ابراهيم باغو ، مسائل فقهية ، مخطوط ، مكتبة الشيخ عبد القادر التنبكتي ، بكني بدون تصنف ورقة ومحمود كعت ، المصدر السابق ص 57 .

السلطان اسكيا الحاج محمد كان له مائة ولد خلاف البنات ، وهذا أمر مستبعد لأنه لايمكن أن يكون كل هذا العدد من أربع نسوة ، مالم يكن من أكثر ، وهذا ما أورده محمود كعت ، على لسان السيوطي ، حيث قال : وقال له الشيخ ولك أبناء كثير ، نحو مائة رجل كلهم يتبعون أمرك ، في دولتك ثم يعكسون الأمر بعدك ، والعياذ بالله حتى يصير الأمر ملكا عضوضا (1) .

نستنتج مما سبق الآتي :

1ـ أن قبيلة كف ربما كانت من بين القبائل التي لم تكن على دين الاسلام.

2ـ أن الاسلام لم يتجذر في تلك المنطقة ، وان الذي طبقته وأخذت بتعاليمه الشعوب ، أما الحكام فاعتنقوه ،ولكن لم ياخذوا بكثير من تعاليمه وخاصة التى تكبح شهواتهم ، واسكيا الحاج محمد خير دليل على ذلك .

ومن المعايير التي لم يطبق فيها الاسلام في الزواج في بعض قبائل افريقيا فيما وراء الصحراء أن الرجل الملنكي يتزوج ابنة أخيه وهذا ما فعله مارنف صاحب أحد أفراد قبيلة الملنكيين ، حينما تزوج ابنة أخيه جاج فولدت له ولدا يدعى فخحا والجب الأخير ديما مخنجا (2) وسندق مخنجا .

كما أن لديهم عادات في الزواج لاتمت للاسلام بصلة ، تضاف إلى رصيدهم المخالف للشريعة الاسلامية ، وهي الجمع بين الاختين (فأم على كلن) (وسلمان نارة) شقيقتان ،فقد اورد صاحب الجواهر الحسان : وأما هما شقيقتان ، أما والدة على كلن فاسمها (اما) واسم والدة سلمان نار

---

(1) محمود كعت ، المصدر السابق ص 13 .

(2) موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 256 ـ 280

(فت) ...

وعندما مكثت فترة من الزمن لم تلد قالت لزوجها تتزوج أختي لعلك تجد منها ولدا ، فتزوجها فحملتا بقدرة الله معا في ليلة واحدة وولدتا كذلك في ليلة واحدة ولدين ذكرين (1) ، وكذلك الملنكيون لا يتزوجون من قبائل الفلان (2)

ويأتي الآن هذا السؤال :

ـ لماذا لم يأخذ الاسلام طريقه في العديد من عادات وتقاليد أبناء افريقيا فيما وراء الصحراء ، على الرغم من وصوله إلى تلك المناطق قبل زمن دولة غانا الوثنية ؟ .

ليس لدي اجابة عن هذا السؤال وانما هو توضيح فقط :

عندما جاء الاسلام إلى تلك المناطق وجد أمورا قد طبعت ، تلك المجتمعات مثل الأكل ، والشرب ، والجنس ، فلم يستطع ان يغيرها وإن حدث تغير فإنه طفيف الى حد ما ، فالرجل ، افريقيا فيما وراء الصحراء له غريزة جنسية فياضة إلى يومنا هذا وربما يكون مرجع ذلك الى العوامل الطبيعية المحيطة به ، والعوامل الفسيولوجية لكن عندما اعتنق الاسلام طبق اركانه الخمسة ، وتسابق في الطاعات تقربا لله ، وبرع في العلوم الدينية ، وحفظ المتون ، والحواشي والف فيها الا انه تجاهل التعاليم التي تخص حياته الاجتماعية ولم يعمل بها والى يومنا هذا فالاسلام عندهم يكمن في الشهادتين والصلاة ، والصيام والزكاة والحج وعندما تراهم يتوافدون علي المساجد فرادى وجماعات ، نساء ورجالا وشبابا ترى عظمة الاسلام متمثلة فيهم ، ولكن في المقابل ترى ممارسات في العملية الجنسية واتصالهم ببعضهم

---

(1) ـ أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان (في اخبار السودان مخطوط مكتبة الباحث ورقة 4

(2) ـ موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 256

ما انزل الله بها من سلطان .

وتختلف عادات الزواج في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء ، من منطقة لاخرى ، وان اشتركت في بعض الجوانب ففي مدينة جني تتم طقوس الزواج بأن يخطب الرجل المرأة من وليها ،أو ممن ينوب عنها ويقدم العريس إلى عروسته صداقا يختلف من شخص لآخر حسب القدرة فقد قدم علي ابو جمعة الطرابلسي قاضي قندم الى زوجته ابنة شيخ قندام المام اربع ايلات مهرا وقد يقدم المهر في هيئة ذبيحة (1) وأصنافاً من الحلي ، والاطعمة ويقدم ايضا هدايا الى أهلها وتزف بذلك العروس الى زوجها على حصان مسرج ويستمر الفرح سبعة أيام يطعم فيه العريس ضيوفه ابتهاجا بهذا الحدث ، والانفاق في هذه المناسبة راجع الى حالة العريس الاقتصادية ومكانته الاجتماعية ، فالملك سني علي عندما خطب ام سلطان جني من ابنها اقام فرحا استمر سبعة ايام ، انفق فيها على ضيوفه بسخاء وقدم لزوجته شتى انواع الحلي ولاهلها اصنافا من الطعام وزفها على حصان مسروج ، واهداه بعد ذلك لابن زوجته سلطان جني بجميع مستلزماته وقد اصبحت فيما بعد عادة عند اهل مدينة جنى(2)

والسؤال المطروح هو :

ـ لماذا اقدم الملك سني علي على الزواج من أم سلطان مدينة جني ؟ .

1ـ مكانة المدينة وقوة تحصيناتها ، وجسارة سلطانها ، ومقاومة أهلها أفسدت كل حسابات الملك سني علي فمكث فترة من الزمن يحاصرها الى

---

(1) ـ علي بوجمعة الطرابلسي يبعث برسالة إلى أحمد بابا التنبكتي ، مخطوط ورقة 1 وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، الحاوي المصدر السابق ص379 انظر الملحق ص 693 .

(2) ـ مجهول ، نبذة من تاريخ جني ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 7، عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص15 ،

Rene caillie : vogAGE atounBouctou : paris 1982 tone I p 35

ان استولى عليها كل هذه الامور جعلته يفكر في امكانية كسب ود سلطانها وضمان ولاء المدينة له فتزوج ام سلطانها حتى يكون بينهم ود وكذلك تصبح امه ورقة ضاغطة على ابنها اذا ما حاول الانفصال عن الملك سني علي .

2ـ اعتبر الملك سني علي زواجه من أم سلطان جني انتصارا له وتذكيرا لسلطان جني بانه الاقوى وصاحب اليد الطويلة ، اذا ما وسوست له نفسه التمرد عليه .

أما الزواج في مدينة تنبكت فله طقوس ، يغلب عليها الطابع الاسلامي . فمن عاداتهم أن يتقدم العريس ، ويخطب محبوبته من ابيها فإذا وافق أكمل الفرح ،وقد أفصح لنا عن ذلك العالم المصلي المغربي الذي اراد خطبة بنت الفقيه محمود (1) .

وتكاليف الفرح قد يساعد فيها السلطان ، إذا كان الطالب له جاه عنده، وهذا ما فعله الفع كعت صاحب تاريخ الفتاش ، وكان في تلك الفترة يتولى امر القضاء في مدينة تنبكت فعندما أراد ان يتزوج أولاده الخمسة وبناته الاربع ارسل الى اسكيا داوود مع كاتبه نكر لنبار ، يطلب منه أن يعينه على متطلبات الفرح قائلا : (فنادى الفع كعت كاتبه بكر لنبار ، فجاء فقال له اردت ان ابعثك الى اسكي بحاجة لنا ، فقال انا رسولك بلا شك ، فقال قل لاسكي اني محتاج قصدناه فإن لي اربع بنات وخمسة بنين ، ويدخل بهن ازواجهن ، ونطلب منه اربع زرابي) (2) واربع اماء واربع (كلات)(3)وان يعيني في جهازهن واما البنون اريد لهم العمامة واريد منه

(1) ـ موسي بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 252 وعبد الرحمن السعدي المصدر السابق ص 31

(2) ـ نوع من البسط ينسج باليد من الصوف ويطلق عليه الى يومنا هذا في تونس اسم الزربية ، ويبدو أنه انتقل لجنوب الصحراء من شمال افريقي

(3) ـ كلات نوع من الحلي على هيئة دوائر ينظم ويعلق في الرقبة .

كسوة العام قميصين وعمامتين وقلنسوتين والدابتين فرسا (ورمكة عتيقة)(1) ومزرعة وعبيدها وبذرها واربعين حلابة ... ونريد منك يا اسكي الفع ان تخبره وتبلغه رسالتي وقال اسكي الفع تأمر احد تلاميذك ان يكتبها لئلا انسي منها شيئا فأمر احد طلبته فكتب وهو يملي اليه ورفع اسكي الفع ذلك إليه فقرأها عليه فتبسم ،فقال ومن يقدر على اعطاء هؤلاء دفعة واحدة الا ان يصبر ؟ فقال له اسكي الفع قدرك أعظم ورزقك اوسع من ما طلبه منك فضحك .. ان رأيته فقل له يقضي الله الكل ان شاء الله وماترك له حاجة الا اعطاه إياها في غده (2).

من خلال النص السابق يتضح الاتي :

1ـ ان الرجل الافريقي قد يزوج جميع بناته وبنيه في حفلة واحدة .

2ـ ان والد الفتاة ملزم بمنح ابنته عند زواجها عطايا متمثلة في الزرابي ، والكلات ، ونحوها ،وهو ملزم كذلك بمنح ابنائه عند زواجهم القمصان والالبسة والقلنسوات ، والعبيد ، والمزارع والخيل وقطعان الماشية ونحوها وهذا يدل على أن هناك تعاون بين الزواج والزوجة في مراسيم الفرح .

3ـ مكانة القاضي في نفوس ملوك سنغاي ، يتسابقون فملوكهم في كسب ود القضاة حتي ولو كلفهم ذلك الود أموالاً طائلة ،نظرا لان القاضي يملك الجانب الروحي الذي يستطيع ان يضم له عامة الشعب .

4ـ الملابس التي يلبسها عريس السودان الغربي هي نفس الملابس التي يرتديها عريس غدامس وهذا ما اشار اليه بشير يوشع من ان زي العريس في غدامس يأتي من السودان(3) .

---

(1) ـ ور مكة نوع من الكراسي الفاخرة .

(2) ـ محمود كعت ، المصدر السابق ص 108 ـ 109

(3) بشير قاسم بوشع ، المرجع السابق ص244.

لقد كانت المرأة عند زواجها تهدي الي زوجها انواعا من الثياب وما يؤكد ذلك فتوى لاحد علماء السودان الغربي ونصها : « سئل بعض الفقهاء عما تخرجه المرأة لزوجها من اثواب اللباس عند البناء ثم تطلبه عند المشاجرة او الطلاق .

فأجاب ما أخرجه أحدهما لصاحبه قبل العقد على وجه الهدية ثم وقع النكاح فلا رجوع للمعطي ، فيما اعطى بعد الفراق لا قبل البناء ولا بعده ... فإن طلقها بقرب العطية فترجع في عطيتها ولا يرجع هو ان بعد ما بين العطية والطلاق لم ترجع لأن ذلك لأمر حدث والله أعلم (1).

اما في مدينة جاو عاصمة امبراطورية سنغاي فإن ما يصدق على المدن سالفة الذكر يصدق على مدينة جاو ، من حيث الخطبة والاعداد للفرح والمهر واقامة الفرح فكان زواج الملوك يختلف عن زواج العامة من حيث الاعداد ، والبذخ ، والديباج ،والحلي وتقديم الولائم للأحباب من الذين يقطنون في مناطق أخرى وهذا ما افادت به رسالة بعثها علي بوبجمعة الطرابلسي قاضي قندام الى احمد بابا التنبكتي بمدينة تنبكت عندما ما تزوج الاول امرأة من قندام قال : « وابين لك بأني تزوجت بنت شيخ بن عبدالله المام في قندم وستاتيك وليمتكم » (2).

كان من عادة ملوك سنغاي في بعض الأحيان أن يتزوجوا من بنات الملك الذي يغزوه فقد تزوج اسكيا الحاج محمد بنت ملك كانو ،عندما ،غزاه وفي بعض الأحيان يزوج ملوك سنغاي بناتهم الى كبار التجار ،والأثرياء ،حتى وان لم يكونوا من البيت الحاكم وقد زوج اسكيا الحاج محمد اثنتين من بناته لاخوين من كبار التجار (3)

(1) مجهول ، فتاوي فقهاء السودان مخطوط مكتبة الباحث ورقة20

Rene caillie op 36

(2) ـ بوجمعة الطرابلسي ، يبعث برسالة إلى أحمد بابا التنكتي ، مخطوط ورقة 1 .

(3) ـ حسن الوزان ، المصدر السابق ج2ص166 ـ 173

تحمل العروس التي تزف الى ملوك سنغاي معها العبيد والاماء ، والاثاث والامتعة وادوات كلها من ذهب على هيئة (صحائف) (1) وقلائد ، ومهراس (ومدق) (2) ونحوه وهذا ما فعله قائد اسكيا داوود (سوم انز) عندما تزوج نار بنت سلطان ملي ، بعد انتصاره عليه (3) .

العرض السابق يوضح لنا شيئين اساسيين هما : ان صاحب الثروة قد يصاهر الملك ،وأرياء سنغاي ، هذا عن الحكام وقادتهم ، اما عامة المسلمين فانهم يزوجون بناتهم وأولادهم وفق ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية بعيدا عن التفرقة القبلية فقد زوج عثمان بن احمد الاندلسي القاطن في ساكو بناته لرجال من قبيلة سل وجاب وفوفنا (4) الشيء الذي يدل على انعدام روح التفرقة والتعصب ، عند المسلمين من سكان افريقيا فيما وراء الصحراء فهذا عثمان الاندلسي لم يراع في زواج بناته اي اعتبارات قبلية من حسب ،ونسب ونحوه لأن الاسلام لا يفرق بين أبيض وأسود الا بالتقوى والعمل الصالح .

ونساء اهل مدينة جاو عرفنه بالجمال الفائق ،وقد وصفهم موسى بن احمد السعدي قائلا : اهل جاو معرفون بالجمال الفائق ، لا أعرف هل ورثوا ذلك من اهل مسل لاختلاطهم بهم ام غير ذلك (5)»

وقد استخدم حكام هذه المدينة جمال نسائهم في استمالة أعدائهم من اهل بسل ، فعندما أراد ملك بسل محاربة ملك جاو ايقن ملك جاو انه لا قدرة له على مواجهة خصمه فاستخدم الذكاء والدهاء بأن زوج بناته ذوات

---

(1) ـ أداة تستخدم في طحن الطيب والكحل ومن على شاكلتهم .

(2) ـ حلي على شكل دوائر تربط بعضها ببعض توضع على الرأس وتشد بسير من الجلد .

(3) عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص104.

(4) محمد محمد المفتي (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة17.

(5) ـ موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 246 .

الجمال الفائق لاهل بسل فأخرج (جاورنكوب) بنتا لهم تدعى (سندي) ابنة (بنجك وال سقا) فتزوجها (صحب ياسين) ، واخرج اهل (جبن كنت سلم بكر) بنتاً تدعى (كُد انكر) فتزوجها (خس) من كبار اهل بسل واخرج اهل (سنبكون) بنتا تدعي (حامن) فتزوجها (لوال صحب كني) وكان هؤلاء الثلاثة من كبار سادة بسل ، وبذلك اجتنب اهل جاو الحرب مع بسل ونجحوا فيما خططوا له (1) .

العرض السابق يترجم على شيئين مهمين هما :

1ـ الجمال الذي كانت تتمتع به نساء جاو

2ـ ان حكام جاو كانوا على علم ودراية ، بما كان يحبه حكام بسل ،وخاصة حبهم للنساء ،ومن هنا وظفوا هذه المعلومة لتجنب سيطرتهم عليهم .

3ـ ان حكام سنغاي كانوا على درجة من الدهاء والحنكة السياسية ،الأمر الذي يؤكد وجود مستشارين لدى سلاطينها ، يقدمون لهم الرأي والنصيحة كلما ارادوا ذلك في سبيل استمرار الدولة ومكوث حكامها على سدة الحكم .

أما الزواج عند أهل خناب وجن كنت ،يتزوج أهل هاتين المنطقتين بعضهم البعض ومن عاداتهم اذا تزوجت بنت من بنات خناب فزوجها يعطي صداقها لاهل جن كنت ، متمثلا في عجل ، واهلها من جن كنت فإنهم بدورهم يكسون بنتهم المتزوجة بكسوة تتمثل في رداء ولفائف طولها تسعة اذرع ومن عاداتهم اذا ذبحت لبنت جن كنت بقرة او ناقة فان اهل خناب يأخذون منها ضلوعها (2) .

---

(1) ـ موسي بن احمد السعدي، ورقة246

(2) ـ موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 252

ولكن ما الفلسفة من وراء أخذ أضلع الذبيحة ؟ .

سألت من لهم دراية من سكان هذه المناطق عن هذه العادة فاجابوا بأن هذه العادة ما تزال الى يومنا هذا وهي تعني عندهم ان في الاضلاع بقعا وخطوطا واضحة يحصونها وبعددها تنجب المرأة المتزوجة الاولاد والبنات ، كذلك يعرفون من خلالها كيف ستكون حياتهم الزوجية هل ستكون سعيدة ام لا ؟ سيعيشون أغنياء أم فقراء ؟ بمعنى أنهم يقرأون حظهم في هذه الضلوع .

أما قرية سنس فإن مهر الفتاة غال جدا ،شكل أرقاماً خيالية ً وربما يرجع ذلك الى جمال بناتها وحذقهن ، فقد أورد موسى بن أحمد السعدي، أن تاجرا غريبا يدعى (حامد سكل) نزل ببلدة سنس، وكان صديقا لاميرها وقد استشار التاجر امير سنس في امكانية الزواج من احدى بنات سنس فأشار عليه الامير بأن صداقهن غال ،فطلب منه التاجر ان يعينه على ذلك بأربعين مهرة من الخيل ومائة مثقال من الذهب وخمسمائة الف ودعة فأعانه الامير فيما طلب (1) .

مهما كانت صحة هذه المعلومات أوعدمها ،فإنها تكشف عن جوانب مهمة في حياة السكان وهي :

1ـ ثراء أمير سنس وطبقة التجار بها .

2ـ جمال فتياتهم .

3ـ نوعية المهر الذي يقدم للعروس .

4ـ ورود التجار الأجانب على البلدة ،دليل على نشاطها التجاري .

أما الزواج في قرية اسبن بافريقيا فيما وراء الصحراء فان عاداتها اذا تزوجت

---

(1) ـ موسي بن احمد السعدي ورقة 212 ـ 213 .

المـــرأة من خـــارج قريتـــها فالزواج ينتقل معها الى قريتها للعيش معها *(1) .

ـ وما الفلسفة من وراء مكوث الزوج لفترة من الزمن في قرية الزوجة ؟

ـ اعتقد ان بقاء الزوج الذي يتزوج من قرية اسبس في قرية الزوجة هو محل اختبار للزوج والزوجة على مدى تلاؤمهما مع بعضهما ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ربما يمكن ارجاع ذلك الى ان نساءهم منغلقات على انفسهن ولذلك يصبح من الصعب عليهن ان يعشن خارج قراهن ولهذا لابد ان تمر بهن فترة من الزمن قبل ان يتركن قريتهن وتستمر في الحياة الزوجية الجديدة .

بعد ان تعرضنا في الجزء السابق الى الزواج في افريقيا فيما وراء الصحراء في بعض مدنها وقراها نود ان نفيد بأن الزواج السالف الذكر في عمومه لدى السكان الذين يدينون بالاسلام يتم وفق الشريعة الاسلامية متمثلا في العقد الشرعي والشهود ، والواقعتان اللتان يرجع تاريخهما الى عام 1077 هـ / 1666 م تترجمان النظام المتبع في نظام الزواج ونصهما :

« الحمد لله وحده ، ولايبقى الا وجهه ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فليعلم كل من وقف على هذا الكتاب من القضاة والفقهاء والطلبة وغيرهم من جماعة المسلمين ان عائشة بنت محمد الشكاط قد تأهلت ابنتها من الحسن بن محمد بن احمد سداسية بحضر الشهود فهم خير بن عيسى بن المختار ، ومحمد البكري بن مومات والمبارك بن محمد بن جابر ومومن بن عبدالله وقع هذا وثبت بتاريخ المكمل (1177)مائة وسبع وسبعين بعد الالف 1077 من الهجرة النبوية (2) .

*ـ هذه العادة موجودة الى يومنا هذا في بعض قرى من جمهورية السودان فالرجل يسكن مع أهل زوجته إلى المولود الأول . ثم ينتقل بعد ذلك الى بيته باعتبار أن الزوجة مازالت لا تحسن الاهتمام بالرجل وعليه لابد أن تكون بالقرب من أمها حتى توجهها .

(1) ـ موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 159

(2) ـ مسعودة الشكاط بن الحسند بن محمد ، وثيقة عقد زواج ابنتها مخطوط مكتبة جبريل وكوري بتنبكت بدون تصنيف ورقة واحدة . أنظر الملحق ص

اما العقد الثاني فنصه : « فليعلم كل من وقف على هذا الكتاب من قاض وفقيه ، وطالب ان مسعودة بنت عمر قد اشهدت جماعة منهم خير بن عيسى ولبيت بن احمد ومحمد بن جابر وشظيف بن محمد بن سليمان السوقي ومحمد برمنك ومحمد بن واخم انها قد اعطت بنتها عائشة بنت محمد الشطاخي ثمانية خواتم فضة والعوض وقع هذا وثبت بتاريخ عام المكمل مائة وسبع وسبعين بعد الاف (1) .

من خلال النص الأول يتضح الآتي :

1ـ الديباجة التي كانت تكتب بها العقود .

2ـ أن صاحبة العقد عربية من سكان افريقيا فيما وراء الصحراء والذي تزوج ابنتها عربي .

3ـ أنها هي التي قامت بتزويج ابنتها .

4ـ ان العقد لا يتم الا بحضور الشهود .

5ـ واقعة الزواج كانت في فترة الحضور المغربي في افريقيا .

6ـ على ما يبدو ان عقود الزواج تودع عند القضاة ،أو الفقهاء أو طلاب العلم ،دليلا على ثقة السكان فيهم وأنهم محل كتم أسرار الناس .

اما العقد الثاني فانه يكشف على عدة جوانب :

1ـ الديباجة التي تكتب بها العقود .

2ـ ان صاحبة العقد عربية من سكان افريقيا فيما وراء الصحراء . .

3ـ ان زواجها غير موجود معها .

4ـ العقد يتم بحضور الشهود وهو ما يوافق تعليم الشريعة الاسلامية .

5ـ ان مهر عائشة ثمانية خواتم فضة ،دليل على أن الفضة من ضمن المعادن التي تمنح مهرا للفتيات ،

6ـ ذكر الخواتم بالعدد دليل على قيمتها المالية .

7ـ يبدو ان من مظاهر جمال العروس ان تلبس في اغلب اصابعها الخواتم .

8ـ كان تاريخ العقد في فترة الحضور المغربي في افريقيا فيما وراء الصحراء .

وهذا نموذج آخر من نظام العقود الزوجية، الذي كان متبعاً في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء وهو يمثل الصداق ونصه : « الحمد لله تزوج على بركة الله تعالى ، وحسن عونه وتوفيقه الجميل ،ويمينه ،فلان بن فلان الفلاني ، على فلانة بنت فلان الفلاني ، البكر في حجر وتمت ولاية نظرة حل النكاح على صداق مبارك ،مبلغ نقده كذا ،او مبلغ كذا كذا يؤديه لها انقاضا ،بحساب كذا ،ولكن آخر كل عام يأتي من تاريخية لا يبر به الا الواجب، من ذلك تزوجها بكلمة العلية ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، التى إليها والبرية وعلى الأمانة والأمان على ما جاء في محكم القرآن من امساك بمعروف او تسريح باحسان انكحه اياها والدها المذكور لما ملكه الله تعالى من امرها وجعل بيده من العقد عليها والنظر الجميل لها وقبله الزوج المذكور قبولا تاما ، ورضي به وارتضاه والتزمه نفسه ، وأمضاه ،والله تعالى يوفق بينهما على ما يحبه ويرضاه عرفا قدره وشهد به عليها كل كمال الاشهاد طوع وجوازا (1) .

اما الزواج عند قبائل الطوارق يمر بنفس المراحل السابقة ،الذكر من الخطبة والعقد واقامة الفرح الا انها تختلف شيئا ما عن ذلك لان الزواج يكون من نفس الطبقة فالشاب والشابة من طبقة النبلاء ،ولا يتزوجان الا من نفس طبقتهما ،وعندما يعجب فتى بفتاة ،يذهب العريس ووالداه واقاربه وبعض من اصدقائه الى خيمة والد العروس ،وينزل بعيدا عنها في خيمة احد الاصدقاء ويرسل والديه إلى والد العروس يطلبانها للزواج .

وعندما تتم الموافقة يعينان المهر فيرجع والدا العريس الى الخيمة التي يقيم فيها العريس ،ويعرضان عليه المهر المطلوب دفعه للعروس ،واذا وافق على المهر

(1) ـ مجهول الوثائق الفاسية والجواهر النورانية ،مخطوط مركز أحمد بابا التنبكت رقم 2751 ورقة واحدة .

يكلف اخاه او ابن عمه للذهاب الى والد العروس لتقديم المهر (1) .

الـمهـــر :

يكون مهر العروس حسب مركزها ومركز العريس الاجتماعي وانتمائهما الطبقي فالمهر عند طبقة النبلاء عادة ما يكون من ستة الى سبعة من الابل مع اشياء اخرى مصاحبة للمهر متمثلة في ملابس وحلي وعطر للعروس اما بقية الطبقات فان مهر الفتاة رأسان من الماعز ونحوه(2) .

مراسيم العرس :

لا يتم الزواج في المجتمع التارقي إلا بعد إتمام المهر، وإحضاره كاملا الى أسرة العروس ،مع هدية الى والدة العروس وعادة ما تكون ثورا أو جملا وتطلب هدية والدة العروس بطريقة فنية تعبر عن رقي المجتمع التارقي وطريقة اخذها تتم بحضور النسوة الى أم العروس لتهنئتها بزفاف ابنتها ، حيث يجلسن على شكل دائرة في وسط الدائرة (آلة تيندي (3)) تشبه الطبل ويضربن النسوة على هذه الآلة ،وهن يزغردن ويطالبن بهديتهن التي تعرف عندهم (بتاغتست) وهنا يتقدم اصدقاء واقارب العريس على جمالهم وامامهم الهدية التي هي عبارة عن ثور او جمل وعندما يقتربون من النسوة يقطعون بالسيف عرقوب الجمل او الثور فيسقط على الارض وينحروه ويتركونه للنسوة اللائي يقطعن لحمه ، فكل من قطعت منه لحمة فهي لها أما لحم الظهر فيترك لفئة الحدادين ولا يجرؤ احد على اخذه من بقية الطبقات (4) .

(1) ـ أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان في أخبار السودان ، مخطوط ورقة 15 ، ومحمد سعيد القشاط ، التوراق عرب الصحراء الكبرى ، ط : 2 ايطاليا : مطابع اديثار 1985 ص 177 وبشير يوشع، المرجع السابق ص 319 .

(2) ـ أحمد بابير الآرواني ، الجواهر الحسان في اخبار السودان ، مخطوط ورقة 15 .

(3) ـ انظر الملحق ص 825 .

(4) ـ محمد محمد المفتي الأموي (مرحبا) فتح الحنان المنان مخطوط مكتبة الباحث ورقة 79 عماد الدين غانم ومكايل محرز محمد الاسطى وآخرون ، الصحراء الكبرى ، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدرسات التاريخية 1979 ص 245 .

يتواصل الاحتفال ثلاثة أيام يكون فيها العريس واصدقاؤه في ضيافة اصهاره وبعد مضي الثلاثة ايام يذهب العريس ويحضر المهر وكذلك (تيوسي) وهي اشياء ملحقة بالمهر متمثلة في ملابس العروس وكمية من البخور والعطور واحذية وملحفة لام العروس وعندما تحضر هذه الاشياء يستمر الحفل من جديد وياخذ الجيران نصيبهم من هذه الهدايا وعادة ما تكون الدخلة في اليوم الثالث من الاحتفالات حيث يجهزن جملا لكي تركبه العروس ومعها اختها او خادمتها ويقود جمل العروس النسوة نحو خيمة العريس وعادة ما تكون مضارب خيام اهل العريس غير بعيدة وتسبق أم العريس وصول الموكب بان تأمر ببناء خيمة العروس التي تكون عادة خارج الخيام ،الى جهة الشرق .

ويحف هذا الموكب رجال يمتطون المهاري ،ويقدمون عروضا فنية . وتحضر العروس معها إلي بيت العريس عددا من الأشياء متمثلة في جمل ،وخيمة ونسيج ،وغرائر من الجلد ،وقدح من الخشب ،ونسيج تغطي به الأواني، ومخدات من الجلد .

كما تحضر معها لحافا، ولباسا للزينة ،وغطاءا للرأس ،وأقراطا ،وقلادات من الفضة ،وقلادات من الخرز ،ووشاحا من السيور الجلدية ،وعددا من الخواتم .(1)

عند وصول موكب العروس، تنزل العروس في خيمة والدة العريس ، ويدخل العريس الى خيمته ،فتتقدم النساء ليلا ومعهن العروس خارج خيمة العريس للمفاوضات بين وكيل العريس ،ووكيلة العروس ،وتطلب وكيلة العروس، عددا من الملابس ،والعطور ،حتى يسلمن للزوج زوجته وبعد مفاوضات قد تطول الى الساعات الاولى من الفجر يوافق وكيل العريس على

(1) ـ عبد القادر جامي ، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة من الاسطى ، طرابلس دار المصراتي 1974 ص 166 المرجع السابق ص 92 ـ 93 .

طلب وكيلة العروس فيسلمن له العروس ويسلم هو الأشياء المتفق عليها ويتقدم النسوة بالعروس الى خيمة العريس الذي يكون جالسا في خيمته ، ولابسا لكامل زينته المتمثلة في قميصين من القماش الواسع احدهما ابيض والآخر ازرق يعرف بالسوسي وعمامتين أحدهما بيضاء والأخرى زرقاء وسروالا واسعا ومداسا ومعطر لملابسه ومضيقا فتحة لثمامه وحاملا لسيفه وخنجره ومرتديا احجبة متدلية من رقبته وفي مقدمة عمامته (1).

يدخل العريس على عروسه ،في الليلة الاولى ،وفي الصباح يقدم له ولاصحابه شحم سنام ناقة ،فإذا كانت العروس بكرا فإنهم لا يأكلونه ،بل يقطعونه ويزينونه بالنيلة يعطرونه ويرجعونه الى النسوة وبهذه العلامات يعرفن ان العروس بكر فيطلقن الزغاريد فرحا بذلك الحدث ويقوم العريس وينحر الناقة المعدة لذلك وان كان العكس فان العريس واصدقاءه يأكلون شحم الناقة اشارة الى انها ليست بكرا فلا يذبح الناقة التي تذبح بعد الدخله وبهذا العمل يضعف مركز المرأة اجتماعيا بين عشيرتها الا انها لا تطلق (2) .

الا أني أستبعد هذه المعلومة ،بالرغم من ورودها في مخطوط لان قبائل الطوارق اكثر غيرة على نساءهم من قبائل السودان الغربي .

وهذه الطقوس تخص طبقة النبلاء أما إذا كان العريس من طبقة ايمغاد او العبيد فإنهم يقدمون للعريس واصدقائه صباح يوم الدخله لحم الماعز ومن ضمن اللحم لحمة الكتف فاذا كانت العروس بكرا فإن العريس واصحابه يأكلون اللحم ولا يأكلون لحمة الكتف بل يزينوها ويعطرونها ويرجعونها للنسوة اللائي احضرن اللحم اشارة الى ان العروس بكر وان كان غير ذلك فان العريس

---

(1) ـ أحمد بابير الارواني ، الجواهر الحسان ، مخطوط ورقة 20 والحضارة الاسلامية في النجير ، المرجع السابق ص 134 .

(2) ـ جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غداد بن ليم ، ذكر رحلتي إلى اقدار مخطوط مكتبة الباحث ورقة 76 وعبد القادر جامعي المرجع السابق ص 188. واسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر : المؤسسة الوطنية لكتاب ص 117 ـ 178 .

اصدقائه يأكلون لحمة الكتف ،ويثقبون الكتف .

ومن طقوس الفرح عند الطوارق احتجاب العريس في الخيمة لمدة اسبوع حيث يحضر له الطعام ومعه اصدقاؤه الذين يشكلون حكومة من الرئيس وهو السلطان والوزير وكيل السلطان والقاضي والشرطة ويستمر الشباب في العابهم المختلفة من مصارعة وجري طوال ايام الاسبوع وطيلة الاسبوع لا يقابل العريس والديه وصهره ولا ام زوجته .

اما العروس فانها تخرج كل يوم مع صديقاتها حيث يضيفانها كل يوم عند واحدة منهن ولا ترجع الى خيمتها الا ليلا بانتهاء الاسبوع ينتهي الفرح ، ويعود الجميع الى منازلهم وتمكث العروس بجوار خيمة والدها الى ان تلد المولود الأول ، وبعد أن تلد يحملها زوجها إلى بيته (1) .

الإحتفال بالمولود وختانه :

من أنواع الفرح لدى أهل السودان ،الإحتفال بالمولود ،وختانه ،اذ كان لدى أهل السودان الغربي ميل غريزي الى البهجة ،والمرح ،فوجدوا ضالتهم في التعبير عن ذلك من خلال الحفلات ،التي أقاموها أو حضروها أو إشتركوا مع غيرهم فيها ،ووصف أهل افريقيا بأنهم المجتمع الضاحك اللاهي، وبذلك درجوا على اقامة احتفالات وولائم في اعراسهم او عند زيادة مولود او ختانه .

يختلف الاحتفال بالمولود عندهم من منطقة لاخرى ففي بعض المناطق عندما يأتي المولود فان ابواه يطرحانه ارضا في بيت مظلم بدون غسله ويمكث ليلة كاملة الى الغد واذا ولد لهم مولودان في فترة واحدة فالذي يبتدأ به الغسل يعتبر الأكبر وهذا ماحدث لعلي كلن وسلمان نار، فكان علي الأكبر عن

---

(1) ـ حنيد بن محمد البخاري ، مخطوط ورقة 8، وفيج حي دي ، تاريخ غرب افريقيا ترجمة وتقديم السيد يوسف نصر ، القاهرة دار المعارف ص 63وعماد غانم ، الصحراء الكبرى ص 244 ـ 245 ومحمد سعيد القشاط ، التوارك عرب الصحراء الكبرى المرجع السابق ص 96 ـ 97 وبتير بوشع المرجع السابق ص 320 .

سلمان نار(1) .

ونتساءل حول هذه العادة

هل يبقى المولود على قيد الحياة ليلة كاملة وهو يفترش الأرض وخاصة إذا كان الوقت شتاء ؟ ،

على الرغم مما في هذه القصة من طرافة ،الا أنني أستبعد أن يفعل والد بولديه ،هذا لأنهما إذا كانا في فترة الشتاء فانهما حتما سوف يفارقان الحياة .

فهذه العادة ربما لم تكن بهذه الكيفية ،التي قدمت بها ،فقد تعطيهم الأم جرعة من الحليب ،وتغطيهم في غرفة مظلمة للصباح ،ومن بعد يتم غسلهم .

عندما يقترب وقت الولادة ،يتأهب الوالدان لاستقبال القادم السعيد ، ويبدآن في تحضير ما يمكن تحضيره من لوازم البيت ،ويشاركهما في ذلك الأقارب والاصدقاء وخاصة اذا كان القادم بكر والديه فان التأهب والإستعداد يكون أألغ وأكثر فإذا كانت الجدات على قيد الحياة فغالبا ما يقع العبء عليهن خاصة الجدة للأم .

ومن أدوات التجهيز ، صنع فرش للمولود الجديد ، من صوف الأغنام ،وعندما يولد المولود تقبله قابلة بلدية وتغسله بالماء الفاتر ،و تلفه في خرقة بيضاء صوفية ،من النوع الخفيف وتعصب رأسه بقماش من الصوف ،ثم تعصبه بعصابة صوفية اخرى ثم تاخذ شيئا من زيت الزيتون تخلطه بالماء وتعطي المولود أربع مغارف صغيرة ،فهذا الشراب الممزوج ، يكون أول ما يدخل جوف المولود الجديد .

تلتقي نساء الحي والأقارب عند أم المولود وهن يغنين، تعبيرا عن الفرحة حاملين معهن أنواعا من الهدايا ،متمثلة في الأقمشة والدراهم .ويقوم والد

---

(1) ـ احمد بن بابير الارواني ، الجواهر الحسان في اخبار السودان ورقة 4 وموسى بن احمد السعدى مخطوط ورقة 108 ـ 109 ومحمد بن مولود آل احمادن ، فتوى في شأن عادة اهل ولاته في الزواج ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 4.

المولود بذبح شاة وإقامة وليمة يدعو لها الأحباب والأقارب وحفظة كتاب الله (1).

واحتفاء بالمولود يقدم الوالد للمولود بعضا من الذهب الذي يصبح ملكه عندما يبلغ سن الرشد وهذا ما حدث للقاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد اقيت ، حينما ازداد له ولد خصص جزءا من ذهبه لابنه (2).

اما تسمية المولود ففي الاغلب الاعم يسميه كبير العائلة وعادة يشتق اسمه من اسماء رجال العائلة المتوفين (3).

يوم الاربعين للمولود :

بعد مضي اربعين يوما ، على ولادة المولود ، تحتفل الاسرة مرة اخرى بمولودها الجديد ، وخصوصا البكر وكان يعرف عندهم بيوم الاربعين وفي ليلة ذلك اليوم فان امه تخضب كفه بالحناء ان كان ذكرا وان كانت انثى تخضب يديها ورجليها وقبل ذلك اليوم تكون امه قد احضرت الاشياء التالية لتزين بها ولدها .

1ـ ثوباً جديداً مخططاً .

2ـ طاقية من قماش الصوف الحاك محليا ،على شكل غطاء البرنس ، تصنع به ثلاث وردات من الاعلى ،تعمل من الصوف، وملونة باللونين الأحمر والأخضر ، تعرف (بالنفانيف) .

3ـ تطرز له عصابة من القماش مرصعة بالودع والخرز الجيد .

4ـ قلادة تحتوي على خمسة أحجبة موضوعة داخل جلد لونه أحمر ، من

---

(1) احمد بابير الرواني ،الجواهر الحسان في اخبار السودان ورقة10ومحمود سلام زناتي ،الاسلام والتقاليد القبلية في افريقا بيروت :دار النهضة العربية 1969ص220.

(2) عبدالرحمن السعدي ،المصدر السابق ص34.

(3) نموسي احمد بابير الارواني الجواهر الحسان مخطوط ورقة11

الفيلالي ،ومنهم من يزين تلك القلادة بترصيعها بالودع وقرن غزال صغير وقطعة من الخشب على هيئة سمكة اويد فيها خمسة اصابع تعرف بالخميسة او تحوي مسحوقا من الكمون ،وأنواعاً من التوابل فتعلق جميع هذه الاشياء على صدر المولود حفاظا عليه من العين والشياطين .

وهكذا كانت الاسرة تحتفل بيوم الاربعين بعد ان يكحل الطفل (بالأثمد)(1) ويدهن بالزيت ويزين وفي ذلك اليوم توزع على الاهل والجيران اصناف من المأكولات ويتصدق بشيء من التمر والحليب على طلبة القرآن الكريم .

والمولود يعتمد في غذائه بالدرجة الاولى على حليب امه الا انهم يعودونه على الاكل منذ وقت مبكر بمزج الحليب مع دقيق الكوهمني (2) .

اما بعض قبائل افريقيا فيما وراء الصحراء وخاصة السوننك والبنبارة ، فان عاداتهم تختلف الى حد كبير عن باقي العادات السالفة الذكر فالسوننك والبنباره اذا جاءهم مولود فانهم ينسبونه الى أمه، فمنسا موسى ملك مالي يطلق عليه كنكا موسى أي أنه يدعى بأمه واولاد جابق يطلق عليهم جابق فنجن ولد الخس مريم وهم علي خس ومخي ومبي وخس .

ويطلق على المولود اسم سمكة في نهر النيجر تعرف عندهم بتحب ويطلق عليها الفلان سدر . تطلق رائحة كريهة ولا يحمل المولود اسم السمكة الا المرأة التي لا يعيش لها الاطفال (3) .

تحتفل الأسرة بيوم الختان ،الذي يكون عبارة عن دعوة لمائدة أكل تعقبها التهاني بطول عمره ،وصلاح حاله ،ثم تعطى الهدايا لأسرته ،من قبل النساء وفي بعض القبائل ،يختن الأولاد بعد نهاية الاَسبوع الاول ومنهم من يختن طفله

---

(1) ـ نوع من النبات؛ يكثر بأرض السودان الغربي والشمال الافريقي تؤخذ جذوره التي عادة تكون غليظة تجفف وتدق ويكتحل بها وإلى يومنا هذا يستعملها أهالي تنبكت وجاو واقدز وغيرها من المناطق .

(2) ـ موسى بن احمد السعدى ، مخطوط ورقة 130 .

(3) ـ احمد بابير الارواني ، الجواهر الحسان ، مخطوط ورقة 5 ـ6 .

في الاربعين ومنهم من يصل عمر ابنه الى الخامسة والسادسة وفي هذه المناسبة تحضر اثواب بيضاء مزركشة للطفل ،ويعلم الاقارب والجيران قبل ذلك بالموعد وفي اليوم المحدد تصنع وليمة ويكون موعد الختان عادة عند الضحى وعندما ما يختن الطفل يوضع العضو في صفار البيض لكي يلتئم الجرح بسرعة بعد ذلك تنطلق الزغاريد ايذانا بالفرحة والابتهاج ثم يأتي بعدها النسوة لتهنئة الاسرة ومعهن بعض الهدايا وهن يرددن كلمة (ان شاء الله بزواجه وطول ايامه)(1).

أما في بعض مدن افريقيا فيما وراء الصحراء ،فإن عملية الختان تتم بجمع الصبيان في يوم واحد ،وحملهم إلى الصحراء وتخويفهم، ثم ضربهم حتى ينقطعوا عن البكاء ثم يختنونهم ويصنعون في نفس اليوم وليمة كبيرة يدعون لها الناس ،وتعقبها حفلات رقص وغناء، يختلط فيها الرجال بالنساء على السواء (2).

وعندما جاء المغاربة الى منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء ،ساروا على النهج الذي كان احمد المنصور يفعله في مراكش عند الختان فأخذوا يجمعون اطفال الفقراء ويقيمون لهم حفلا عموميا، وبعد الإحتفال يختنونهم ويوزعون على كل واحد منهم ثوباً وحصة من اللحم (3) .

وهذا يبرهن على مدى حب المغاربة لأهل منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء، وعطفهم عليهم وعلى انهم قريبون منهم، بمشاركتهم في افراحهم واحزانهم، الشيء الذي وطد العلاقات الطيبة بين المغاربة وافريقيا فيما وراء الصحراء، وجعلهم يمتزجون بالسكان الاصليين حتى أن جزءا كبيرا من جيش المنصور

---

(1) ـ مجهول ، تذكرة النسيان ، مخطوط ورقة 4 ومحمود سلام زناني ، المرجع السابق ص 227 .

(2) ـ عثمان بن فودي،نور الالباب مخطوط،مكتبة عبد القادر التنبكتي بأقدز بدون تصنيف ورقة 17 ـ18 ـ20 .

(3) ـ مجهول ، تذكرة النسيان ، مخطوط ورقة 5 ومجهول حديقة البستان على تواريخ اهل اروان ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 7 .

الذهبي ،فضل الإقامة في المنطقة بعد رجوع الحملة المغربية فالى اليوم مازال يطلق عليهم (الرماة) (1) .

أما عند قبائل الطوارق في أغلب الأحيان ،تمكث المرأة التارقية في المولود الأول في بيت والديها ، وتبقى إلى ان تضعه وتختنه ،وبعد ذلك تنتقل إلى بيت زوجها وفي بعض عشائر الطوارق ،فإن المرأة الحامل تأتي في الاشهر الاخيرة من الحمل الى بيت والديها لتلد فيه تحت رعاية والدتها .

تربي الولد الاول لدى قبائل الطوارق جدته لامه ويعيش بين اخواله ، حتى يصل الى سن البلوغ ثم يعود بعد ذلك الى اسرته اما الرضاعة فعادة ترضع المرأة التارقية ابنها واذا كان هناك ما يمنع ذلك ترضعه احدى قريباتها او بعض نساء مواليها .

وفي اليوم السابع يحتفل بتسمية المولود عن طريق القرعة بأن تذبح شاة للوليمة بعد أن يتناول الاكُل يحضرون قطعا ،من الكبد ، وكل قطعة تعني اسما معينا فتجمع جميع القطع ويتم إختيار واحدة منها ، ومن بعد يسمونه بالاسم الموجود على القطعة وعادة ما يسمون ابناءهم باسماء الصحابة اما ابناء العبيد فإن أسيادهم هم الذين يطلقون عليهم أسماءهم(2) .

والمرأة التارقية لها منزلة رفيعة في قبيلتها فالطوارق يقدرون أقاربهم من الأم كالخال ويعتبرون أبناءهم كالاخوة الأشقاء وينتقل الطبل من الأم إلى أولادها والى أبناء الأخت واذا لم يكن هناك وريث ، ينتقل الطبل إلى الأقارب من الدرجة الثانية الى الجدات والخالات ونحوهن (3) .

(1) ـ مجهول ،قبائل السودان في ذكر الاخوان ، مخطوط ، مكتبة الحاج اسماعيل آبا بقرية بيغونكي بمالي بدون تصنيف ورقة 28 ـ 29 التنبكتي بدون تصنيف ورقة ومحمد الغربي ، المرجع السابق ص 595 ـ 596 .

(2) ـ مجهول ، قبائل السودان في ذكر الاخوان مخطوط ورقة 35 وعبد القادر جامي المرجع السابق ص 180 .

(3) ـ محمد بن مولود آل احمادن ، فتوى في شأن عادة اهل ولاته في الزواج ، مخطوط ورقة 2 محمد سعيد القشاط ، التوراك عرب الصحراء الكبرى ، المرجع السابق ص 100 .

أما الختان فهو على النحو الآتي :

يجرى الختان في قبائل الطوارق للطفل فقط ويكون عادة في فصل الشتاء، ليسهل شفاء الجرح والذي يقوم بعملية الختان أحد الشيوخ المدربين ،ويكون الختان في السنوات الأولى ،من عمر الطفل ،حيث يرتدي الصبي قبل الختان قميصا أبيض اللون مطرز الجيوب الأمامية ويلبس كذلك طاقية خيط عليها قرن غزال وعود شجرة داد لإبعاد العين .

وعندما يختن الطفل يضعون العطور على أنفه ،ثم يمسكه أحد أقاربه ويجري مسافة ،ويرجعون ذلك إلى أن الجري يمنع رجوع الدم الى الجسم فلا يصاب بالمرض ،كما يعالجون الجرح بضميدة الطلح المسحوق او بضميدة نبات يطلق عليه بلبلن (1) هذا عن الإحتفال بالختان .

أما الإحتفالات بالمناسبات الدينية ،كانت هي الأخرى تتميز بطقوسها، واستعداداتها إلا اننا قبل الحديث عن هذه الاحتفالات يجدر بنا ان نتحدث عن الديانات التي كانت قبل مجيء الاسلام إلى منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء، واستمرت حتى بعد إنتشار الإسلام .

وقبل أن نتحدث عن الديانات نسوق تعريفا للدين؟

إن الدين في تعريف البعض هو الإعتقاد بوجود قوة أكبر من قوة الانسان، والتي يكون هو موضوعها ،وعليه يربط علاقة إيجابية أو سلبية معها (2) ومنهم من يعرف الدين بأنه : نسق من العلاقات بين عالم الإنسان لا المرئي وبين العالم اللامرئي ،يسيره خالق وقوي متعددة تحمل أسماء مختلفة كلها تعبر عن

---

(1) ـ احمد بابير الارواني ، الجواهر الحسان في اخبار السودان ورقة 3 ولامن بن احمد بكنو ، تاريخ اكدز مخطوط مكتبة الباحث ورقة 8 .

(2) ـ احمد بابير الارواني ، الجواهر الحسان مخطوط ورقة 3 ، وعبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 4 .

هذا الخالق الواحد (1) .

لقد كانت كل جماعة بشرية في افريقيا فيما وراء الصحراء ،تعتنق دينا بشكل أو بآخر ،وتعتقد في عدة قوى ،فمنهم من عبد الشمس ،ومنهم من عبد بعض الحيوانات والاسماك والدكاكير (2) .

وقد أورد صاحب الجواهر الحسان ،وعبدالرحمن السعدى أن أهل سنغاي قبل وصول زاء الأيمن ،كانوا يعبدون سمكا ، يظهر لهم فوق الماء في النهر ، فيجتمعون اليه ويعبدونه حيث يخيل لهم انه يأمرهم ويمتثلون لاوامره .

وينهاهم عن امور فينتهون عنها الا ان زاء الايمن رفض ذلك الامر وقتل ذلك السمك وخلص البلاد من الشرك والرعب الذي كان يسيطر عليهم (3) .

وفي مدينة زافقوا إحدى مدن إفريقيا فيما وراء الصحراء ،يعبد الأهالي حية كالثعبان ذات عرف وذنب ،رأسها كبير تدخل الى مغارة ،وإذا خرجت من مسكنها ،يقدم لها أهل زافقوا أصناف الطعام ،والشراب ،من عسل ولبن ،وإذا أرادوا خروجها أطلقوا صفيرا ،وتمتهوا بكلمات فتخرج إليهم (4) .

ان ما اورده البكري عن عبادة اهل زافقوا يدل على تخلف فكري واضح فكيف يعتقد إنسان ،كرمه الله وأعطاه عقلا يفكر به في ثعبان أضعف منه قوة وفكرا ؟

وفي بلدة التكرور، كان الناس يعبدون الدكاكير ويقدمون لها الولائم . إلى أن ولي عليهم وارجابي بن رابيس، وأقام عندهم شرائع الإسلام ،وحملهم عليها إلى أن توفي سنة إثنتين وثلاثين وأربعمائة 432 هـ / 1040 م (5) .

---

(1) ـ البكرى المصدر السابق ج 2 ص 868 مجهول مخطوط تراجم علماء باغرم ، مكتبة الباحث ورقة 5 .

(2) ـ البكرى المصدر السابق ، ج 2 ص 868 وإسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 170 .

(3) ـ نفسة ص 175 ومجهول ، تراجم علماء باغرم مخطوط ورقة 6 .

(4) ـ موسى بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 210 .

(5) ـ سيلا محمد عبد القادر المسلمون في السنغال «كتاب الامة » قطر 1986 ص 38 و يوسف روكز ، إفريقيا السوداء سياسة وحضارة بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1986 ص 42

ولقد أورد البكري أن أماكن التعبد كانت بعيدة عن المدن أما في مفازة حيث تقدم الطقوس الدينية الجماعية وإما في غابة منعزلة باشراف الكهنة ورجال الدين ،فقد أورد في هذا الخصوص قائلاً .. وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها وسحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم (1) .

ويتضح مما سبق أن الطقوس الدينية الرسمية كانت تتم في اماكن بعيدة عن الاماكن التي يقطن فيها السكان وكانت المعابد تحرم على غير الكهنة وتبقى محروسة بحراس نظرا لأنها تحتوي على مقابر الملوك الذين أعتقد الأهالى انهم وسطاء بينهم وبين القوى العظيمة والخفية وبذلك حظوا بعناية خاصة لدى الأهالي .

وكان الرجل الافريقي يتعبد في كل زمان ومكان فعبد العواصف وكل قوى يرى ضعفه امامها (2) .

إلا ان السؤال المطروح هو :

ما الفلسفة من وراء إنشاء أماكن للتعبد خارج المدن ؟

على مايبدو ان ذلك راجع لسببين هامين هما :

1ـ اعتقاد اهالي افريقيا فيما وراء الصحراء ان في تعبدهم خارج المدن يكونون اكثر تهيؤا لحضور القوى الخفية التي لايمكن ان تحضر في الاماكن التي تكثر فيها الاصوات البشرية ونحوها .

2ـ محاولة الكهنة عدم اختراق دينهم من قوى خارجية خاصة وان الاسلام في عهد دولة غانا الوثنية قد بدأ في اخذ مكانة في المنطقة وكذلك تجمع لاماكن العبادة في مكان واحد يعطيها هيبة وشأنا .

---

(1) ـ موسى بن احمد السعدى ، مخطوط ورقة 90 .

(2) ـ نفسه والورقة .

أنواع الديانات في إفريقيا فيما وراء الصحراء :

يورد عدد من الدارسين أنواع الديانات في افريقيا فيما وراء الصحراء، فالوثنية هي التي انتشرت في المنطقة أكثر من غيرها ،وهي تعني إضفاء النفس والروح على الكائنات غير البشرية، ويعتقد مريدوها ان الروح هي مبدأ الفكر، والحياة العضوية في آن واحد ، وتهدف العبادة عند معتنقيها الى تزويد الحياة البشرية بمدد من القوة لكي تضمن بقاء الانسان لأطول مدة ممكنة . أما المرض والتعب والفشل فمرده الى نقص القوى الحية (1) .

يظن معتنقوا هذه الديانة بأن كل شيء ،سواء كان حيوانا أم نباتا أم معدنا . فهو يتكون فضلا عن المادة التي يشكلها من الروح والحس الذين يضفيان عليه شخصية منفردة ومتميزة وفكر وارادة بارزتين (2) .

وتتفرع عن هذه الديانة معتقدات مثل الطوطمية التي تكمن في عبادة بعض الحيوانات . وكان لكل قبيلة وعشيرة طوطمها الخاص بها والذي تنفرد به عن باقي القبائل ، ووثنها الذي يدافع عنها ويجلب لها متطلبات الحياة من غذاء وكساء (3) فسكان اهل غانة يعبدون الثعبان الضخم واهل سنغاي يعبدون حوتا كبيرا ... الخ .

لقد كان الطوطم يمثل رابطة اجتماعية مهمة، بحيث أن العشيرة الواحدة تشترك في طوطم واحد .

ومن خلال العرض السابق يتضح أن الطوطم لا يمثل العبادة المشتركة فقط بل ابعد من ذلك ، فهو يمثل اللحمة الاجتماعية او الرابطة الاجتماعية إن صح التعبير بحيث أن العشيرة الواحدة تشترك في طوطم واحد ،وبذلك المصير

---

(1) ـ محمد محمد المفتي الاموي (مرحبا) التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ورقة 180 ومحمود سلام الزناتي المرجع السابق ص 198 .

(2) ـ احمد البكاي بن محمد بن المختار محمد ، رسالة في فضل التقوى ومضرة الفجور ، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 27 ب ورقة 6 .

(3) ـ نفسه ورقة 15 ونعيم قداح ، حضارة الإسلام وحضارة اوربا في إفريقيا الغربية الجزائر 1975 م ص 36 .

الواحد والعبادة الواحدة ،فهو الذي يدافع عن هذه المجموعة دون سواها .

كانت الطوطمية متنوعة بين القبائل ومنتشرة ، فمنهم من كان طوطمة عبادة الدكاكير او الاصنام ،ومنهم من قدس الطبيعة فقد عبد بعض الوثنيين الارض ، وكان لها شيخ مهمته حل كافة المشاكل، التي قد تحدث حول ملكية الارض ، وكانت تقدم لها القرابين في فترة الزرع والحصاد، تقربا منها واستعطافا لها بالاضافة الى روح الخوف التي تسيطر عليهم .

أما قبائل الماندي، فكان طوطمها تقديسها للحياة ،فكان نهر النيجر محلا للتقديس عندهم ا،ذ كانوا يقدمون له القرابين التي تمثلت في الاضاحي تقربا له (1) .

كما أن قبائل الديولا كان طموطمها المطر ويعتبر عندهم رمزا للخير ، والسعادة لأن القوى الخفية بالمطر تسعدهم (2) .

أما قبائل البنبارة والدوغون ،فطموطمهم أن الحيوان توأم الانسان ،وكل جد من أجدادهم يقابله حيوان عادي (3) أما الدموم إحد ى مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء كان اهاليه يعبدون صنما على صورة امرأة فوق قلعة ويشدون اليها الرحال وفي بعض المناطق يتبرك الاهالي بشجرة القطن ويزرع كل واحد شجرة قطن في بيته (4) .

لقد كان معتنقو الوثنية يعتقدون بأن أرواح آبائهم وأجدادهم دخلت بتلك الكائنات ،لكي تحمي الاحياء ،وتجلب لهم كل خير ومن هنا قدس الوثنيون اسلافهم وشرعوا في اخذ الاستشارة منهم في كل امورهم الحياتية . وما يؤكد ذلك ما اورده عبدالرحمن السعدي قائلا : ... فطلب امير المؤمنين اسكيا الحاج

---

(1) ـ مجهول ، تراجم علماء باعزام ، مخطوط ورقة 6 ـ 7 والاستبصار المصدر السابق ص 218 ـ225 .

(2) ـ عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 74، وعبد الرحمن السيوطي ، الحاوي ، المصدر السابق ج2ص380 .

(3) ـ احمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان في مقائد الإيمان ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 13 .

محمد من السيد المذكور ان يكون مرسولا بينه وبن سلطان موسي فقبل ووصل اليه في بلده ، وبلغه رسالة اسكيا في الدخول في الاسلام .

فقال له حتى يشاور آباءه الذين في الآخرة فمشى الى بيت صنمهم مع وزرائه ومشى هو معهم للنظر كيف يشاور الاموات فعملوا ما يعملون من عوائدهم في صدقاتهم فظهر لهم شيخ كبير فلما رأوه سجدوا له واخبروه الخبر فتكلم لهم بلسانهم وقال : لا اقبل لكم ذلك ابدا بل تقاتلونه حتى تفنوا عن آخركم أو يفنوا عن آخرهم ،فقال نعسر للسيد المبارك : إرجع إليه وقل له : ما بيننا وبينه إلا الحرب والقتال (1) .

نستخلص مما أورده عبدالرحمن السعدي أن الديانة الوثنية كانت متأصلة في نفس السلطان موشي وأتباعه كذلك تبرهن هذه الحادثة على مدى قوة مملكة الموشى في المنطقة فقد فضل سلطانها واتباعه مناطحة امبراطورية سنغاي في سبيل عدم التخلي عن الديانة الوثنية اضافة الى ذلك ان مرسول اسكيا الحاج محمد هو الاخر تأثر بالموقف وذكر انه رأى الشيخ الذي خرج لهم من مقابر أجدادهم الامر الذي يؤكد أن رسول اسكيا كان إيمانه ضعيفا كما يؤكد العرض السابق ،ان المساس بالمعتقدات أمر من الصعب الخوض فيه .

الديانة الوثنية :

أولا الإله الأعظم :

اختلفت تسمية الإله الأعظم عند قبائل افريقيا فيما وراء الصحراء ، بحسب القبيلة المعتنقة فعرف عند البنبارة باسم فارو وعند قبائل الاشانتي باسم نانا وعند الدوغون باسم اما وممن يعتقدون ان هذا الاله دخل في معارك كثيرة مع الالهة الى ان ساد على الارض وله نواب عنه اما غذاء الاله فمن لحم الاضاحي والبندورة وحساء الذرة وكان الدوغون يضون له بشخص اشقر اللون عندما

(1) ـ محمود سلام زناتي المرج السابق ص 202 ـ203

يقومون بإحتفالاتهم الدينية (1) .

ثانيا الوسيط :

اعتقد سكان إفريقيا فيما وراء الصحراء ،في وجود خالق قوي من الصعوبة بمكان الوصول إليه إلا عن طريق واسطة وهي روح الأجداد والأرواح والكهنة والسحرة . ويعتبر الوثنيون أن الموت ليس معناه فناء الميت فإذا قضى الموت على الجسد ،فالروح تنتقل إلى مكان قريب من المكان الذي عاش فيه صاحبها، وبذلك لاتنقطع العلاقة عن أقرباء الاحياء ، وفي اعتقادهم ايضا ان للارواح القدرة على تحقيق الخير كما ان لها القدرة على انزال الشر ولهذا تقدم لها الاضاحي والقرابين في المناسبات تقربا منها لكسب ودها . ويعتقدون ان ارواح اجدادهم تأتي اليهم باستمرار حتى انهم لا ينظفون صحونهم من الطعام اعتقادا منهم بأن الارواح تأتي وتأكل بقايا الطعام كما وصل بهم الاعتقاد الى دعوة تلك الأرواح الى حضور أعراسهم (2) .

من هنا نصل الى أن الأحياء كانوا على يقين جازم بأن آباءهم وأجدادهم على مقربة منهم ،ولذلك جعلوهم وسطاء لدى القوة الخفية في تحقيق متطلباتهم .

وسطاء الإله الكهانة : وهي من العادات والتقاليد ، التي كانت منتشرة في الافريقيا فيما وراء الصحراء ومرد ذلك الى محاولتهم تفسير الغوامض، وتحليل الظواهر المحيطة بهم ،والتي لم يتوصلوا الى أسبابها . ومن هذا المنطلق كان إيمانهم بالكهنة ،والسحرة الطريقة الوحيدة ،التي تكشف لهم كل ما يحيط بهم ، من الظوا هر الطبيعية .

والكهانة متعددة الأنواع فهي تستوجب فهم الإنسان وتقبله بتدخل القوى الخفية في الوسط الطبيعي المتعلق به، ويحتكر هذا العمل قلة من ابناء المجتمع اما عن طريق الوراثة او التعلم .

---

(1) ـ عثمان بن فودى ، نور الالباب مخطوط ورقة 5وعبد الرحمن عمر الماحي الدعوة الاسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل ط : 5 الجزائر : ديوان المطبوعات 1989 ص 14 ـ15 .

كل من يمارس هذه المهنة لابد له من معرفة عادات وتقاليد ، واساطير المجتمع الذي سوف يشتغل فيه ،بالاضافة الى معرفة كل مايدور بخاطره ، وكذلك ان يكون على علم بالاستشارات المطلوبة مثل إتخاذ القرارات السياسية في فترة الحرب والسلم ،وعلاج الأمراض ونحوه .

وكان لكل كاهن قبيلة طرقه في التكهن . فكهان قبائل سارا وماسا ومدنج يستخدمون الحصى والنوى والعظام ،والعصي ،والقصب ،والقش وأمعاء الحيوانات للتشخيص وإعلان النتيجة (1).

من خلال ماتم عرضه، نجد أن الذي يحترف حرفة الكهانة في الحقيقة يستخدم علم النفس بدون دراية . فنجد أن من يريد أن يتعلم مهنة الكهانة ، لابد ان يسلم بعادات وتقاليد واساطير المجتمع الذي سوف يشتغل فيه ، معنى هذا انه يدرس المجتمع دراسة سيكولوجية اي ان يعرف مايحبون وما يكرهون وما هي الاشياء التى تؤثر فيهم ، والاشياء التي لا تؤثر فيهم الخ .

السحرة :

السحر معناه صرف الشيء عن حقيقته او صورته الى شيء آخر مخالف للحقيقة أو الخيال المحض .

وقد ذكر القرآن الكري٧٥٧٥السحر ،في عدة مواضع منها :

بسم الله الرحمن الرحيم «قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما نكون أول من القى ، قال بل القوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى .

﴿ والق ما في يمينك تلقف ماصنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

الساحر حيث أتى» (1) .

وقال تعالى : «واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من احد الا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» (2) .

يعتقد اهل افريقيا فيما وراء الصحراء، اعتقادا جازما في السحرة ،ويتعاملون به على نطاق واسع ،وقد تحدث البكري عن ذلك قائلا : وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء ، يسكن فيها سحرتهم ،وهم الذين يقيمون دينهم ،وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم (3) وكانت هناك مسائل تدرس في تعلم السحر .

ومن المعتقدات الشائعة :

1ـ التخاطر : انتقال الافكار من فرد لآخر بدون استعمال وسائل الاتصال الحسية وهو شكل من اشكال الادراك المعنوي

2ـ قراءة الأثر : وهي حالة خاصة من الاستبصار للوسيط القدرة على تلقى معلومات عن شخص بواسطة الاتصال ببعض متعلقات هذا الشخص باستخدام الملابس ،او الخواتم ،او القدم في قراءة الأثر لمعرفة مكان الشخص .

3ـ خط الرمل : يستخدم لمعرفة الحاضر أو المستقبل وله ست عشرة حالة، وأسماء بعضها يرمز الى الخير، والبعض الآخر إلى الشر، ومن يريد إستعماله يأتي بتراب نظيف ،ويبسطه على الأرض ،ثم ينقط فيه بالأصابع الوسطى أربعة

(1) ـ سورة ط الآيات من 65 ـ 69 .

(2) ـ سورة البقرة الآية 102 .

(3) ـ البكري ، المصدر السابق ج 2 ص 872 .

أسطر ،من غير عد اعه بالحذف زوجا فزوجا إلى أن ينتهي إلى الآخر ،واذا كان الآخر زوجا او فردا أثبته ، ثم يثبت ما تبقى من السطر الأول أولا ومن السطر الثاني بعده ،إلى أن تنتهي الأربعة اسطر ، فيتكون منها شكل عددي ،يستخلص من خلاله الحال والطلب .

4ـ استحضار الأشياء : قدرة على استحضار شيء من مكان بعيد في لحظات (1).

يرى أهل افريقيا فيما وراء الصحراء، بأن لهؤلاء السحرة قوة فوق طاقة البشر ،يمكنهم بواسطتها القيام بامور لا يستطيع غيرهم الوصول اليها، ويعتقدون بأن الفرد يولد في الدنيا، وهو يمتلك هذه الخاصية ،أو قد يكتسبها فيما بعد ،رجلا كان أو امرأة .

والسحر عندهم نوعان :

النوع الاول : السحر المفيد ويعتقدون أن الساحر يستخدمه لفائدة بني جنسه لجلب المطر لهم وابعاد الوباء عنهم ونصر المحاربين ونحوه .

وبذلك كان لهذا الساحر مكانة مرموقة بين ابناء جلدته ماديا ومعنويا .

أما النوع الثاني : السحر الضار : وهو ان يستخدم الساحر قدراته ، لالحاق الضرر بالآخرين مثل قتل شخص او اصابته بمرض معين الى غير ذلك من انواع الاضرار وصاحب هذا النوع من السحر يكون محل إزدراء من الآخرين، وقد يؤدي ذلك إلى قتله (2) .

من خلال العرض السابق يتضح وجود السحرة، وأنهم أعرف الفئات البشرية بتاريخ عشائرهم ،وقبائلهم ،وبالأخص أسلافهم الذين يتوسطون لدى

(1 ـ محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان تحقيق خليل عاكر ومصطفى محمد سعيد مراجعة مصطفى زيادة ، الدار المصرية للتأليق والنشر 1965 ص 210 .

(2) ـ عثمان بن فودى ، نور الالبان مخطوط ورقة 5ومحمد يوسف مقلد ، موريتانيا الحديثة غابرها فابرها وحاضرها ، بيروت : دار الكتاب اللبناني 1960 ص 309ومحمود سلام زناتى المرجع السابق ص 209 ـ 210.

القوى الخفية (الخالق الأعظم) وقد أشار البكري للشعراء ،فالشعراء هم الذين حفظوا التراث الإفريقي نظرا لأنهم على مقربة من الملوك .

ومن الأمور السائدة في مجتمع افريقيا فيما وراء الصحراء ،العرافة وهم يختصون بكشف الامور الغيبية وكان (الهو تنتون) يستخدمون العرافة (1)في المحاكم للكشف عن الحقيقة ،حيث يكو نون حلقة فيها عدد من الناس ويدخل العراف في يده سيران من الجلد ، وفي نهاية كل سير عقيقة، ويبدأ بإقامة حركات في وسط الدائرة ،والذي يلاحظ عليه ارتباك وخوف ،يوجه له رأس أحد السيران ويعتبره المتهم في هذه الجريمة (2) .

3ـ تقديم الأضاحي :

من أسس الوثنية تقديم الأضاحي وقد أورد البكري عن ديانة أهل غانة بأنهم «يذبحون لموتاهم الذبائح ،ويقربون لهم الخمور ،وإذا مات ملكهم عقدوا له قبة ووضعوها في موضع قبره ،ووضعوا معه حليته وسلاحه وادخلوا معه رجالا وأغلقوا عليهم باب القبة »(3) .

من هنا ندرك انهم كانوا يعتقدون بأن هناك حياة بعد الموت، وهذا يعتبر رقيا فكريا سبقهم اليه الفراعنة حث ان وضع امتعة وطعام ملوكهم في مقابرهم هو تاكيد على الحياة بعد الموت وعلى أن أرواح ملوكهم، سوف تدافع عنهم وتجلب لهم المطر .

وبعد أن تحدثنا عن الديانة الوثنية ندرك أنها تجتمع كلها في إطار واحد هو عمق الشعور بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع البدائي بالبيئة الطبيعية المحيطة به .

---

(1) ـ إلى اليوم يشتغلون العرافة في تنبكت وجنى وجاو واقدر بهذه المسائل ويسمونها خط الرمل .

(2) ـ محمود سلام الزناتي المصدر السابق ص 212 أحمد سويلم العمرى ، الافريقيون و العرب القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية 1967 ص 24 .

(3) ـ البكرى المصدر السابق ج2 ص873.

بالإضافة إلى الديانة السابقة فقد كانت لديهم الديانة المجوسية وقد ذكر عبدالرحمن السعدي بعض القبائل المجوسية قائلا : «... من تيني بلد في حد أرض سلطان كاير، إلى وراء جبال تنبلا قبيلة من قبائل المجوسيين كثيرا جدا (1).

من خلال النص السابق يتضح وجود الديانة المجوسية .

كما كانت الديانة المسيحية منتشرة في المنطقة .

الدين الاسلامي :

يعد دخول الدين الاسلامي إلى افريقيا ،من الأحداث المهمة في تاريخها ،ومما ميز الإسلام والمسلمين عن غيرهم من الوافدين في نظر الأفارقة كون المسلمين كاصحاب رسالة ،لم يؤمنوا يوما من الأيام بنظرية تفوق الأجناس أو نقائها على غرار ما جاء به المستكشفون المستعمرون الأوروبيون فيما بعد ، بل أن الاسلام جاء بأساسياته في الدعوة إلى المساواة بصرف النظر عن اللون أو الجنس، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح ».

الأمر الذي أعطى المسلمين ميزة متقدمة دفعت إلى تمازج ،وتزاوج المسلمين، القادمين مع سكان القارة ،بل نجد في فترات متأخرة من تاريخ العلاقات ،بين العرب المسلمين والأفارقة الوثنيين، أن السكان الأصليين تمكنوا بعد اعتناقهم الإسلام من ادارة شؤونهم بأنفسهم في إ طار علاقات متناغمة قائمة على الإحترام المتبادل .

وقد تطورت هذه العلاقات عبر السنين ،إلى قيام دول وممالك اسلامية افريقية أصيلة تدير نفسها في ظل عقيدة إسلامية موحدة ،انطوت تحت لوائها

(1) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق ص13

قبائل عميمة إسلامية ،إنتقلت إلى القارة سواء من شرقها أو شمالها ،مثل قبائل أولاد سليمان والرحامنة وغيرهم .

ويرجع تاريخ إنتشار الإسلام في افريقيا فيما وراء الصحراء ،إلى القرن الأول الهجري ،السابع الميلادي ،ووجد أمامه عددا من الديانات السالفة الذكر ، إلا أنه بتعاليمه السمحة وعالميته استطاع في فترة قصيرة أن يستحوذ على قلوب الزنوج الأفارقة ويدفعهم إلى التخلي عن الوثنية .

ـ ولكن كيف دخل الإسلام إلى إفريقيا فيما وراء الصحراء ؟

لقد كانت مصر بداية الفتح العربي الإسلامي لشمال افريقيا واتجه منها الفاتحون الأوائل الى فزان ثم المغرب الاوسط والأقصى .

ولقد أورد ابن عبدالحكم قصة افتتاح كوار عام 46 هـ / 666 م .

بقوله : « ... ثم مضى عقبة بن نافع إلى قصور فزان ، فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى أقصاها فسألهم : هل من ورائهم أحد ؟ قالوا : أهل خاوار ، وهو قصر عظيم على رأس المغازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار ، فسار اليهم خمس عشرة ليلة فلما انتهى تحصنوا فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم شيئا فمضى امامه الى قصور كوار فافتتحها (1) .

وهذا النص يؤيد ماذهبت اليه مخطوطة خبر السوق التى اوردت بأن مدينة (السوق) (2) قبل فتح المسلمين لها . كانت في يدي الوثنيين ، وعندما قدم اليها عقبة بن نافع الفهري اصلح امرها بأن بنى بها العديد من المساجد التي حفلت بالمؤذنين والائمة الذين قاموا بنشر العقيدة الاسلامية وعملوا على رفع راية الإسلام خفاقة بها وقد مكث بمدينة السوق عدد من الصحابة الذين رافقوا

---

(1) ـ ابن عبد الحكم ، فتوح البلدان والاندلس ، ترجمة البرت جانو 1948 ص 52 .

(2) ـ مدينة السوق هي إحدى مدن السودان الغربي والتى تبعد عن مدينة جاو عاصمة سنغاى بحوالي أربعمائة وخمسون كلم (450).

عقبة بن نافع ،وهم أجداد أهل السوق وأورد صاحب المخطوط أن قبورهم مازالت موجودة ،وعلى كل قبر اسم صاحبه ،والغزوات التي شهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بينهم أبو محذور مؤذن الرسول (1) .

تكررت محاولات المد نحو افريقيا فيما وراء الصحراء ،عدة مرات، من طرف القادة المسلمين فعندما وصل الفتح الإسلامي الى إقليم سوس بالمغرب الأقصى ،أرسل حبيب بن عبيد الفهري حفيد عقبة سنة 116 هـ / 734 م سرية الى بلاد افريقيا فيما وراء الصحراء، بقصد استطلاعها فعادت الحملة بالذهب (2) .

ثم تبعتها محاولة عبدالرحمن بن حبيب حاكم افريقية عام 127 هـ / 745 م ، عندما أمر بحفر آبار في الطريق المؤدية الى اودغست .وقد ذكر البكري ذلك في قوله « : ... من تامدلت الى بير الجمالين مرحلة ، وهذه البئر عمقها أربع قامات ، من أنباط عبدالرحمن بن حبيب ... ثم تسير منه الى بئر انبطها عبدالرحمن بن حبيب واحتفرها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة ثم تسير منها إلى بئر يقال لها ويطونان ،وهي كبيرة لا تنزف ماؤها زعافا، يسهل شاربوه من الناس ،والأنعام ،وهي من عمل عبدالرحمن بن حبيب أيضا طولها ثلاث قامات »(3) .

والسؤال المطروح هو :

ـ لماذا أمر عبدالرحمن بن حبيب بحفر الآبار في طريق اودغست . إحدى

---

(1) - مجهول ، خبر السوق مخطوط مكتبة الباحث ورقة 720ومحمد محمود الارواني الترجمان مخطوط مكتبة الباحث ورقة 12 والهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، بيروت :دار حنين 1996ص 112

2JOSEPH CUOP . RECUEIL DES SOURCES ARABES CONCERNANT I AFRIQUE OCCI-DENTALE DU VIII AU XVI SIECLE , ED DU C.N.R S , PARIS 1975 P :

(3) البكرى ، المصدر السابق ج 2 ص 846-847

مقاطعات افريقيا فيما وراء الصحراء ؟

ـ إن اهتمام عبدالرحمن بن حبيب بحفر الآبار على طول الطريق المؤدية إلى اودغست ، كان الهدف منه تسهيل ما امكن تسهيله لعبور الفاتحين ،والتجار، العلماء ،للصحراء تجاه افريقيا فيما وراء الصحراء ، بقصد نشر الدين الإسلامي والمتاجرة مع الأهالي .

لقد أكملت القبائل الإفريقية لواء نشر الإسلام في المنطقة ، مثل قبائل السوننكه والماندنجو ، والتكرور، والساراكولي والفلان ، والبرابيش والطوارق، ولعل قيام السلطانات الإسلامية في غرب افريقيا دليل قاطع على انتشار الإسلام ،حيث أسلم ملك غانا الوثني برمنند ان على يد الداعية الليبي علي بن يخلف النفوسي عام 575 هـ / 1179 م واطلق على نفسه المسلماني ، كذلك أسلم ملك التكرور عام 440 هـ / 1048 م وملك سنغاي 468 هـ / 1075 م .

إن الباحث إذا أرخى عنان قلمه في الكتابة ، عن انتشار الإسلام في افريقيا فيما وراء الصحراء ،لابد له من دراسة مستقلة لهذا الموضوع ،حتى يستطيع أن يفيه حقه ،ولكن ما أريد أن أصل له في موضوعي هذا بشيء من الإيجاز هو وجود الإسلام في المنطقة ،والطقوس الدينية التي بها مثل الإحتفال بالأعياد الدينية ونحوها .

الاحتفالات الدينية لدى أهالي افريقيا فيما وراء الصحراء

الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك :

عندما يقبل شهر رمضان فإن الأهالي يستعدون له بشتى أصناف الأطعمة والحلوى ،يكثرون من العبادة ،وفعل الخير ،والتردد على المساجد ،لأداء الصلاة في أوقاتها ،وصلاة التراويح ،وصلاة الفجر ،ويزور بعضهم البعض في لياليه ويكثرون من تلاوة القرآن الكريم وقراءة الشفاء للقاضي عياض ، وخاصة في

مدينة تنبكت ، وجني وجاو واقدز وفي بلدة لنجوم برض كيال ، فان اهالي هذه المدينة يحتفلون بليلة القدر بتلاوة القرآن الكريم وكثرة الدعاء ويأمر حاكم المدينة بطبخ الطعام وتوزيعه على حفظة القرآن الكريم وصبيان الكتاب ، وعامة الناس احتفالا بهذه الليلة المباركة (1).

قال : كعت : اذا كانت ليلة القدر يأمر بعض كبار الناس بطبخ الطعام ،ثم يحمل المطبوخ في المائدة اي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه ،وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيما له (2) .أما الاعتكاف في العشرة الأواخر من شهر رمضان فكان بكل مسجد (3).

اما احتفالهم بليلة عيد الفطر ، فيتم بمجرد رؤية الأهالى الهلال ،فيقصد العدول من الرجال الى المشور للإدلاء بشهاداتهم ،فتهتز المدن وخاصة مدينة تنبكت بالتهليل والتكبير ، وزغاريد النساء تعبيرا عن فرحتهم وفي صباح يوم العيد ينطلق الرجال الى المصلى ليؤدوا صلاة العيد ،وبعد الإنتهاء من الصلاة يتصافح المصلون ويتزاورون ويتصدقون على الفقراء ابتهاجا بهذا اليوم (4).

الإحتفال بعيد الأضحى :

تطلق المدافع ليلة عيد الأضحى من أبراج قصبة تنبكت ،كما كان يحدث في جميع مدن افريقيا وعيد الاضحى له وقع في نفوس أبناء افريقيا حيث يخرجون للمصلى لأداء صلاة العيد (5).

أما الملوك فإنهم يصلون صلاة العيد ،على حصائر لايفرشونها إلا للعلماء

(1) – موسى أحمد السعدي مخطوط ورقة 243.

(2) – محمود كعت المصدر السابق ص 180 .

(3) – أورد صاحب تاريخ السودان ان المغاربة من تافيلالت كانوا يأتون للاعتكاف بالمسجد الأعظم عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ص 60.

(4) – عبد الرحمن السعدي ص 213وتذكرة النسيان ص 84 15ومحمد الغربي المرجع السابق ص 619.

(5) – محمود كعت المصدر السابق ص 11.

تكريما (1) لهم أما في فترة الباشوات ،فكان الباشا يخرج إلى المصلى في موكبه الرسمي ، ممتطيا جواده الاشهب وحوله رجال الدولة ،وقادة الجند ،وحملة الاعلام، وأرباب الموسيقى ،وتذبح اضحيتا العيد الخاصتان بالباشا والقاضي وتحملان الى المدينة على ظهر الجياد السريعة وتقام العاب الفروسية وتصدح الموسيقى في الطرقات ويخرج الناس لمشاهدة تلك الالعاب بملابسهم الجديدة (2).

من خلال الفقرة السابقة يتبين لنا أن المغاربة أضافوا الى منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء إضافات جميلة بأن ادخلوا على أهله الفرح والسرور في كل مناسبة ونقلوا اليهم بدورهم الفن المغربي ،الذي لم يكن في الحقيقة جديدا على سكان افريقيا فيما وراء الصحراء فقبل التواجد المغربي في افريقيا فيما وراء الصحراء كانت هناك الفنون المغربية من فن المعمار الى فن الخط والموسيقى ونحوها ، إلا ان الحملة المغربية رسخت تلك الفنون وطورتها إلى الافضل .

والسؤال المطروح هو :

- على أي شيء يدل خروج موكب الباشا المغربي في يوم عيد الأضحي ؟
- يدل على الأبهة التي كان عليها المغاربة في افريقيا فيما وراء الصحراء، وتذكير أهلها بانهم إخوة في الإسلام وكذلك روح الإطمئنان بين الجانبين

الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم :

كانت الإحتفالات بالمولد النبوي تأخذ طابعا فريدا في جميع مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء ،وكان أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء ،وخاصة في المدن الكبرى مثل تنبكت وجني ونحوها يخرجون ليلة المولد النبوي إلى الشوارع يمدحون الرسول ، ويزينون المساجد ويخرج الناس رجالا ونساء ومعهم

---

(1) مجهول ، تذكرة النسيان المصدر السابق ص 20-160.

(2) - نفسه والصفحة .

حرائرهم وإيماؤهم ويرتدون ابهى ملابسهم وزينتهم وتكون حلقات المديح امام ابواب المساجد ويمكثون الى الثلث الاخير من الليل اى الى صلاة الصبح (1).

وهناك موضع في مدينة تنبكت بجوار جامع سنكري يعظمه الاهالي كثيرا ويمدحون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب التعظيم ان احد الصالحين رأى الرسول صلى الله إليه وسلم في المنام على ناقته في هذا الموضع (2) كما كانت لهم احتفالات دينية اخرى ،مثل الإحتفال باول السنة الهجرية وعاشوراء (3) وختم القرآن الكريم في الجامع الكبير وعند مرور اربعين يوما على وفاة احد العلماء او كبار القوم (4) .

هذا عن الاحتفالات الدينية .

الأمراض المتوطنة بالمنطقة :

انتشرت عدة امراض بارض افريقيا فيما وراء الصحراء منها ما يصيب الانسان ومنها ما يصيب الحيوان، وهذه الامراض هي :

1ـمرض النوم :

ينتشر مرض النوم في المنطقة وهو يصيب الانسان ،والمصاب به يمكث طيلة اليوم وهو نائم وقد اصيب به ماري جاطة أحد ملوك مملكة مالي الاسلامية (5)

(1 – ما زال أهالي تنبكت يحتفلون بالمولد على نفس الطريقة التي كانت زمن دولة سنغاري وما بعدها فقد حضرت ليلة المولود النبوي في مدينة تنبكت عام 1995 وشاهدت نفس المشاهد الذي ذكرتها المصادر لنا حول هذه المناسبة تذكرة النسيان ص 151 .

(2) – أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 20.

(3) – تذكرة النسيان المصدر السابق ص 131 .

(4) – نفسه ص157.

(5) – موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 117

وقد اكتشف الطب الحديث ان سببه ذبابة تسي تسي ، المنتشرة في المنطقة .

2ـ مرض الاعصاب :

يصاب به الاطفال الا انهم يشفون منه كلما تقدم بهم العمر ، كما يمرض به النساء ،ويعتبر أهل افريقيا أن من يصاب بهذا المرض به مس من الجن لجهلهم به (1) .

3ـ مرض الطاعون :

انتشر هذا المرض بشكل كبير بين ابناء المنطقة ،ويطلق عليه الاهالي بالاضافة الى اسمه السابق مرض (كف) و (كيفما) ،وقد فتك باعداد هائلة من البشر عام 868 هـ / 1463 م كما توفى به الفقيه محمود بن عمر بن محمد اقيت وعاد المرضى للمنطقة في عام 942 هـ ـ 1535 م / 958 هـ ـ 1551 م زمن اسكيا داوود ،وانتشر ببلدة كرز ،ومدينة تنبكت حيث مات به الكثير من الناس وفي سنة تسعين وتسعمائة عاود هذا المرض مدينة تنبكت فتوفى من جرائه عدد مهم من الاهالى (2) .

وتكرر هذا المرض في فاغ عام 1070 هـ / 1659 م ومات من جرائه خلق كثير منهم كبر فرم حم (3) .

4ـ مرض البرص والجذام :

كان هذا المرض منتشرا في المنطقة ،زمن امبراطورية سنغاي وقد اصيب به اسكيا الحاج محمد ،وما يؤكد ذلك قول جلال الدين السيوطي لأسكيا محمد له : « .. ومصداق جميع ماقلت علامة في فخذك اليسرى ،كان من برص،

---

(1) – نفسه والورقة ، وحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 85

(2) – محمود كعت المصدر السابق ص 93 ، وعبد الرحمن السعدي المصدر السابق ص 92-103-113

(3) – مجهول ، تذكرة النسيان ، المصدر السابق ص 4

فأبراه الله بغير علم احد ، فقال اسكي صدقت ياسيدي ..»(1)

يبدو ان الطب في تلك الفترة بدائي الى ابعد الحدود ،فانه لم يتدخل في علاج ملك البلاد فما بالك ببقية البشر .

5ـ مرض قرح مسر :

اصيب بهذا المرض عدد من سكان افريقيا فيما وراء الصحراء، وهو يصيب الرجلين بتقرحهما نتيجة لتعرضهما للبرد ،والسير مسافات طويلة في الاسباخ مرض به فاري منذ محمد بنكن ، وقد اورد عبدالرحمن السعدي قائلا : « ... واخوه الكبير فاري منذ محمد بنكن، بن اسكيا داوود ،هو صاحب هذا الغزو بالطريق ،ولكنه عليل يومئذ بعلة قرح مسر (2) كما مرض بعض من رفاق الملك منسا موسى في رحلة الحج بمرض (توات) وهو شبيه بهذا المرض يصيب الارجل ويمنعها من الحركة (3).

6ـ مرض القروح :

كان موجودا في المنطقة ومن اعراضه ان صاحبه يفقد تحكمه في البول لإصابة ذكره . من اسفل ،وقد اصيب به اسكيا الحاج بن اسكيا داوود (4).

7ـ مرض الحمى :

يطلق عليه اليوم مرض (الملاريا) (5) ، ويأتي من حشرة البعوض التي تعيش في نهر النيجر، والمستنقعات ومن اعراضه ارتفاع درجة الحرارة وكان منتشرا في المنطقة (6).

---

(1) – محمود كعت ، المصدر السابق ص 13، ومارمول ج 3 ص 204 ، وعبد الرحمن السيوطي ، الحاوي، المصدر السابق 383

(2) – عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 110

(3) – أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان في أخبار السودان ، مخطوط ورقة 5

(4) – محمود كعت ، المصدر السابق ص 119 ، وعبد الرحمن السعدي المصدر السابق ص 115

(5 – والجدير بالملاحظة ان هذا المرضى أكثر المصابين به من الجنس الأبيض فقد أثبت الطب الحديث أن الجنس الأسمر أكثر مناعة وتحمل لمثل هذه الأمراض وان رائحة عرق الأسمر طاردة للبعوض

(6) ـ عبد الرحمن عمر التواتي ، فهرسة لأشياخه مخطوط ورقة 30

8ـ مرض الجنون :

كان موجودا في المنطقة ،ويأتي نتيجة لحادثة او كارثة ،تصيب الشخص فيفقد فيها اعصابه ،ويصاب بانهيار عصبي وعادة ما يصيب المخ حيث يصبح الشخص غير مدرك لما يدور حوله ،وقد اصيب بهذا المرض قائد مدينة جني احمد بن بوسعيد ،عندما كان الطالب محمد البلبالي حاكما عليها عام 1019 هـ / 1610 م (1).

9ـ مرض قطع الذكر :

اصيب بهذا المرض اسكيا الحاج محمد ويوسف كي ويصيب هذا المرض ذكر الرجل ويستمر معه الى ان يقطعه (2).

ان هذا المرض غريب وغير موجود في عصرنا الحاضر .

10ـ مرض الوخم :

ينتج هذا المرض من الماء الملوث وهو يصيب المعدة ،ويحدث اسهالا حادا يؤدي في اغلب الاحيان الى الموت ويصيب الانسان ،والحيوان على السواء وقد مات به عدد من افراد جيش الباشا محمود (3) .

مرض العمى :ـ

كان مرض (العمى) (4) متوطنا بالمنطقة ،وهو ناتج عن ذبابة تصيب العين، وقد فقد عدد من الاهالي بصرهم من جرائه (5).

وفي المقابل كانت هناك امراض تصيب الحيوانات وهي :

(1) – عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 306

(2) – نفسه ص 144

(3) – نفسه ص 155

(4) – الى يومنا هذا ما زال المرض يهدد عدداً من سكان جمهورية مالي والبلدان المجاورة لها ففي عام 1989 إندلع هذا المرض في مدينة سيكاسو والتي تقع الى الجنوب من العاصمة باماكو بحوالي مائة وخمسين كيلو متر تضررمن جرائه آلاف من السكان وقد تدخلت منظمة الصحة العالمية للمشاركة في علاج المرضة

(5) – محمود كعت ، المصدر السابق ص 49

1ـ مرض تقرح الجلد (1) :

يصيب هذا المرض عادة الخيول، حيث يؤدي بها الى التهلكة بانسلاخ جلدها، ويعمل المرض على تعفن الجلد وتكوين ديدان ومن اسبابه تلوث المياه التي يشربها الحيوان (2).

الطب الشعبي :

كان الطب يعتمد في تلك الفترة على الكي بالنار والعلاج بالاعشاب والسحر ،فعلاج الذي يصاب بسهم او بالحريش ،كي الجرح بالنار ،وتعصيبه وهذا ما فعله بركي عندما اصيب بحريش اما علاج السم فان صاحبه يشرب التبغ الذي يعمل على تقيوئه بسرعة ،وهذا ما حدث للقائد علي بن عبدالله التلمساني ،حينما اصيب بسهم مسموم فتأذى منه ثم شرب التبغ فتقيأ السم بكامله وبذلك اصبح التبغ لا يفارقه طيلة الفترة التي عاشها اما علاج من لدغته افعى فإنهم يبترون العضو المصاب ويربط فوق العضو ،ويسقى الحليب الساخن (3).

اما علاج العيون فعادة ما يتم بالكحل وخاصة عند قبائل الطوارق ،فالتارقي دائما يكتحل اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

كما يعالجون عيون المريض بحليب المرأة المرضع ويضاف له قليل من الملح اما امراض الرأس فتعالج بربط الرأس بقطعة من القماش، ويجرح الجبين عدة جروح برأس سكين حاد ويخرج الدم ،فيعتقدون ان المصاب يتماثل الى الشفاء.

اما امراض الحنجرة فان علاجها يتمثل في لف روث البقر المخلوط بالماء على رقبة المريض اضافة الى دهنها بدم الحمار .

---

(1) – سألت عن هذا المرض أهل تنبكت واقدر وجاو وافادوني بأن هناك نوعاً من الأعشاب جذعها رقيق تنمو في المنطقة تعرف (بالتيفه) فإذا أكلتها الخيول والحمير فقد تصاب بهذا المرض .

(2) – محمود كعت ، المصدر السابق ص 120-121.

(3) – عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 86-180، وعبد الرحمن السيوطي ، الحاوي ، المصدر السابق ص 383 ، ومحمد سعيد القشاط ، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، المرجع السابق ص 110

وعلاج الجروح يتم بتنظيف الجرح بالملح ووضع مجموعة اعشاب فوناكيا وايفورب وفم الحطب عليه .

اما اذا سقط الانسان من مكان مرتفع من حصان ،او جمل ،ونحوه فان علاجه يتم بوضع المريض فوق لحاف ويمسكه اثنان ويرجانه عدة مرات ثم يحفرون له حفرة ويضعونه فيها ، ويغطونه بالتراب ولا يبقى منه الا رأسه ، ويترك لفترة من الزمن ثم يخرجونه ويطعمونه لحم الماعز الجاف وتختص بهذا العلاج قبائل الطوارق عن غيرها (1) .

وقبائل الطوارق تعالج الكسر بخلط الدقيق مع الماء ويضاف له شعر الماعز ثم يوضع على المكان المكسور بعد تثبيت الكسر بواسطة قطعتين من الخشب (2)

وقد افاد رني كائي بانه شاهد ايضا نباتات طويلة لونها ازرق في المنطقة يتم التداوي بها (3) .

علاج أمراض الحيوانات تتم حسب نوعية المرض .

1ـ علاج الجروح العميقة (الدبرة) عادة تصيب الابل نتيجة حمل الاثقال بدون واق يقي سنمها يغلي الماء مع روث البقر ثم يوضع على الجرح .

اما الجروح التي تحصل للجمل في اخفافه والناتجة عن السير الطويل فوق الاحجار الصلبة فطريقة علاجها تتم بوضع الشحم عليها وكيها بالنار .

2ـ الشايون : مرض يصيب الاغنام ،والخيل ، والحمير ، يعتقد الطوارق انه ناتج عن كثرة الدم وهم يعالجونه بقطع جزء من اذن الحيوان المريض ويسيل الدم ثم يقطعون جزءا من الذنب ويسقى الحيوان الحليب مع الملح ويوضع التبغ في

(1 – مجهول ، مخطوط في الطب ، ومكتبة الحاج التبني بدون تضيف مخطوط ورقة 2-3ومحمد سعيد القشاط ، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، المرجع السابق ص 109-110

(2)' HENRI LHOTE : LES TOUAREGS D .UHOGGAR ARNAND CODIN EBITEUR : P : 118

(3)' RENE CAILLIE OP . CIT P : 43 .

عينيه .

3ـ امراض البقر : كثيرا ما تصاب قطعان البقر بعدد من الاوبئة ، فعلاجها بأن تسقى البقرة المريضة من بئر ، لم يستخرج منه الماء لمدة سنة او يزيد ثم تكوى بالنار على اضلعها اليمنى واليسرى (1) .

والسؤال المطروح هو :

ـ لماذا كثرت هذه الامراض في المنطقة ؟ بالرغم من ان حسن الوزان يقول بأن جوها نظيف ؟

1ـ عدم توفر الرعاية الصحية وعدم معرفة الناس بعلم الطب

2ـ علاج الامراض بالوسائل البدائية يزيد من حدة المرض .

3ـ كثرة المستنقعات في نهر النيجر ، كانت سببا في انتشار الحشرات الضارة والناقلة للمرض .

4ـ كثرة الازمات التي مرت على المنطقة ،من مجاعات ،وحروب أدت الى وفاة اعداد هائلة من البشر ،كانت سببا في تلوث البيئة وكثرة الامراض .

هناك سؤال يطرح نفسه وهو :

ـ لماذا تذكر اغلب المصادر السودانية التى تحدثت عن امراض افريقيا فيما وراء الصحراء اسماء بعض حكام ،وعلماء المنطقة الذين أصيبوا بالمرض ،ولم تذكر شيئا عن بقية الفئات الاخرى من المجتمع السوداني ؟ هل عامة الناس لم يصابوا بالمرض ؟ ام ماذا ؟ .

ـ ربما يرجع ذلك الى ان المرض عندما يصيب حاكما او عالما يكون له وقع كبير في نفس من كتب من ابناء افريقيا نظرا لاهميته ولا الى قرب اولئك المؤرخين من الحكام .

اما عامة الناس فهم في الحقيقة اكثر الناس اصابة ،الا أنهم لا يمثلون أهمية

(1) – مجهول ، مخطوطة في الطب ، مخطوط ورقة 7-8

كبرى بالنسبة الى المؤرخين الافارقة .

طريقة تجهيز الميت ودفنه :

عندما يموت شخص من اهل افريقيا فيما وراء الصحراء، فإنهم يغسلونه ويكفنونه بقماش سويسي اذا كان من الطبقات الرفيعة، ويصلي عليه مجموعة من المسلمين ،يتقدمهم الامام ويدفن في المقبرة التي توجد في العادة خارج المسجد من جهة اليمين ،وليس لهم وقت محدد للدفن، فقد يدفن الميت في الليل او في الضحى وقد صلى الفقيه محمد بغيع الونكري ، على الشيخ بابا احمد الشريف في الليل حيث دفن بعد صلاة العشاء (1) .

تصنع ولائم للميت يحضرها فقهاء ،وفقراء القرية ،وتعتبر صدقة (2) .ويكتب على بعض القبور اسماء اصحابها والسنة التي توفوا فيها باللغة العربية وقد عثرت في مقبرة بمدينة جاو عام 1978 على قبر كتب عليه باللغة العربية اسم صاحبه ،والذي يرجع تاريخه الى زمن دولة سنغاي قبل زمن أسكيا الحاج محمد، وقد اورد محمد الهادي ان النقش على القبور لاهل التكرور كان قبل زمن الامام أسكيا الحاج محمد (3) .

ولقد كان بعض الصالحين من افريقيا فيما وراء الصحراء يجهزون في قبورهم قبل مماتهم (4) .

اما عن قبور ملوك الديانة الوثنية ،فانهم عندما يموت ملكهم، يضعون فوق القبر قبة من خشب الساج ويضعون فيها امتعته التي كان يستخدمها في الدنيا، ويغطون تلك القبة بالفرش والحصر ويردمونها بالتراب (5) .

اما عندما يموت احد من عامة الناس فان اهله يقطعونه ويوزعونه على افراد

---

(1) - عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق 56-214-218-164ومحمود كعت المصدر السابق ص 92-130

(2) - عثمان بن فودي ، نور الالباب ورقة 19-20

(3) - مولاي عبد الهادي الحقوق الإجتماعية للعبيد ، مخطوط ورقة 37

(4) - محمود كعت ، المصدر السابق 92-130

(5) - البكري المصدر السابق ج 2 ص 873

الاسرة ويأكلونه ويعتبر تكريما له (1) .

وفي ختام الحديث عن البنية الاجتماعية فالجدير بالملاحظة ان هذا المجتمع كان يقطن عددا من المدن والقرى بافريقيا فيما وراء الصحراء وهذا ماسنتحدث عنه في الفصل القادم .

(1) - أحمد بابيير الاروانى الجواهر الحسان،مخطوط ورقة 101 هذا ليس بالغريب منها ونحن على أبواب نهاية القرن العشرين وهناك قرى إلى الشرق من مدينة مالي سيقو بجمهورية مالي مازال أهلها يمارسون هذه العادة.

الفصل الثانى

العمران في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء

اولا : الحواضر

مدينة تنبكت - جاو - جني - سيفو - كوبر - سغ - السوق - جاور - ماسنه - سيقو - مينو - اقدز - كني - اهير .

ثانيا : القرى

قرية ماشز - جاغة - ستكو - سهل - راغ - سق - زافون - يسلنكوب - كاس - تندرمة - كدمغ - برونوح - غني مسل - ادرا - كب - وكدو - مشدق - كدو - سبك - سناء - سيسي - بندسيب - ماسنة .

العمران في منطقة افريقياة فيما وراء الصحراء

كان للفتوحات الاسلامية اثر واضح في انتشار الدين الاسلامي في الاقاليم التي فتحها العرب خارج شبه الجزيرة العربية، فدخل الاسلام الى افريقيا فيما وراء الصحراء بواسطة التجار ،والدعاة ،والقادة الفاتحين امثال عقبة بن نافع الفهري ثم اكمل المرابطون حلقة من حلقات انتشار الاسلام في افريقيا فيما وراء الصحراء في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ،بأن دخلت في حظيرته قبائل الصحراء واسست في افريقيا ممالك ومراكز ومدن وقرى كبيرة كان لها اثر كبير في نشر الدعوة الاسلامية ،ويمكن القول : ان هذا الدور كان بين القرنين الخامس والسادس الهجري الحادي عشر والثاني عشر الميلادي وكان مجاله الرئيسي غرب افريقيا افريقيا ،فيما وراء الصحراء لقد اختلفت اسباب نشأة الحواضر والقرى وتنوعت هذه الاساب وارتبطت بعوامل كثيرة اقتصادية وحربية ودينية وثقافية ، وغير ذلك وكانت الحاضرة تبدأ بنواة عمرانية وتتطور وتتشكل لتأخذ الملامح الاخيرة وان اختلفت في بعض التفاصيل ارتباطا بالنشأة او العوامل البيئية والمحلية ،وكذلك الحال بالنسبة الى المدن التي كانت قائمة قبل مجيء الاسلام واصبحت تحت لواء دولته .

تطورت الحواضر في افريقيا فيما وراء الصحراء وازدهر عمرانها ،وحكم هذا التطور الاسس التي قامت عليها هذه الحواضر فقد اتسع عمران بعض الحواضر والقرى اتساعا هائلا بفضل توفر المقومات الحضارية لذلك .

وتجدر الاشارة الى ان هناك حواضر سادت في فترة ازدهار الدولة الحاكمة ،ما

لبث ان خبا ضوؤها وباتت مدينة عادية ضمن امبراطورية وارثة لهذه الدولة ونضرب مثلا لذلك بمدينة نياني او مليل فقد كانت حاضرة لمملكة مالي وما لبث ان سقطت مالي على ايدي سنغاي واتخذوا جاو عاصمة لهم تحولت الانظار صوب جاو وبقيت نياني مدينة عادية كسائر المدن .

السودان الغربي ، وعندما دخل المغاربة السودان الغربي ودان لهم ، أتخذوا من مدينة تنبكت عاصمة لهم وبقيت جاو مدينة ضمن نطاق الامبراطورية المغربية . وسنحاول من خلال هذا الفصل أن نتتبع نشأة الحواضر والقرى ، في السودان الغربي ، ومراحل تطورها سواء أكان هذا التطور فكرياً أم مادياً ، لأن ذلك يساعدنا كثيراً في تحديد ملامحها وتفسير ظواهرها تفسيراً علمياً سليماً ، وأهم الحواضر والقرى ما يأتي :ـ

مدينة تنبكت :

موقعها واهميتها :

تقع مدينة تنبكت شمال العاصمة باماكو ، وتبعد عنها بحوالى الف وثلاثمائة كليو متر ، على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، بما يعرف بمعنى نهر النجير (1) التي تبعد عنه مسافة ثلاثة عشر ميلاً ، وقد تميزت بموقعها الفريد على نهر النجير ، الذي ميزا عن غيرها من المدن المجاورة .

وتحدث عن موقعها عدد من مؤرخي السودان الغربي ، فقد ذكر صاحب السعادة الأبدية ، أن المدينة تبعد عن ولاته بخمسة عشر يوماً ، وأن بعدها عن جاو حوالي اثنتي عشرة مرحلة ، من الشرق وعن قرية أبو جبية خمس مراحل (2) تحدث عنها صاحب السعادة الأبدية ، ووصفها بصفات تنم عن عظمتها ،

---

(1) زارها الباحث عدة زيارات عن طريق البر ، كان آخر عام 1996م .

(2) احمد بابير الارواني السعادة الابدية مخطوط ورقة 6 والهادي المبروك الدالي مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، المرجع السابق ص 92 ، وعبد العزيز كامل « العروبة والحضارات الافريقية في منظور جديد » مجلة معهد البحوث والدراسات العربية تصدرها جامعة الدول العربية مارس 1972 3ص2 .

كمدينة ثقافية واقتصادية ، ذاع صيتها شرقاً وغرباً حينما قال : « اعلم وفقنا الله وإياك أن قرية تنبكت قرية قديمة مبنية بين السودان والصحراء ، قريبة من خليج النجير ، بينها وبينه في الصيف ستة عشر ميلاً ، وفي الخريف يقرب إليها ماء البحر ، حتى يصل إلى قرية تدي بكبر ، بينها وبين تنبكت سبعة أميال ، وفي الشتاء تصلها أي تنبكت رقبة من مائه تجرى فيه السفن ،ومسافة قرية أروان منها على جهة قطب السماء من ثماني مراحل ، ومسافة سبخة تودني التي يجلبون منها ألواح الملح ، التي هي من أصول ثروة أصل هذه البلاد نحو عشرين مرحلة من تنبكت ، على جهة قطب السماء ، ويقربها أي تنبكت قرية كوندام على جهة غروب الشمس بقدر تسعين ميلاً وبينها وبين قرية ولاته مسيرة خمسة عشر يوماً وقرية النعمة أقرب منها بيومين وبينها وبين قرية مبت نحو اثنتي عشرة مرحلة في البر على جهة غروب الشمس في الشتاء وبين تنبكت ومدينة جاو عشر مراحل ، جهة الشرق ، وبين تنبكت وقرية أبو جبية نحو ثماني مراحل ، وهي قرية في الصحراء ، تقرب من أروان بيومين ، وحول تنبكت عامرة بأهل البادية أهل الرحيل ، من أخلاط العرب ، والعجم ، والبربر ، والطوارق »(1)

ووصفها المختار بن محمد بقوله : « اذ هي قاعدة السودان الضاربة في البحر والبر الجامعة بين السود والحمر » (2)

من خلال النصين السابقين ، يتضح لنا أهمية موقع تنبكت فقد مثلت حلقة وصل بين السودان الغربي ، والصحراء الكبرى ، وبذلك اكتسبت أهمية اقتصادية بقربها من تلك المناطق ، وقربها من نهر النيجر ، وهذا الموقع مكنها

(1) احمد بابيرالارواني ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 7 .

(2) المختار بن محمد بن المختار بن احمد يبعث برسالة إلى إمام المسلمين وأمير المؤمنين الشيخ احمد بن محمد بن إبن بكر بن سعيد موضوعها محاولة الصلح بين الأمير والطوارق من تاد مكة وغيرها ، مخطوط مركز أبحاث النيجر1011 ورقة 2 .

ـ ملاحظة:ولد أحمد بن محمد بن سعد سنة 931 هـ وتوفى سنة 976 هـ البرتلى ص 28 .

من أخذ الصدارة الاستراتيجية والثقافية بين أقرانها، الأمر الذي جعل وقعها في نفوس أبناء السودان الغربي متميزاً عن غيره .

فقد امتدحها عبد الرحمن السعدي ، وهو أحد أبنائها بكلمات موجزة معبرة تعبيراً صادقاً ، عن تعلقه بها فذكر أنها بلدة مباركة ، لم تعرف للوثنية أو الشرك طريقاً ، ولم يسجد على أديمها لغير الله أحد أي أنها مدينة إسلامية منذ نشأتها (1)

وقد أعجب بها صاحب السعادة الأبدية ، ووصفها بأنها في غاية الحسن والجمال في إقامة الدين ، وإحياء السنة ومقاومة البدعة فهي من أجل مدن بلاد السودان ، وأرفعها ، من دخلها خائفاً وجد فيها الأمان . ويكفي مناقبها امتلاؤها بالأولياء الظاهرين ،والباطنين ، والعلماء الصالحين ، وهم على مذهب الإمام

مالك رضى الله عنه ، ويمتاز أهلها بالسماحة ، والسياسة ، لا غلظة فيهم ، ولا فضاض ، ولا يتكبرون . فهي قاعدة بلاد السودان مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان (2) .

كل هذا جعلها قبلة العلماء والصالحين ومكاناً إرتاده التجار الوافدون

.اسمها وتاريخ تأسيسها :

يقال : إن اسمها مشتق من اسم امرأة ، كانت تقطن هناك تدع بكت ، وأضيف على إسمها تن ، وتن في لغة الزنج تعنى مكاناً وبكت اسم المرأة ، والكلمة مجتمعة تعطى تنبكت (3) .

ولكن السؤال المطروح هو :

هل يستطيع إنسان بمفرده أن يعيش في منطقة لوحده ؟

---

(1) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 20 .

(2) احمد بابير الارواني ، السعادة الأبدية مخطوط ورقة 9 .

(3) نفسه ورقة 10 .

إن هذا الامر لايجوز ، فهذه المرأة لم تكن تعيش لوحدها كما يرى صاحب المخطوط ، ولكنها كانت علماً بين أبناء جلدتها ، الذين يعيشون معها ، وبذلك سميت عليها المدينة خاصة أم طوارق مقشرن هم الذين أسسوها ، والطوارق يحترمون المرأة غاية الإحترام ومن هنا أطلقوا اسم المرأة على المدينة .

أما عن تأسيسها فقد اختلفت الروايات التي تتحدث عن نشأتها فمنها ما يرجع تأسيسها إلى زمن عمرو بن العاص ، ومنها التي ترى تأسيسها في أواخر القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادي ، على ايدي طوارق مقشرن (1) وذهب الوزان إلى أبعد من ذلك فأرجع تأسيسها إلى الملك منسى سليمان عام 610هـ / 1213م (2) .

وأمام هذه الآراء فإني أرجح الرأي الثاني ، وأستبعد الرأي الثالث وذلك السببين هما :

1ـ إن مدينة تنبكت منذ زمن إمبراطورية غانا .

2ـ أن المدينة جدد عدد من مساجدها ، وبني فيها منسا موسى الجسد الكبير وقصره ، ومنسا سلميان الذي ذكره الوزان ، ومارمول جاء إلى الحكم بعد وفاة منسا موسى . قام بتأسيسها طوارق مقشرن ، وأصبحت تأخذ اهميتها كمدينة فيما بعد .

الملوك الذين تعاقبوا على حكمها :

أول حكام للمدينة هم طوارق مقشرن ، في آخر القرن الخامس الهجرى الحادي عشر الميلادي ، كانوا يعينون زعيماً على البلدة من خارجهم ، أماهم فلا يسكنوها ، بل يسكنون البراري لأنهم أهل بادية ، ثم ملكها ملك مالي منسا موسى في أواسط القرن الثامن الهجرى ، الثالث عشر الميلادي ، وهو أول من

---

(1) احمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية مخطوط ورقة 10 .

(2) حسن الوزان ، المصدر السابق ج2ص165 .

أدخل إليهانظام السلطنة ، وشيد بها داراً للحكم ، وقد استمر حكمه لها مائة عام ، ثم اضمحلت مملكة مالي و سيطر عليها الطوارق للمرة الثانية ، وعينوا عليها محمد نض مدة أربعين سنة ، إلى أن انتزعها الملك سني علي منهم ، وحكمها أربعاً وعشرين سنة ، من عام ثلاثة وسبعين في القرن التاسع ، ثم حكمها الحاج أسكيا محمد وأتباعه ، من تاريخ رابع عشر من جمادي الآخر ، في العام الثامن والتسعين من القرن التاسع ، إلى آخر سابع عشر من جمادي الآخر ، في العام التاسع والتسعين من القرن العاشر ، ثم حكمها بعده القائد جودر ، قائد السلطان المنصور الذهبي ، من السابع عشر من جمادي الآخر في العام التاسع والتسعين من القرن العاشر ، واستمر باشوات المغرب في حكمها حتى القرن الحادى عشر *(1) .

عرفت مدينة تنبكت في بعض فترات تاريخها شيئاً من التخريب والعبث بمقدراتها ، فكان أولها على يد سلطان موسى ، والثانية بعد اضمحلال مملكة مالي الاسلامية ، واستيلاء طوارق مقشرن عليها ، ونشر الفساد

بها ، والثالثة على يد الباشا محمود بن زرقون ، وآخرها في القرن الثالث عشر ، عندما حدث فراغ سياسي في المنطقة ، ترتب عليه حالة من الفوضى (2)

طابع المدينة :

لقد كانت مدينة تنبكت ذات جمال رائع ، وتقسيم جميل فكانت مقسمة إلى عدد من الأحياء ، حومة الغدامسين وكابير وكند (3) ، وكل حومة خاصة

---

* في القرن الثاني عشر حديث الفوضي في البلاد إلى أن انتزعا الشيخ احمد لب صاحب ما سنة في القرن الثالث عشر ثم حكم تنبكت الحاج عمر انتاله في القرن الثالث .

(1) احمد بابير الاوران ، الجواهر الحسان مخطوط ورقة 7ـ 20 محمود الرواني والترجمان مخطوط ورقة 11 ـ 12 وموسى بن احمد السعدى مخطوط ورقة 242 .

(2) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص9 .

(3) نفسه ص 169ـ170

بطائفة من السكان ، فحومة الغدامسين خاصة بأهل غدامس وطرابلس ، كما كانت المدينة مسورة بسور كبير ، يحميها من غارات الأعداء وقطاع الطرق . فضلاً على أن السور يغلق أبوابه بعد صلاة المغرب فلا يسمح حراسه بدخلول المدينة بعد ذلك الوقت (1) وكان داخل السور مساكن متنوعة البناء ، فبعضها مبنى بالطين والطوب واللبن ، والبعض الآخر مبنى بسيقان الآشجار ، ومغطى بالأعشاب والقش وغصون الأشجار . وقد تقدم البناء فيها يوماً بعد يوم بسبب تطورها الثقافي والاقتصادي ، (2) ، وقد أشاد عدد من الرحالة الغربيين بالإزدهار الذي أصاب تنبكت ، والتقدم الذي كانت عليه ، فديبو يصف منازلها بأنها منظمة جداً ومقامة على طرق حديثة جداً (3) . أما هنري بارث فيقول عن منازلها« إنها مختلفة الشكل والأحجام فبعضها من الطين منخفضة ، وبعضها عال وبعضها محلي بزخارف ، وبعضها محاط بأكواخ قش وشوارعها ضيقة (4) ومن دلائل الأزدهار العمراني كثرة مساجدها وقصورها ، ففيها مسجد جنجري بير ، أي المسجد الكبير ، ومسجد سيدي يحيى وجامعة سنكري ، وكانت هذه المساجد للعبادة والعلم (5) وسنتناولها في الفصل الخامس .

كما انتشرت بها المباني الفخمة ، من قصور ونحوها ، لأثرياء القوم والأمراء . وتبارى الجميع في تزيين القصور بالذهب والفضة ، واجتهد

المهندسون في إظهار هذا التراث في أجمل صورة ، لتكون مرآة تعكس هذه الحضارة الإسلامية ، التي اشتهرت بها مدينة تنبكت و باقي مدن السودان الغربي ، ومن أشهر القصور القصر الذي ابتناه نائب السلطان في دولة مالي ،

---

(1) محمود كعت ، المصدر السابق ص 115

(2) الحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 165

(3) dubois F : op . cit p 225

(4) Barth : H : op . cit p 302

(5) الحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 165 .

خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وكان يطلق عليه (مع دلة) أي دار السلطان (1) . وقد أورد حسن الوزان أن الأسكيين شيدوا قصراً (2) خاصاً بهم ، وصفه كل من شاهده بالروعة والأبهة ، وقد حلي بالذهب والصور ، والزخارف ، والتي جعلته يشبه التحف البديعة التي أظهرت الفن والعمارة المغربية الأندلسية ، والتي تمثلت في المساجد والقصور (3) .

لقد اشاد ديبوا بما شاهده من فن معماري ، في تنبكت بقوله : « إن أهم ما لفت نظري في مساكن تنبكت هو أن بها منازل لها دور ثان وأهم من هذا كله ضخامة الأبواب المزدانة بمسامير كبيرة الحجم ، وهذا في حد ذاته يوحى بما وصلوا إليه من ذوق ، رفيع في صناعة الأبواب » (4) لقد تطورت حركة العمران بهذه المدينة منذ عهد مملكة مالي وسنغاي وشهدت حالة من التخريب في فترة حكم الطوارق لها .

وقد اورد هنري بارث الذي زار تنبكت عام 1820م و أن عدد بيوتها كان حوالي تسعمائة وثمانين بيتاً من الطين 980 ، ومائتي كوخ صغير ، وهي منازل الفقراء التي ليس لها مساحات أو حجرات علوية ، وعدد سكانها يزيد عن خمسة آلاف نسمة ، وفي المناسبات يزيد إلى عشرة آلاف ، ويصلون في بعض الأحيان إلى ثلاث عشرة ألف نسمة (5) ، وقد أجرى الباحث عام 1985 إحصائية لمنازل تنبكت القديمة . ووجد أن عددها ثمانية آلاف بيت قديم .

وهذه الاحصائيات للمباني والسكان ، تبين لنا إن المدينة كانت فيها حركة تطور عمراني ، تطلبه وضعها الإقتصادي المرموق بين أقرانها .

---

(1) محمود الاروانى الترجمان مخطوط ورقة 11 ـ 12 وعبد الرحمن السعدي المصدر السابق ص27ـ28 .

(2) لم يكن لهذا القصر اليوم وجودا إلا أن مكانه معروفاً عندهم وقد وقفت عليه عام 1987 وتحكي عنه قصص تبين الهالة التى كان عليها من الزخرفة والنقش الاسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية .

(3) حسن الوزان ، المصدر السابق ج 1652 والهادي المبروك الدالي وعمار هلال المرجع السابق ص 47 .

(4) dubois : F op . p . p 213 ``214

(5) Barth H : op cit p . p 325 `` 326 .

مدينة جاو :

تقع مدينة جاو شرق العاصمة باماكو ، بجمهورية مالي ، وتبعد عنها بحوالي ألف وأربعمائة كليو متر ، تقع في الجنوب الشرقي من تنبكت وتبعد عنها بحوالي أربعمائة وخمسين كيلو متراً (1) . ذكر موسى السعدي بأن مدينة جاو تبعد بمسافة اربعمائة ميل تقريباً ، عن تنبكت إلى الجنوب الشرقي ، وبيوتها يغلب على بعضها القبح وعلى البعض الآخر الجمال (2) .

اتخذت مدينة جاو عاصمة لامبراطورية سنغاي ، لاعتدال مناخها ولقربها من منطقة كوري ، التي كانت قبائلها على تحالف مع سنغاي (3) .

وقد أنشئت قبل مدينة تنبكت ، وذكرها البكري في عام 461هـ / 1068م بقوله : « أهلها مسلمون ويحيط بها المشركون ، وأكثر ما يتجهز لها الملح ، والودع ، والنحاس المسبوك ، وحولها معادن البحر ، وهي أكثر بلاد السودان ذهباً » قيل فيها « إن مدينة جاو جوهرة وادي النيجر وأنها مدينة عظيمة قبل سيجو ونياماني (نيامي) (4) .

وضعيتها :

المدينة مقسمة إلى أحياء عربية وزنجية ويغلب على الأحياء ، العربية طابع البناء المغربي وهي بقرب النهر ، أما الأحياء الزنجية فلها طابعها الخاص من حيث الفن المعماري ، أما شوارع المدينة فهي فسيحة وتعقد بها اسواق على جوانب الطرق وسوق أسبوعي في وسطها ، إضافة إلى ذلك فهي مركز تجاري هام ، في تلك المنطقة يرتاده التجار العرب ، من شمال إفريقيا ومصر ، وقد

(1) قمت بزيادة للمدينة في صيف عام 1987 ومنها ذهبت إلى تنبكت في رحلة صحراوية .

(2) موسى بن احمد السعدي مخطوط ورقة 109 والحسن الوزان المصدر السابق ج2ص169 .

(3) نفسه ورقة 108 .

(4) نفسه ورقة 108و BARTH OP CIT . P 250

جعلوها محطة لتجارتهم سواء في عهد مملكة مالي الإسلامية ، أم عهد مملكة سنغاي التي أصبحت حاضرة ، سرعان ما أصبحت المدينة تضاهي غريماتها تنبكت وجني ، من حيث الدعوة إلى إعتناق الإسلام ، فقد عقدت فيها مجالس العلم ، ووفد عليها عدد من العلماء من الشمال الإفريقي ، كما توافد عليها طلاب العلم من مناطق المملكة

مدينة جاو :

تقع مدينة جاو شرق العاصمة باماكو ، بجمهورية مالي وتبعد عنها بحوالى الف واربعمائة كيلو متر ، وتقع في الجنوب الشرقي من تنبكت وتبعد عنها بحوالي اربعمائة وخمسين كيلو مترا (1) ذكر موسى السعدي بأن مدينة جاو تبعد بمسافة اربعمائة ميل تقريبا ،عن تنبكت الى الجنوب الشرقي ،وبيوتها يغلب على بعضها القبح وعلى البعض الآخر الجمال (2) .

اتخذت مدينة جاو عاصمة لامبراطورية سنغاي ،لاعتدال مناخها ولقربها من منطقة كوري ،التي كانت قبائلها على تحالف مع سنغاي (3) .

وقد انشئت قبل مدينة تنبكت ،وذكرها البكري في عام 461 هـ / 1068 م بقوله : «اهلها مسلمون ويحيط بها المشركون ،واكثر ما يتجهز لها الملح ، والودع ،والنحاس المسبوك ، وحولها معادن البحر ،وهي اكثر بلاد افريقيا ذهبا » قيل فيها « ان مدينة جاو جوهرة وادي النيجر وانها مدينة عظيمة قبل سيجو ونياماني [نيامي] (4) .

وضعيتها :

المدينة مقسمة الى احياء عربية وزنجية ويغلب على الاحياء ،العربية طابع

(1) - قمت بزيازة للمدينة في صيف 1987 ومنها ذهبت الى تنبكت في رحلة صحراوية

(2) - موسى بن احمد السعدي مخطوط ورقة 109 والحسن الوازن المصدر السابق ج 2 ص 169

(3) - نفسه ورقة 108

(4) - نفسه ورقة 108 و barth. op cit. p 250

البناء المغربي وهي بقرب النهر ،أما الأحياء الزنجية فلها طابعها الخاص من حيث الفن المعماري اما شوارع المدينة فهي فسيحة وتعقد بها اسواق على جوانب الطرق وسوق اسبوعي في وسطها اضافة الى ذلك فهي مركز تجاري هام في تلك المنطقة يرتاده التجار العرب من شمال افريقيا ومصر ، وقد جعلوها محطة لتجارتهم سواء في عهد مملكة مالي الاسلامية ،ام عهد مملكة سنغاي التي اصبحت حاضرة ،سرعان ما اصبحت المدينة تضاهي غريماتها تنبكت وجني من حيث الدعوة الى اعتناق الاسلام فقد عقدت فيها مجالس العلم ووفد عليها عدد من العلماء من الشمال الافريقي كما توافد عليها طلاب العلم من مناطق المملكة .

ان جزءا من آثار المدينة مازال الى يومنا هذا قائما ومنه مسجد اسكيا الحاج محمد وقبره في الصومعة ،وقد وقفت عليه عام 1987 لقد بلغت جاو عصرها الذهبي في عهد الاساكي ،وتوافد عليها التجار من عدة مناطق ،واصبحت مقر حكم السلاطين (1) وازدادت اهميتها بعد الحضور المغربي في افريقيا فيما وراء الصحراء .

اقتصادها :

اعتمد اقتصاد جاو على التجارة بالدرجة الاولى، فكان تجار شمال افريقيا يفدون عليها بشتى اصناف البضائع، فالملح يرد اليها من تغازة والودع يأتي من الهند ،بواسطة التجار المغاربة ،والنحاس المسبوك من تكدا والتاكوت من مدينة غدامس بليبيا ،وكان مرتفع الثمن كما اعتمد اقتصادها على معدن الذهب الذي اشتهرت به فشكل لها ازدهارا اقتصاديا (2) .

---

(1) – مارمول المصدر السابق ح 3 ص 204

(2) – محمد بن ضى التنواجيوي ، فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول وأصول الأنساب ، مخطوط ورقة 41 والشيخ الأمين عوض الله ص 139

لقد كانت جاو تعج بالعديد من المتاجر، التي يشرف عليها تجار من الشمال الافريقي وبها تجار اثرياء ترد اليها الاقمشة من المغرب واوربا ، كما يوجد بالمدينة سوق لبيع الرقيق ينشط عند قدوم التجار (1)

واورد الحسن الوزان عن البضائع المجلوبة الى جاو وعن اثمانها المرتفعة فالحصان الذي يشترى في اوربا بعشرة مثاقيل يباع في جاو باربعين او خمسين مثقالا والاقمشة الاوروبية الخشنة لا تباع باقل من اربعة مثاقيل للقطعة الواحدة والقطعة القرمزية من قماش البندقية قيمتها ثلاثون مثقالا وقيمة السيف ثلاث او اربع قطع ذهبية ، وكذلك الحراب والسروج (2) وسيرد الحديث عن هذا الجانب في الفصل الاقتصادي .

ولكن لماذا يرتفع ثمن الخيول في جاو؟

يرجع ارتفاع ثمن الخيول بجاو الى صعوبة نقلها ،وعدم مقاومتها للعطش، وبسبب ذلك يهلك معظمها ،وما يصل الى تلك الاماكن يكون غالي الثمن .

منازلها وسكانها :

اورد كعت احصائية لمنازل وسكان جاو مفادها ان أسكيا الحاج محمد امر بأن تجرى احصائية ميدانية لمدينة جاو ، فاجرى احصاء لسكانها ومساكنها ،وقد عمل لاول مرة فبدأ المكلفون بهذا العمل بالقصور الكبيرة والبنايات الضخمة وظلوا مدة ثلاثة ايام متتالية، يحصونها ويسمون اصحابها ،وبعد الانتهاء وجدوا ان عدد منازلها سبعة الاف وستمائة وست وعشرون (7626) منزلا كبيرا مجهزا ،بخلاف البيوت المتواضعة التي بنيت من القش واغصان الاشجار ،والاخصاص التي يسكنها الفقراء ،او عامة الناس فضلا عن ستة وعشرين بيتا من بيوت الخياطين ،وبها مائة وخمسون مدرسة وثمانون مكتبا (3).

(1) - حسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 169- 170

(2) - حسن الوزان المصدر السابق 169- 170

(3) - محمود كعت ، المصدر السابق ص 146- 180

مدينة جني :

حاضرة من حواضر افريقيا تقع الى الشرق من العاصمة باماكو بجمهورية مالي بحوالي اربعمائة كيلو متر تقريبا والى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت، بحوالى تسعمائة كيلو متر تقريبا (1).

حدد صاحب الجواهر الحسان مساحتها بقوله : « كان طولها الى تبني وهي بلد في ارض سلطان كابر وراء جبال تنبلا ، وعرضها الى دبوص وهي مجاورة لارض ورن كي (2) .

وحدد موقعها صاحب تاريخ افريقيا بقوله : « وحد ارضها عرضا من كيكي، قرية في قرب بحردب من جهة اليمين الى بو بلد في مجاورة ارضي ورن كي، وطولا من تبني ،بلد في حد ارض سلطان كابر وراء جبال تنبلاء قبيلة من قبائل المجوسيين (3) .

ويتضح من النصين السابقين ،ان المدينة كانت تتربع على مساحة شاسعة من الاراضي منها ماهو خاص بالمباني السكنية ،والآخر مستغل في الزراعة ونحوها.

وكانت المدينة منظمة بهادور كثيرة ،ومساجد لاداء الصلاة والتعلم وحدائق غناء بها مختلف الاشجار كما انها محاطة بسور ضخم به احد عشر بابا وعليها حراس (4) .

لقد وصفها صاحب الجواهر الحسان بقوله : مدينة عظيمة ميمونة عليها امارات البركة والخير ذات سعة ورحمة ،جعل الله ذلك في ارضها الخير الكثير والنعم الجليل (5).

---

(1) – زارها الباحث في صيف 1985 ووقف على بعض من آثار سورها القديم وعلى مسجدها العتيق والذي طور فيما بعد .

(2) – أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان في أخبار السودان مخطوط ورقة 10

(3) – عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص11

(4) – أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان ورقة 10- 11 وعبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 16

(5) – نفسه ورقة 11

ووصفها صاحب تاريخ افريقيا قائلا : « مدينة عظيمة مباركة ذات سعة ، وبركة ورحمة ،جعل الله ذلك ارضها خلقا وجبلة ،وطبيعة اهلها التراحم ، والتعاطف ،والمواساة ،ولكن المنافسة على الدنيا كانت من اخلاقهم جدا..»(1)

اسمها : هناك رأيان

الرأي الاول : يقول : ان اسمها اشتق من اسم اول ملوكها جنور .

الرأي الثاني : يقول ان اسمها اشتق من اسم الجنة نظرا لانها كانت وافرة الخيرات (2).

ومن وجهة نظري فإنني اميل الى الرأي الاول، باعتبار الحاكم هو السلطة العليا وهو الذي يحدد اسم المدينة .

تأسيسها :

اورد عبدالرحمن السعدي انها بدأت في الكفر ، في اواسط القرن الثاني الهجري (3) ، وقد بنيت بيوتها في بدايتها من الاخشاش ، ثم بنيت بالطين . والحجر ، وعندما تولى حكم البلاد الملك جنور انشأ بها اول سد لحفظ المياه . ولبناء السد قصة نوردها لأنها تحتوي على عدة معان مفيدة ومفادها ان الملك جنور عندما شرع في بناء السد اشار عليه الكهنة بأن يدفن ابنته في السد ، وهي على قيد الحياة ح،تى يعمد السد واراد الملك تنفيذ ما طلب منه ، الا أن خادمه منعه من ذلك وطلب منه أن يضع ابنته بدلها ،بحجة ان سيده والقبيلة ارفع مكانة منه ،ومن قبيلته فالملك ينتسب الى قبيلة مرك ، والخادم الى قبيلة يؤس ،فما كان من الملك جنور إلا ان نزل عند رأي خادمه ودفن ابنته وتم بناء السد (4).

---

(1) - عبد الرحمن السعدي المصدر ص 11

(2) - مجهول نبذة من تاريخ جني ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 1- 2

(3) - عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 14

(4) - مجهول ، نبذة من تاريخ جني ، مخطوط ورقة 2-1

تترجم هذه الحادثة عدة امور هي :

1ـ اسم اول ملك من ملوك جني

2ـ الاهتمام بانشاء السدود عملية حضارية ، تدل على تقدم حكام وسكان هذه المدينة في الزراعة والبناء .

3ـ النظام الطبقي السائد في المدينة ،وكذلك التركيبة السكانية التى تتكون من قبيلة مرك ويؤس ، وباقي القبائل .

4ـ ان المدينة تدين بالوثنية .

5ـ روح التضحية من الملك ،في سبيل إنجاح وإزدهار بلاده

6ـ روح التضحية التى برهن عليها الخادم

ملوكها :

اختلف المؤرخون في اول من حكم مدينة جني ، فأورد صاحب مخطوط جني ان أول ملوكها الملك جنور ومنه اشتق اسمها وقد عاش جنور مائة عام يحكم المدينة الى ان توفى ، فتولى امر البلاد ابن اخيه الملك سقا الذي كان يدين بالوثنية ، واستمر في حكمه الى ان تولى الحكم كيكمبر (1) الذي يطلق عليه عبدالرحمن السعدي كنبر ،ويعتبر اول ملوكها ونقل عليه جل المؤرخين العرب والاجانب الذين اطلعت على كتاباتهم (2) .

واورد السعدي ان ملكها ، اسلم في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي وباسلام الملك كنبر ، اسلمت الرعية وعند اسلامه جمع اربعة الاف ومائتي عالم ،واسلم على ايديهم ،وطلب من العلماء ان يدعوا على هذه المدينة فدعوا بثلاث دعوات .

الاولى : ان كل من هرب من وطنه ، وسكن فيها ان ينسى مكانه ولا يرجع اليه

---

(1) – مجهول ، نبذة من تاريخ جني ، مخطوط ورقة 3

(2) – عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 12

الثانية : ان يعمرها من غير اهلها اكثر من اهلها ، وزاد عبد الرحمن السعدي بأن يرفع عنهم الصبر من الواردين من التجار ، حتى يبيعوا بضاعتهم بارخص الاثمان .

الثالثة : ان يرزق اهلها ربحا كثيرا من الواردين اليها .

من خلال العرض السابق الذي تناولت فيه تأسيس المدينة ، واول ملوكها وتاريخ دخول الاسلام اليها ،وفحوى الدعوات على المدينة فاننا نورد الاتي :

نتفق مع ما ذهبت اليه مخطوطة جني من ان جنور ملك من ملوك جني ، ولا نتفق معها على انه اول ملوكها اذا سلمنا فيما ذهب اليه السعدي من ان تأسيسها في اواسط القرن الثاني الهجري لان من بداية التأسيس والى تولي الملك جنور حوالي مائتين وخمسين سنة اذن لا يعقل ان تكون المدينة بدون حاكم ،كما اني لا اتفق مع عبدالرحمن السعدي الذي يورد بأن الملك كنبر هو اول ملوك جني ، وان المدينة دخلت في الاسلام ، بدخوله الاسلام فكيف يعقل ان يجمع الملك كنبر اربعة الاف و مائتي عالم ويسلم على ايديهم ، ويطلب منهم الدعاء وهذا الرقم مهما كانت صحته من عدمه فإنه يبرهن بما لا يدع مجالا للشك على ان المدينة كانت على الإسلام ،قبل الملك كنبر فترة طويلة قد تعود الى تاريخ تأسيسها ،فالدين الاسلامي كان من ضمن ديانة المدينة التي يدين بعض ملوكها بالوثنية .

اما الدعوات ،فيقصد بها ان يكثر بها الخلق والواردون اليها ،والثانية ان يعمرها بالتجار والعلماء الواردين عليها حتى تزدهر اقتصاديا وثقافيا ،والثالثة عندما يصبح اهلها اغنياء من الواردين عليها ، يستريح اهلها وينعمون بالاستقرار .

لقد كانت مدينة جني في عهد الملك كنبر على درجة من الدقة ،والتنظيم اذ كان الجيش مقسما الى قسمين :

القسم الاول : مكلف بحراسة البلاد من الجهة الغربية، المواجهة لارض سنا، وهذا القسم من الجيش مقسم الى اثنى عشر اميرا ،وعلى هؤلاء الامراء رئيس عليهم يدعي سن فرن .

اما امراء فرق الجند فهم :

يوس ، وسناسر ، ومانغ ، وكرمو ، وغيرهم ومهمة هذا الجيش الوحيدة مواجهة اي غزو من ملي كي، ومقاتلة جنده بدون الرجوع للسلطان .

اما القسم الثاني من الجيش، فهو مكلف بحراسة الجهة الشرقية من المدينة، وراء النهر من ناحية تنلي ،وهذا الجيش مقسم الى اثنى عشر أميرا (1)

من خلال العرض السابق يتضح الآتي :

ان تقسيم الجيش يترجم قوة المدينة ،والدقة المتناهية في التنظيم المحكم .

مدينة كوبر :

تقع الى الشرق من جاو وبحوالي ثلاثمائة ميل ، يطلق عليها الحسن الوزان المملكة ،وموقعها بين جبال مرتفعة، وتضم عددا من القرى، سكانها متحضرون ويمارسون حرفة رعي المواشي ،حيث تكثر بها الاغنام والبقر ، وتمتاز اغنامهم بقصر قامتها كما يمارس بعض سكانها حرفة نسيج القماش ، والبعض الاخر صناعة الاحذية التي يصدرونها الى مدينة تنبكت وكاغو كما يكثر بها عسل النحل والارز ، غزاها اسكيا الحاج محمد عام 1513 م (2) ويورد عبدالرحمن السعدي ان هذه الحملة ربما وصلت الى كوبر (3) . بعد استيلاء اسكيا محمد عليهم أخذ جزءا من سكانها عبيدا له واحتفظ بأبناء سلطانها في قصره حتى يبقوا تابعين له (4).

---

(1) – أحمد بابير الأرواني ، الجواهر الحسان ، مخطوط ورقة 11 وعبد الرحمن السعدي المصدر السابق ص 13

(2) – الحسن الوزان ،السابق ج 2 ص 170- 171

(3) – عبد الرحمن السعدي ،المصدر السابق ص 68

(4) – حسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 171

مدينة سغ :

موقعها وتأسيسها :

حاضرة من حواضر افريقيا فيما وراء الصحراء ،تقع اليوم ضمن نطاق جمهورية النيجر ،الى الغرب من أقدز يرجع تأسيسها الى فترة امبراطورية غانة الوثنية اتخذت مدينة (سن كر) حاضرة لها .

سكان سغ خليط من الفلان والبنبارة يدينون بالديانة الوثنية ومعبوداتهم هي الحيوانات والاصنام ،وكان البنبارة يذبحون لمعبوداتهم كل سنة انسانا وثورا ابيض او اسود او احمر او اصفر وكلبا وديكا في عيد الاضحى والرجل الذي يذبحونه يشترط فيه ان يكون امير قرية بأن يختطفوه ويأتوا به الى مدينة سغ، ويسجنوه الى ان يأتي يوم عيد الاضحى فيذبحونه مع باقي المذبوحات، ويخلطون لحمه مع لحومهم ويطبخونه ويأكلونه وينقلون جزءا منه الى قبر ملكهم (بتو) اما قلب الامير الذي يذبحونه، فانهم يجففونه، ويطحنونه، ويحتفظون به دقيقا فاذا ما زارهم ملك او امير فانهم يخلطون جزءا من دقيقه ويطعمونه له بدون علمه ويعتقدون بهذا العمل ان الملك او الامير سيصبح تابعا وطائعا لهم الا ان الدين الاسلامي قد دخل المدينة ،منذ زمن امبراطورية غانة ولو انه لم ينتشر على نطاق واسع الا في زمن مملكة مالي الاسلامية الذي امن به بعض الملوك وجزء كبير من سكان سغ (1).

ملوكها :

كان اول ملوكها الملك بتو عرف بالحزم وقوة الشكيمة ،وكون جيشا قويا يقال : ان عدد قواده الف وسبعمائة وخمسة وخمسون قائدا ومهما كانت صحة هذا الرقم فانه يكشف لنا قوة هذا الملك الذي استطاع تأديب جيرانه، وضم ممتلكات بلدة سك واخضاع الفلان الذين كثيرا ما كانوا يعلنون عصيانهم

---

(1) – موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 242– 205

على نظام الحكم بعدم دفع الخراج ،ولما تولى اجبرهم على دفع الخراج له الى زمن الملك احمد حمد لسب ، يتبين من ذلك مدى سيطرته على الامور ،الا ان المنية باغتته قبل ان يكمل ما بدأه من مجد فمات تاركا بلاده قوية مهابة ،وتولى بعده الملك دامنوا وكون جيشا قويا كان جزء من عناصره مكونا من النساء وعلى حد علمي يعتبر هو اول من ادخل عنصر النساء في الخدمة العسكرية (1).

وبعد وفاة دامنوا ،تولى قل ثم منسو ثم داسكر ثم سافل ثم تركرمر وكان الملك تركرمر ملكا جبارا قاسي القلب يعذب الخارجين عن طاعته بغلي الزيت ووضعه في عين الخارج فتنفقيء عيناه .

وكان لملوك سغ طقوس يوم العيد بأن يخرج الملك عاريا وعليه سروال صغير لا يبلغ نصف فخذيه ومشدود بحبل في نصفه وفي يده منجل يقطع به الحشيش ويجري ويقول : اناشيدا الى ان يصل قبر الملك السابق بتو ، فيطلب منه الخير وحاجته وحاجة اهل البلد من نزول المطر ونحوها ويقول الملك كلمات مفادها : نحن مازلنا عبيدك وخدامك (2) وتدل هذه العادات على تجدر الوثنية في تلك المناطق .

مدينة السوق (كل السوق) :

حاضرة من حواضر افريقيا فيما وراء الصحراء تقع الى الشرق من مدينة جاو ، وتبعد عنها بحوالي اربعمائة وخمسين كيلو مترا (3) وصلها الفاتح العربي عقبة بن نافع الفهري عام 61 هـ / 680 م (4) وهو الذي تم على يديه فتح تونس ،وبناء القيروان وفتح مدينة غدامس ،وودان ،وكوار ثم ،ولاته

(1) - موسي بن أحمد السعدي ،مخطوط ورقة 207

(2) -موسى بن أحمد السعدى ،محفوظ ورقة 200

(3) - زرتها عام 1987

(4) - مجهول خبر السوق مخطوط ورقة

ومزانه (1) وكانت مدينة السوق قبل فتح المسلمين تدين بالوثنية وعندما قدم اليها عقبة بن نافع حاول اصلاح حالها بأن بنى بها المساجد، منارات الدين والعلم ،وبالتالي انتشر الاسلام في تلك الربوع (2) وقد نزل بمدينة السوق عدد من الصحابة رافقوا عقبة وهم اجداد اهل السوق واورد صاحب المخطوط : ان قبورهم معروفة الى الان كل قبر مكتوب عليه اسم صاحبه وعمره وغزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم ابو محذور مؤذن (3) الرسول صلى الله عليه وسلم .

عرفت مدينة السوق بأنها مدينة علم وصلاح ،كان بها عدد من العلماء نذكر منهم (ابو عمر الداني) (4) وغيره من العلماء الاجلاء تعرضت مدينة السوق الى التخريب زمن السلطان أسكيا داوود ،قبل مجيء الحملة المغربية على افريقيا فيما وراء الصحراء (5).

مدينة جاور :

حاضرة من حواضر افريقيا تقع جنوب مدينة تنبكت وتبعد عنها بحوالي اربعمائة وخمسين كلم كانت من بين مدن امبراطورية غانا، تقطنها قبائل

---

(1) - محمد محمود الأرواني ، الترجمان ، مخطوط ورقة 3

(2) - مجهول خبر السوق ، مخطوط ورقة 4، محمد محمود الأرواني الترجمان ، مخطوط ورقة 3 ولاهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا المرجع السابق ص 112

(3) - سألت أهالي السوق عن هؤلاء الصحابة وهل مازال لهم أثر على مقابرهم فأجابوني بأنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معلومات تؤكد صحة هذه الأخبار

(4) - هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الأموي المعروف بابن الصيرفي وأطلق عليه بعد ذلك الداني ، ولد بقرطبة عام احدى وسبعين وثلاثمائة من الهجرة 371ه 981م بعد ذلك انتقل الي دانيه ونسب إليها طلب العلم وهو ابن اربع عشرة سنة وتبحر فيه . درس عليه عدد من رجالات الأندلس كان يقال ابو عمر الداني قاريء الأندلس وأبو الوليد الباجي فقيهها وإبن البر محدثها .

وصلت عدد مؤلفاته الى مائة وعشرين تاليفاً - للمزيد أنظر شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد الجزيري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، بعناية ، ج . رجستراسر ، القاهرة : مكتبة الخانجي 1933م ص 503

(5) - مجهول ، خبر السوق ، مخطوط ورقة 6-7 وسيدي مولاي الهادي ، الحقوق الإجتماعية للعبيد ، مخطوط ورقة 48

السوننك والبنبارة والفلان (1) اما عن اسمها فنجد روايتين : الاولى تعني في لغة السوننك أخا واترك السيف ولهذا الاسم قصة اوردها موسى السعدي مفادها ان اصل ملوك جاور عبد (لكرنك) (2) فخرج ذلك العبد ذات يوم الى الصحراء يتصيد فعثر على سيف جيد ، ورجع به واخفاه عن سيده الا ان سيده عثر عليه وطلبه منه فامتنع العبد واراد ان ينزعه منه فقتله العبد فقام الناس من الدباغين وغيرهم وارادوا قتل القاتل فانضم العبيد الى القتال ودافعوا معه دفاعا مستميتا ودارت بينهم معارك انتصر فيها العبيد وعندما انهزم السادة اخذوا يطرون العبيد ، سبا ، ويقولون لهم : جا اي كما يقال ياكلب عند زجر انسان او راء اترك وهذا معناه (جاور) اصلا في لغة السوننك اخا واترك السيف فلما غلب العبيد أسيادهم وصاروا ملوك تلك المدينة جعلوا اسمها جاور وتلقبوا بهذا اللقب .

اما الرواية الثانية فتقول : ان اسم جاور مشتق من اسم ارضهم (جار) (3) .

ويطلق (البيضان) (4)لاهل جاور اتمال نسبة لمالي (5) وامام الرأيين فاني اميل الى الرأي الثاني وذلك لسببين :

1ـ لم أسمع على حد علمي أن العبيد في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء كانت لهم شخصية واعتبار، يستطيعون بها ان يصرخوا في وجه أسيادهم ويقاتلوهم ،ويكونوا ملوكا عليهم باستثناء الملك ساكوره ، ونعتبرها حالة شاذة .

2ـ سألت عددا من مثقفي قبائل السوننك ماذا تعني عندهم كلمة جاور،

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 230

(2) - كرنك قبيلة تمتهنالدباغة والخرازة

(3) - تعني في لغة الفلان الأرض الخصبة

(4) - عرب الشمال الأفريقي

(5) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 230

فافادوني بانها تعني عندهم خسيسا فقط ولا يمكن ان يطلق على مدينة اسم المدينة الخسيسة ،وفي لغة الفلان تعني جار اي الارض الخصبة فكيف نوفق بين الخسة والأرض الطيبة ؟

تقسيماتها :

تنقسم المدينة الى قبيلتين : الاولى سكون ، والثانية دابون ، وكل قبيلة تنقسم لعدة بطون .

1ـ قبيلة سكون تنقسم بدورها الى ست بطون وهي :

أ ـ جغلتفر

ب ـ مكت

ج ـ فرمبوب

د ـ دام

هـ ـ بنجكر

و ـ سننكر

2ـ قبيلة دابون تنقسم إلى سبع بطون وهي :

أ ـ فرن

ب ـ جكد

ج ـ جكري

د ـ دال مود

هـ ـ وساكاماد

و ـ وفرمغ

ن ـ كسرنكوب

ويورد موسى السعدي أن قبيلة دابون أبوهم دابو محمود وأمهم فاتم دابو (1)

مدينة ماسنة :

هي اليوم ضمن نطاق جمهورية مالي ،تقع الى الشمال من مدينة جني، شهدت حضارة زاهرة ،في عهد مملكة مالي الإسلامية يرجع أصل ملوكها إلى بلدة كم، وكان حاكمها يدعى جاجي بن ساوي ،وكان له أخوان الأول يدعى مغن والثاني يك الذي مات وترك زوجته فأراد مغن الزواج منها ،وعندما سمع أخوه السلطان جاجي بالامر استدعاه وشتمه على ما ينوي القيام به فغضب مغن وأخذ جزءاً من الماشية ، والعبيد واتباعه وخرج من أراضي قيال الى أن وصلوا ربوة ،عالية يطلق عليها ما سنة، وكان يحكمها باغن فاري وسكانها من صنهاجة فرحب بهم باغن واكرمهم وسمح لهم برعي مواشيهم في ارضه ، وجعل باغن مغن سلطانا على جماعته ثم وفد على مغن عدد من قبائل فلان سنقر إلى أن كون بلدة فأصبح حاكما عليها (2).

من هنا يتضح جليا أن السلطان مغن فلاني ،كما يتضح أن كل مقاطعة من مقاطعات افريقيا فيما وراء الصحراء ،عليها سلطان لا يخضع للسلطان الآخر في الأغلب الأعم ،كان لما سنة جيش قوي عماده اللقطاء ،وكانت عندهم عادة اذا ما حملت المرأة بطريقة غير شرعية يتركونها إلى أن تضع مولودها فتأخذه الى الجامع في عتمة الليل ، وتسلمه إلى الإمام حيث يتولى تربيته ويجعله من ضمن عسكره (3).

ماتم إراده ،ينم عن انتشار رذيلة الزنا ،في المجتمع على الرغم من إسلامه ،إلا أنه يبيح هذه الرذيلة ،ولا يتحرج منها الأمر الذي يدل على أن الاسلام لم يؤثر بشكل قوي في البنية الاجتماعية ،وعلى الرغم ما فيها من بعض الرذائل إلا أن

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 244

(2) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ، ورقة 167 - 168

(3) - موسى بن أحمد السعدي، زهور البساتين مخطوط ورقة 183

بها صفوة من العلماء الاجلاء امثال جد الفقيه محمود محمد اقيت من اهل ماسنه ،وقد قال العلامة أحمد بابا التنبكتي : «بأن رحيله منها إلى بير الا بغضه للفلان المجاورين له (1).

مدينة سيقو :

هي إحدى مدن افريقيا فيما وراء الصحراء ،تقع إلى الغرب من مدينة جني وتبعد عنها بحوالي مائتين وخمسين كيلو متر (2) .

تأسيسها وحكامها :

يورد محمد محمد المفتي (مرحبا) أن هذه المدينة ملكها أخوان هما عمر والامنغا وما هي الا فترة وجيزة حتى شب بينهم الخلاف فاقتتلوا وكادت الحرب تفنيهم فرحل ما تبقى منهم الى بلاد تدعى سرطو ،في منطقة دبحا الا ان ملكها لم يسمح لهم بالمكوث بينهم ،فرحلوا الى بلاد (غم) وكان ملكها يدعى إسحاق ترور ،وكان له ستون ولدا، وأخ واحد يدعى أحمد ،واتفق أبناء اسحاق على قتل عمهم حتى لايتولى الحكم بعد ابيهم وقتلوه ونشروا الفساد في البلدة ، وقد قتلوا في سوق غم في يوم واحد ستمائة شخص من المؤيدين لعمهم .

وأمام هذه الأعمال البشعة والفوضى السياسية ،انتهز أهالي سيقو بقيادة عمر زمام المبادرة ،وثاروا على صاحب غم إسحاق ترور وأبنائه وسيطروا على الحكم ثم واصلوا زحفهم نحو الشرق ،حتى استولوا على (سومارا) (وصغباغ) ،و(كرنو) ،و(غنا) ،و(غند) ،و (جمبل) ،و (دغر) (3) 1110هـ / 1698 م (4) .

---

(1) - عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 35

(2) - زرتها في صيف 1985-1987.

(3) - هذه القرى كانت تجاور سيقو ،وضمت لها بعد ذلك ومازالت الى يومنا هذا جزءاً من هذه القرى تابعة الى سيقو

(4) - محمد محمد المفتي (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 117-122

دياناتها :

كان أهل سيقو يدينون بالوثنية ،فكانوا يعبدون الجبال والأشجار، ونهر النيجر ،والشمس ،وغيرها ثم جاء الدين الإسلامي الى تلك المناطق ،وانتشر عن طريق التجار ،والدعاة فآمن به العامة ثم بعض ملوكها (1) .

مدينة مينو :

إحدى حواضر إفريقيا فيما وراء الصحراء ،تقع اليوم إلى الشرق من مدينة كني ،وهي من ضمن نطاق نيجيريا ،لم نعثر على تاريخ لتأسيسها إلا أنها تأسست على ما يبدو في فترة مبكرة .

تاريخها السياسي :

كان أول حكامها يدعى السلطان غمك ،وقد عرفت عليه الحنكة والدراية وحب الخير ،حكم البلدة فترة من الزمن ،إلى أن تولى بعده صهره كزامة بند بعد انقلاب عسكري أطاح بغمك ولهذا الإنقلاب قصة نوردها :

قدم كزامة من بلدة مندرا، التي لا تبعد كثيرا عن مينو إلى بلدة مينو، وقصد حاكمها غمك ،ويبدو أن وراءه قصة فأستقبله غمك بكل حفاوة وتكريم ،ومكث عنده في بيته فترة من الزمن وكان كزامة طيلة هذه الفترة يكون علاقات مع كبار بلدة مينو والاهالي وقد تزوج ابنة غمك وهي خطوة مهمة تجاه السيطرة على الحكم ووسوست له نفسه انتزاع الحكم من غمك ،واستشار زوجته وجمعا من اتباعه فأشاروا عليه بذلك فأخذ الحكم من صهره بأن أغار عليه وطرده هو وأتباعه للجبل ،وتولى أمر البلاد إلى أن توفى تاركاً سبعة ابناء تعاقبوا على الحكم من بعده (2) .

والسؤال المطروح هو :

---

(1) – موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 20، ومحمد محمد المفتي (مرجبا) التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 117

(2) – أحمد البركوي ، تاريخ مينو ، مخطوط مكتبة الباحث، ورقة 1-2

ما السر من وراء تولي كزامة حكم مينو ؟ على ما يبدو أن كزامة ،وهو من أبناء بلدة مندرا كان من اسرة عريقة ان لم نقل انه حاكم مندرا ومجيئه الى ارض مينو ربما يكون وراءه سر .

وبحسب حد علمي أن مجيئه كان لسببين :

الأول : قد يكون هناك عداء بين حاكم مندرا، وحاكم مينو، وأن حاكم الأخيرة كان أقوى من خصمه ،وبذلك دبر حاكم مندرا حيلة ،استخدم فيها الدهاء بزرع أحد أتباعه الذين عرفوا بالدهاء ف،ي بلدة مينو إلى أن وصل لحكم البلدة وتزوج ابنته، وبذلك استطاع حاكم مندرا الإنتصار على خصمه بعد أن فشل عسكريا .

ثانيا : ربما كان كزامة قد جاء إلى البلدة بأتباعه من مندرا، وعندما شعر بالقوة ثار على صهره بعد أن وافقته زوجته وأتباعه .

أما أبناء كزامة ،الذين تولوا الحكم من بعده فهم :

1ـ محمد مغير أمه

2ـ الأمير إبراهيم برتامة

3ـ دوغة فنجه

4ـ الأمير محمد برتامة

5ـ الأمير بكر غفثيمة

6ـ الأمير محمد غضيم ،وهو الذي سكن بلدة بنه

7ـ الأمير إبراهيم يايمة بن تامة

وقد ترك الأمير إبراهيم يايمة بن تامة ،بعد وفاته خمسة أولاد تولوا الحكم من بعده ،وكان الأمير لغيا غينغمة أكبرهم .

والأبناء هم :

1ـ الأمير لفيا غينغمة

2ـ الأمير محمد غمومي

3ـ الأمير لفيا كائمة

4ـ الأمير ثمة

5ـ الأمير مركورمة (1)

العلاقات بين الأمير مركورمة وملك برنوا :

على الرغم من تبعية مركورمة وأتباعه في السابق إلى حكام مالي وسنغاي ،الا أه كانت لهم علاقات مع الدول المجاورة لهم، يستعينون بها عندما تضيق عليهم الدولة التابعين لها .

كان الأمير مركورمة على علاقة وطيدة مع ملك برنو ،وكان يزوره ويتبرك به ،وفي إحدى الزيارات له توفي في الطريق ،وكان برفقته ابنه (دخن) ،فرجع دخن الى ملك برنو وطلب منه اضفاء الشرعية عليه بتنصيبه بدل والده ووافق ملك برنو على ذلك ،الا أنه بمجرد وصول الأخير إلى مينو ثار عليه الأمير (كُسُ) ،الذي كان نائب مركورمة ،وطرده من مينو، وتولى أمر البلاد، وأخضع كل رؤساء القبائل في مينو لنفوذه ورؤساء القبائل هم :

1ـ مركبار

2ـ مرمد

3ـ ومربكر

4ـ ومر لفياتتم

5ـ ومر ليفياافنود

6ـ ومر حاج مكمه

7ـ ومر غلاج

---

(1) - أحمد البركوي، تاريخ مينو، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 2-3

رؤساء القبائل يلحق بأسمائهم لفظ (هو) (1) وهي تعني عندهم شيخ القبيلة أو زعيمها، وكانت لهم السلطة العليا في جماعتهم وهم الذين يقررون الإنتقال بمواشيهم من مكان لآخر ،وحفظ الأمن في القبيلة ومعاقبة الخارجين عن نطاق القبيلة ،وهم يكونون مجلس الشورى عند الأمير (2) .

استمر الامير كوس في الحكم ،وهو أقوى أمراء مينو على الإطلاق ،بعد كزامة كان كوس يدين بالإسلام بفضل جد صاحب المخطوط البركوري، الذي أسلم على يديه ملك مينو الأسبق و كوس وأتباعه .

لقد استطاع الملك كوس الإنتصار على خصومه المجاورين له ،وإخضاعهم لحكمه ،وبعثت فيه روح الإنتصارات التمرد على ملك سنغاي اسكيا إسحاق، بمحاولة الإنفصال عنه ،بأن رفض دفع الأموال المطلوبة منه سنويا ،فما كان من اسكيا إسحاق الا أن أمر بقتله فقتل قبل أن يكمل طموحاته التوسعية، وقد ترك أربعة أبناء توارثوا الحكم من بعده وخضعوا لسلاطين سنغاي وهم :

1. الأمير محمد كوس
2. الأمير مؤس
3. الأمير الحاج
4. الأمير مفلتمة

طريقة تنصيب الأمراء :

عندما يراد تنصيب الأمير، تذبح له بقرة صغيرة صفراء بين جبلين، ويمكث الأمراء وكونومة ومعه وصيفاته في بيت خمسة عشر يوما ،محجوبين عن أنظار الناس لا يقابلهم أحد مهما كانت الاسباب ،ثم بعد إنتهاء المدة تؤخذ جارية وغلام ،ويطرحان على سرير داخل البيت المحتجب فيه ،الذي يراد به تنصيبه، ويجلس فوقهم المنصب ويقوم بغسله مجموعة من وصيفاته ،وفي أثناء

(1) - هو مصطلح يستخدمه أهل الصوفيه في تسبيحاتهم وهو يعني عندهم الله

(2) - أحمد البركوي ، تاريخ مينو مخطوط ورقة 4

الإغتسال هناك فرق خارج البيت تدعي فرق الأرض ،تطوف بالبيت وتعزف الحانا جميلة ابتهاجا بهذا الحدث ،وبعد إنتهاء الإغتسال يخرج الذي يراد تنصيبه ،في أزهى صورة مرتديا ملابس جميلة، فضفاضة ،ويتوجه إلى دار السلطنة ويباشر عمله (1) .

في ختام الحديث عن بلدة مينو نستخلص عدة جوانب هي :

1ـ تأسست المدينة منذ فترة مبكرة ،ترجع إلى عهد إمبراطورية غانا الوثنية، ونستشف ذلك من نظام الحكم الوراثي ،الذي إختطه حكام تلك البلدة وهم خمسة وعشرون حاكما .

2ـ أسماء عدد من ملوكها عربية اسلامية ،فمثلا محمد إبراهيم الحاج ،الخ ... الأمر الذي يؤكد أن الإسلام وصل إلى هذه المدينة منذ فترة مبكرة .

3ـ جزء من حكامها كانوا تابعين لمملكة برنو ،تبعية إسمية، والدليل على ذلك عدم تدخل ملك برنو لصالح دخن ،وإرجاعه لحكم مدينة مينو، بالرغم من تنصيبه له باضفاء الشرعية عليه

4ـ كان بالمدينة نظام اداري بدليل أنها مقسمة الى عدد من القبائل ،وعلى كل قبيلة شيخ يسير أمورها والمشائخ يمثلون عند السلطان مجلس الشورى .

أما بخصوص تنصيب الأمراء فإننا نستشف الآتي :

1ـ بالرغم من أن الاسلام كان في تلك الديار ،منذ فترة طويلة إلا أن بعض الحكام على ما يبدو، كانوا على الديانة الوثنية، فذبح بقرة صغيرة صفراء بين جبلين عادة وثنية ،وهي تقديم القرابين للجبلين بإعتبارهما الإله الأعظم ،الذي يطلبون منه أن يوفق الأمير الجديد في عمله .

2ـ احتجاب الأمير المراد تنصيبه لمدة خمسة عشر يوما، في بيت ومعه خدامه ينم عن انه طيلة هذه الفترة يقوم بطقوس الولاء والطاعة للألهة حتى ترضى عنه ،وتوفقه في عمله .

---

(1) – أحمد البركوي ، تاريخ مينو، مخطوط ورقة 4-5

3ـ إغتسال الأمير وهو جالس على جسدي فتي وفتاة ،دليل على أنه لم يكن على دين الإسلام وأنه على الوثنية .

اقدز :

هي إحدى حواضر إفريقيا فيما وراء الصحراء، تقع حالياً ضمن نطاق جمهورية النيجر ،إلى الشمال من العاصمة نيامي، تبعد عنها بحوالي ألف كيلو متر .

قال عنها مارمول : إنها تقع إلى الغرب من إقليم جوبر (1) .

أما عن اسمها ،فقد أورد جنيد ونقل عنه « جيبوهاماني» أن الرواية الأكثر، إنتشارا تفيد أن هذا الإسم لم يكن معروفا الإ مع تأسيس السلطنة ،عندما كان الطوارق الذين لم تمكنهم ظروفهم من العيش في المدينة ،يكتفون بالحضور لتغيدش بقصد زيارة سلطانهم التارقي فسمو المكان باقدز (2)كان تأسيسها فى القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر الميلادي ،على ايدى قبائل الغوبير ،وا التى كانت مجموعة منها تقطن بلدة اهير ، والتي تسكنها خمسة قبائل ليبية من مدينة اوجله وهي تملك وسندار واكدالا ، واجدارنين هاجر جزء منهم الى اقدز وكونوا مع القبيلة السابقة (الغوبيروا) وباقي قبائل الازنا والزرما والايباركوريون المدينة (3) .

ذكر الحسن الوزان، بانها مدينة مسورة، بناها الملوك المحدثون ،في تخوم ليبيا ،ومدحها بأنها أفضل مدينة من مدن البيض ،ويعني بذلك عرب شمال افريقيا ،وتسبقها في الأفضلية مدينة ولاته ،(4) ،شهدت البلاد حالة من الإستقرار السياسي ،والاقتصادي ،والثقافي ،عقب انتقال المؤثرات السابقة،

---

(1) - مارمول ،المصدر السابق ج 3 ص 206-207

(2) - جنيد بن محمد البخاري بن أحمد غداد بن ليم ،رحلته لا تذر مخطوط ورقة 123

dijibo m hamani op cit p 310

(3) - مجهول تراجم علماء باغرم مخطوط ، وبيي كادو ، الحضارة الإسلامية في النيجر،المراجع السابق ص 57

(4 - الحسن الوزان ، ج 2 المصدر السابق ص 172

من قريناتها تادليزة ، وتشين شامان إليها ،وعرفت ازدهارا إقتصاديا وثقافيا زمن السلطان اسكيا الحاج محمد ،فقد ارتادها التجار من الشمال الافريقي ومثلث ملتقى للتجار ،ونقطة عبور في آن واحد إلى مناطق السودان الغربي ،بالرغم من غياب الأمن في كثير من دوربها ، نظرا لانتشار قطاع الطرق ، فقد استخدم تجار شمال افريقيا العبيد لحراسة قوافلهم ، وخاصة الطريق الرابط بين كانو وبرنو وكانوا يسلحون العبيد بالرماح ،والسيوف ،والقسي ،والخناجر ، ويتقاضى العبد مقابل ذلك أثمانا عالية ،وعندما يصل التاجر إلى المنطقة التي يريد بيع بضاعته فيها فإن جزءا من العبيد يصرفهم للشغل في اماكن اخرى ، ويبقى على اثنى عشر ،عبدا يقومون على خدمته (1) . ومن هنا صارت التجارة عماد الاقتصاد في اقدز ، بالاضافة الى امتهان أهلها حرفة دباغة الجلود .

أما الجانب الثقافي ، فكان هو الآخر على درجة من الرقي ،فقد انتشرت بها المساجد التي تؤدى وظيفة العبادة ،فهناك مسجد محمد اسكيا الحاج محمد هو أكبر مسجد في اقدز ،ومسجد عثمان الفزاني (2) ومسجد اميديت ،الذي بناه الشيخ زكريا ،ومسجد فاندي ،وغيرهما ،ومن العلماء الذين لعبوا دورا في الحياة الثقافية ،سيدي محمد البغدادي ،والذي أدى نشاطه العلمي إلى تكوين عدد من مراكز العلم هناك ،وكذلك سيد ز كريا ،وعثمان بن علي الحضيري الفزاني (2) والذي سيرد الحديث عنهم في الفصل القادم .

وقد تعاقب على حكم البلاد عدد من الحكام ،نذكر منهم أحمد بن تلاذي الذي حكم اقدز زمن السلطان اسكيا الحاج محمد ،وهو الذي قاوم حملة اسكيا على المنطقة الا أنه اصبح بعد ذلك تابعا له بعد ان رأى فيه القائد والحاكم

---

(1) - لامن بن أحمد بكنوا ،تاريخ أكدز ،مخطوط ورقة 2-3 وحسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 171-172
barth op . cit p 2660

(2) - أنظر صفحة الملحق ص

الناجح وقـربه منه (1) ، وقـد ذكـر مـارمـول ان حكام اقـدز من قـبـيلة (ونزيكة)(2)(3) الامر الذي يؤكد مدى اتصال هذه المنطقة من افريقيا فيما وراء الصحراء ،بما يناظرها من الشمال الافريقي .

وأورد حـسن الوزان عن ابهـة حكام اقـدزز بأن قـصـورهم في وسط المدينة وللملك جيش من البدويين والصحراويين من القبائل الليبية يقومون بحراسته وخدمته ، ويتقاضى حكام اقدز ،أموالا عن التجارة الواردة اليهم من الشمال الافريقي وفي المقابل يؤدي ملوك اقدز خراج لملوك تنبكت يقدر بمائة وخمسين ألف مثقال .

إلا أن ملوك اقدز عرفوا بضعف شخصيتهم ،وسيطرة حراسهم عليهم حتى أنهم يخلعونهم متى أرادوا (4) .

بالرغم من الازدهار الاقتصادي والثقافي الذ عرفته هذه الحاضرة الا أن الزمن لم يسعفها طويلا ، فبإنهيار إمبراطورية سنغاي من على مسرح الاحداث ، وحدوث كوارث طبيعية ،تمثلت في الأمطار الغزيرة عام 1111 هـ / 1699 م التي قضت على ثلاثمائة بيت ،وانتشار عدد من الأوبئة ،حلت بالبلاد ما بين سنتي 1687 ـ 1688 ، الشيء الذي ساعد على إنهيارها (5) .

مدينة كني :

هي إحدى حواضر إفريقيا فيما وراء الصحراء ، تقع الآن ضمن نطاق جمهورية النيجر ،على مقربة من حدود نجيريا ،تقع إلى الشمال الشرقي من العاصمة نيامي ،وتبعد عنها بحوالي أربعمائة كيلو متر (5) . تأسست في

(1) – لامن من أحمد بكنوا ، تاريخ اكلز مخطوط ورقة 3
(2) – ونزريك مدينة ليبية الى الجنوب من مدينة سبها على مقربة من الحدود والنيجيرية الحالية .
(3) – مارمول المصدر السابق ج 3 ص 206- 207
(4) – حسن الوزان المصدر السابق ج 2 ص 172
(5) – جنيد بن محمد البخاري ، مخطوط ورقة 24، ويوبي كادو ، المرجع السابق ص 59
(6) – زارها الباحث عام 1994

القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي على ايدي قبائل السوننك والفلان، إلا أنها لم تعرف ازدهارا ملحوظا إلا في فترة مملكة مالي الإسلامية، وقد غزاها سني على ملك سنغاي ،ولقى حتفه فيها ، واستلم ابنه قيادة الجيش، وقد سبق الحديث عنه في الفصل السابق .

الأمير عبدالله محمد بن يعوقب وحكمه للمدينة :

تولى الأمير عبدالله محمد بن عقوب حكم مدينة كني، وكان رجلا متدينا ملتزما بأمور الشريعة الاسلامية ،حاول أن يحكم بلده على هذا الأساس ،محاولا خلق مدينة إسلامية فاضلة ،فكان على اتصال بالعلماء ،يستفسر منهم عن الامور التي استعصت عليه في حكم بلاده ومن بين هؤلاء العلماء العالم محمد بن عبدالكريم المغيلي فقد بعث اليه برسالة يطلب منه توضيح جملة من الأشياء التي تعينه على تسيير دفة أمور حاضرته، وفق الشريعة الإسلامية وقد بعث إليه الشيخ محمد المغيلي برسالة طويلة، تتضمن رده على أمير كني، نوردها كاملة على الرغم من طولها يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ،من عبدالله (تعلى)(1)محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني، لطف الله [تعالى] به وبجميع أحبابه ،بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه إلى عبدالله محمد بن يعقوب سلطان كن ، وفقه الله لما يرضاه واعانه على ما اولاه من امور دينه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،أما بعد فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة، فيما يجوز للحكام ،في ردع الناس عن الحرام ،فأعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه ،وحفظ ما أودعنا من شرائعه ،لأنه لابد من ردع المفاسد

---

(1) - تعالى

الدينية ،والدنيوية بالمقاطع الشرعية ،على حساب الطاقة البشرية ولا يجوز أن يترك مفسداً على فساده ،مع امكان ردعه عنه بسب ، او لعن ،أو حبس أو ربط أو ضرب أو صلب او قتل أو نفي أو نهب ماله أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية ،لكل داء دواء ولكل مقام مقال وفعال ، بحسب ما يظهر من الأحوال فصر مقامات الخلافة النبوية عن الاهانة بردع العامة عن سوء الادب بالأقوال والأفعال ،وسائر الأحوال ،ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته عنه لان ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله ،وأمنع جميع اهل بلادك عن جميع انواع الشرك ، وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة، والدم ،وغير ذلك من المحرمات ،وأمنع الكفار من أن يظهروا شيئاً من ذلك، ومن إظهار اكل او شرب او نحوه في رمضان لان كفار بلادكم بين المسلمين في الاسواق والمنازل وغيرها فلو تركو الاظهار او شرب خمر او فطر في رمضان او زنى او غير ذلك من المنكرات وانواع ضلالهم لكان ذلك ذريعة لان يفعل كفعلهم ضعفة العقول من العامة والنساء والصبيان وغير ذلك لا سيما والغالب على اهل تلك البلاد الجهل والهوى واصلهم كان كذلك وقد قال العلماء الرجوع الى الافضل يكون بأدنى سبب فانهم عن ذلك كله واشهر انكاره وتوعده بالعقوبة لمن فعله ثم بعد ذلك عاقبه باقرب شيء بردعه وبردع مثله وان لم يكن ردعه ومنعه عن ذلك الا بقطع يده او رجله او صلبه ، او قتله وغير ذلك من الردائع الشرعية فافعله لانه ظالم والظالم احق ان يحمل عليه لكن لا تفعل بالمفسد ماهو اشد في ردعه الا اذا رأيت انه لا يرجع بغيره مثال ذلك ان من لم ينته من الناس عن عمل الخمر الا بنهب اموالهم او حرق بيوتهم او جلائهم او بيع الكفار او غير ذلك فافعله ولا تبال ومن لم يستر امته او عبده ولم ينته الا بيعه عليه او باخذه عنه فافعل ذلك ولا تبال وكذلك من يغش بمسحات ناقصات او ابرار ، ينتهي عن المعاملة بها فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين ،وأما من لم يغش بها ولا ابرار

ينتهي فمره بإصلاحها إن أراد، المعاملة بها وكذلك من يتلقى ما يأتي للسوق من طعام وغير ذلك فيشتريه قبل وصوله للسوق او بعد وصوله (ويبيله على يده) (1) وإن لم ينتهوا إلا بنفيهم او ينهب ذلك منهم فافعل ولا تبال لان مقصد الشارع في الردائع والمفاسد وجلب المصالح بحسب الامكان في كل زمان ومكان وليس الخبر كالعيان ولذا قال الامام العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى تحدث للناس اقضيته بقدر ما احدثوا من الفجور فلابد من ازالة الفساد على كل حال وان تعارضت مفسدة ومصلحة فدع المفاسد مقدم على المصالح وان تعارضت مفسدتان احداهما دينية والاخرى دنيوية فدع المفسدة الكبرى أولى وهذا الذي بينا لك يكفيك ان شاء الله تعالى في تلك المناكر وغيرها ،وأعلم أن الناس في حكم الله ورسوله سواء ،فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا ،ولا شريفا ،ولا أميرا، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى ومن عارضكم في شيء من ذلك عاقبة رجع له وبمثله وان لم يكن الا بقطع يده ، أو رجله أو نفيه ، أو صلبه فأفعله ولاتبال ،ولكن بعد ثبوت وتثبيت في لك كله، ومقابلة كل واحد بما يليق به بحسب حاله ،من الخير والشر، والتواضع والهمة، والطغيان ،فتصرف في ذلك بالريادة والنقصان ،حتى يعتدل الميزان ،وليس الخبر كالعيان والله المستعان ،وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله العناية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتبه عام سبعة وتسعين وثمانمائة 897 هـ / 1491(2) م

نستخلص من هذه الرسالة جملة من الأمور وهي :

1ـ الديباجة التي تكتب بها الرسائل .

(1) - ربما يقصد بها اخفاء السلعة لفترة من الزمن ثم إخراجها للمشتري بثمن عالي

(2) - محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ،يبعث بوصية الى أمير كني ،أبو عبد الله محمد بن يعقوب، تتناول فيما يجوز للحكام في ردع الناس من الحرام، مأخوذه من مخطوط عثمان بن محمد بن فودي ، تنبيه الاخوان على أحوال أرض السودان، من ورقة 15 - 18

2ـ اسم أمير بلدة كني في فترة حياة العالم المغيلي

3ـ ان السلاطين في عهد مملكة سنغاي ،كانوا يتقربون إلى العلماء، ويستفتونهم في أمورهم الدنيوية والدينية .

4ـ كانت البلاد تعاني من حالة الاضطرابات بكثرة الجرائم والتمرد، ولذلك نجد المغيلي يعطي جملة من العقوبات لسلطان كني ،لردع المجرمين والخارجين عن النظام ،وهذه العقوبات تدل على اختلال في الأمن .

5ـ إن جزءا من المجتمع كان يعاني جملة من الرذائل ،يطلب المغيلي من أمير كني القضاء عليها مثل شرب الخمر ونحوه .

.6ـ وجود عدة أديان في البلدة .

7ـ إن شهر رمضان محترم ومطبق في كني، والذى لا يصوم له عقوبات صارمة .

8ـ تفيد الرسالة على ان هناك نهضة إقتصادية في البلدة بانتشار الأسواق .

9ـ يفصح المغيلي على أن سكان تلك المناطق منحرفون وجهلة بقوله :

أهل تلك البلاد يغلب عليهم الجهل والهوى .

10ـ هناك طائفة من التجار تحتكر البضائع إلى حين نفاذها من السوق، وبعد ذلك تعرضها ،وأوضح المغيلي ان هذا يتنافى مع الشريعة الاسلامية .

11ـ يوصي المغيلي بمصاحبة العلماء والشرفاء والامراء

12ـ يطلب المغيلي منه تطبيق الشريعة الإسلامية .

13ـ يطلب منه قبل أن يقدم على تطبيق أي حكم شرعي التثبت من الأمر .

كما ضمت وصية أخرى يقول له فيها : «وكل مانوصيك به في امور دينك تعرف ،واذا نسيت شيئا منه فلا تنس أن من غير دين الله تعالى فقد كفر ، ومن تغيير دين الله تعالى أن يكون الظالم قاضيا ،لأنه يحكم بالظلم ،وهو يقول هذا هو الشرع ومن فعل ذلك فهو كافر، لأنه صير الباطل حقا والحق باطلا، فإن

كـان ولابد من ان يجعل بعض الظالمن حكاما ،فـلا تجعله بـاسم القـاضي ،فـان القـضـاء من عـمـل رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لايوصف به الإ عـالـم تقي ،لايأخذ الرشوة ،ولا يحكـم بالهوى ،الله الله هذه الوصيـة هي أوكـد من جميع الوصايا ما يكفيكـم ان تظلموا باسـم السلطنة فتكونوا مذنبين ترفعون رحمة الله حتى تظلمـوا باسـم الشـرع فـتكونوا كـفـارا والكفـار لانصب لـم من رحمـة الله فطهـر مقـام الشريعة من كل خبـث فإنه مقـام رسـول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله ان يغفر لكم ذنوبكم جميعا (1).

نستنتج من الوصية الآتي :

أن القضـاء صفـة من صفـات رسـول الله صلى الله عليه وسلـم ، ولا يمك تولية أمرها إلى الظلمة الكفار، فهي مهمة صعبة .

مدينة اهير :

تقع مدينة أهير الى الجنوب الغربي من اقدز ،وتقدر مساحتـها بحوالي 5800 ميل مربع وتضـم عنصرين من السكان هم : الطوارق والسودان ،ومعظم الإقليم ينقسم لعدد من القرى ومسـاكنهم بعضـهـا مبنيـة بالطين والبعض الآخر عبـارة عن أكـواخ ،وقـد بلغ الاقليـم اوج ازدهاره عـام 926 هـ / 1519، عـندمـا اسـتـولي عليه اسكيا الحاج محمد .

وقد تعاقب على الاقليم عدد من الحكام، فقد تولى عليه إبراهيم بن هلال، ثم انتزعه منه ابن أخته يوسف بن عيشت، واستمر يحكمه من عام 866 هـ / 882 هـ / 1461 ـ 1477 م ثم استولى عليها محمد المصطفى، وحكمها 892ـ 899 هـ / 1486 ـ 1493 م أي استمرت فترة حكمه سبع سنوات ثم تولى بعده ابن اخته امر البلاد الا انه لـم يستمر طويلا في الحكم ، فاستولى أبناء المصطفى على الحكم ،وهم فطي وملت ومحمد العادل ومحمد المد ، وكـانـت فترة حكم ابناء المصطفى من ازهى فـتـرات اهيـر واسـتـمـروا في حكم اهيـر الى ان زحف

(1) - محمد محمد المفتي (مرحيا) التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 95

عليها اسكيا الحاج محمد عام 926ـ1519 م واستولى عليهم وضمها إلى سنغاي ،وجعل على اهير محمد تليظ كان ذلك عام 923 هـ / 1525م الى ان توفي 949 هـ / 1542 م فحكمها محمد بن هاليا ، إلى ان قتله كنفي واستولى عليها عام 1002 هـ / 1593 م ،وحكمها ثمان وخمسون سنة ،وهي أطول فترة تحكم فيها اهير من طرف حاكم واحد ،ثم تولى بعده يوسف عام 1060 هـ / 1650 م وقد خضعت للحكم المغربي (1) .

هذا عن حواضر الغربي .

قرى إفريقيا فيما وراء الصحراء :

1ـ قرية ماشز :

قرية من قرى السودان الغربي ،تقع إلى الغرب من مدينة كلو السوق ،يقال إن جيش عقبة بن نافع الفهري وصلها ،ومكث فيها فترة من الزمن وبذلك دانت بالاسلام وحمل أهلها لواء الاسلام للمناطق المجاورة لها .

اورد محمد محمد المفتي (مرحبا) أن الجد الرابع عشر للامام مرحب هو المؤسس للقرية وهو العالم شعيب بن يوسف ولتحديد فترة تأسيسها ناخذ متوسط عمر الموسسين لها ستين سنة فيكون عمرها ثمانمائة واربعين سنة ويورد صاحب المخطوط انه من ابناء القرن السادس الهجري ع الثاني شر الميلادي .(2)

2ـ قرية جاغة :

تقع إلى الغرب من ماشز ، تأسست في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ،وكانت تضم عددا من القبائل ،ولكل قبيلة شيخ يسير أمور قبيلته أما حاكمها وشيخ مشائخها فهو الإمام الشيخ الحاج سالم السوارى سالم السواري الذي كانت تربطه علاقات متميزة بحاكم القرية السابقة الإمام شعيب

---

(1) - امن بن بوغتو ، حوامع التواريخ مخطوط مكتبه الباحث ورقة 8-9

(2) - محمد محمد المفتي مرحبا التايخ الخاص بالتواتر ،مخطوط ،ورقة97

،وكانت بينهما مبادلات علمية .

3ـ قرية ستكو :

قرية من قرى السودان الغربي تقع اليوم ضمن نطاق دولة نيجيريا ،تقع إلى الغرب من مدينة كني واسمها تعني عيون الخيل في لغة سنغاي .

اسس هذه البلدة الإمام شعيب بن يوسف ،ورحل منها وترك فيها عددا من أبنائه (1).

4ـ قرية سهل :

تقع إلى الشرق من ستكو ،هي إحدى قرى بلاد تبنين ،بأرض بند وفوت جلو ، حكمها محمد توري فودي بن الشيخ عبدالله الحاج بن أحمد بن سالم بن محمد الحسن بن مصطفى بن أبي بكر بن الشيخ يوسف ،وهو الجد الخامس للإمام محمد محمد المفتي (مرحبا)(2).

5ـ قرية زاغ :

تقع غرب اقدز، وهي قديمة من ضمن نطاق السودان الغربي، كان تأسيسها زمن امبراطورية غانا الوثنية ازدهرت في عهد مملكة مالي الاسلامية كان يحكمها كوكركي، وقد قدم أجداده من المغرب الأقصى زمن إمبراطورية غانا الوثنية (3).

6 ـ قرية سق :

قرية من قرى السودان الغربي ،تقع إلى الجنوب من مدينة السوق ،إزدهرت على عهد امبراطورية سنغاي ،تعاقب على حكمها عدد من الحكام ،فكان أولهم (فرق سا)، الذي حكمها عام 942 هـ / 1535 م، ثم حكمها سرمبا كيت، ثم بتر كلبل، ثم قل جر ، وكانت فترة حكمهم ثلاث مائة واثنتين وثلاثين سنة

---

(1) – محمد محمد المفتي مرحبا التايخ الخاص بالتواتر ،مخطوط ،ورقة97

(2) نفسه ورقة218

(3) – احمد بابير الارواني ، الجواهر الحسان في أخبار السودان مخطوط ،ورقة 8

،إلى ان (332) حكمها الشيخ عمر انتاله (1) وابناؤه من بعده .

7 ـ قرية زافون :

قرية واسعة من بلاد السودان الغربي ،تقع الى الشمال الغربي ،من تنبكت ، عرف أمراؤها بالقوة ،وكانت لها حاضرتها وسط المدينة ،وتدعي زافون ، وكانت لهم علاقات مع الملثمين كما كان لأميرها علاقات مع حكام المغرب(2) .

8ـ قرية بسلنكوب :

قرية من قرى السودان الغربي ،تقع على ضفاف نهر النيجر ،ولا تبعد اليوم كثيرا عن العاصمة باماكو ، فهي إلى الشرق منها ،ترجع تسميتها إلى رجل يدعي سوم ،وهو الديم وسندق ولب وتمق وصنق بك فور، وسبب تلقبهم ببسل ان منق كان يسير مع بعض وزرائه من سبيوب ، وهو سيم جندكن الى أن جاء واديا فقال له سيم انقدر ان نعبرو الوادي بدون ان يلمس أجسامكم الماء ؟ فقالوا له نعم ،ففعل فلقبه بسيم بسل ،ولعل الوادي وادي بسل من جهة وادي كنجم وهو احد فروع نهر النيجر .

امتهن اهل بسلنكوب حرفة الحدادة ،وصيد الحيوانات ، والأسماك ورعي الأبقار، أما عن التركيبة السكانية ،فانهم خليط من الفلان ، والزنوج ،حكم القرية تمب مرنكبس وتمب جيخور وكان الأول أكبر من الثاني ،وكان لهم قصور وحصون وقد خاضوا حروبا مع جيرانهم، انتهت بإنتصاراتهم على أعدائهم(3) .

9ـقرية كاس :

تقع قرية كاس الى الغرب من تشيت ، ويتكون سكانها من مزيج من البنبارة، والفلان ،والبيضان ،الإ أن خلافا دب بينهم وسببه أن شابا فلانيا كان

---

(1) – موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ،ورقة 218

(2) – موسى بن أحمد السعدي ، زهور البساتين ،مخطوط ، ورقة 162-163

(3) – موسى بن أحمد السعدي ، زهور البساتين ،مخطوط ، ورقة 283-284

في القرية، يضفر راسه ومعه كلبه فمر عليه بعض من عبيد كم، فعض الكلب أحد العبيد ،ونشبت من جراء ذلك حرب بين الفلان والبيضان وقد تحالف اولاد بالناصر وهي فرع من قبيلة البرابيش وغيرها من القبائل مع البيضان ،وطردوا الفلان إلى حوض باقنة وكند بمواشيهم .

وكان من أهل كاس من يدينون بالميجوسية ،ويتعاملون بالشعوذة والسحر، وهم البنبارة ،اما البيضان والفلان فأغلبهم يدينون بالإسلام إن ما يميز كاس عن باقي القرى ،هو كثرة ثروتها الحيوانية ،وخاصة البقر والغنم والدجاج(1) .

قرية تندرمة :

تقع الى الشرق من مدينة جاو ،تأسست عام 874 هـ / 1470 م، نشطت بها الحركة التجارية ،زمن سني علي وأسكيا الحاج محمد ،ومكث فيها عمر كمزاغ، اخو اسكيا الحاج محمد وكانت مقره الاصلي(2) .

قرية كدمغ :

تقع الآن ضمني نطاق جمهورية النيجر ، واسم كدمغ كسد في لغة البنبارة، تعني الجبل، مع اسم رجل ،والمعني جبل الرجل ،ويبدو ان اول مؤسسها كان يقطن في غار بالجبل ،أما سكانها فهم مزيج من البنبارة والفلان، وكان أول حكامها يدعي قني .

أما أهم مواردها فتتمثل في الذهب والثروة الحيوانية(3) .

قرية برنوح :

تقع قرية بورنوح إلى الغرب من مدينة اقدز ،يرجع أصل سكانها إلى قبائل نزحت من اقدز ،واسم برنوح جاء من اسم أول أمرائها ،واسمه بورنوح ، كان

(1) - موسى بن أحمد السعدي مخطوط ، والورقة 253- 254

(2) - نفسه ورقة

(3) - موسي بن أحمد السعدى ، مخطوط ورقة 28- 29

يحكم إلى فترة تولي سني علي أمر سنغاي وقد عرف عن هذا الأمير الدهاء، والقوة العسكرية وقد ذاع صيته بين جيرانه، وحدثت صراعات بينه وبينهم وخاصة مع امير (سوطفا) وكانت الغلبة لسلطان برنوح ،الذي سيطر على باقي المناطق المجاورة له ،الإ ان هذه الانتصارات لم تدم طويلا فجهز امير اهير حملة ضده واستطاع الانتصار عليه في معركة فاصلة اودت بحياته وتم اجتياح قريته (1) .

قرية غني :

تقع إلى الجنوب من زندر ،ولا تبدع عنها كثيرا ،ولم نعثر على تاريخ تأسيسها ولا أول حكامها الإ أن أولاد محمد المصطفى قدموا إليها عام 950هـ/ 1543م واصبحوا حكاما لها ،وقد ارتبطوا بعلاقات وطيدة بحكام دند ، فعندما حصلت خلافات بينهم ،وبين أمراء دند أرسل أولاد محمد المصطفى رسولا يدعي سعيد بن ابراهيم للصلح بينهم عام 1120هـ/ 1708م .

وقد صفت الاجواء بينهم وبين امراء دند وصار امراء دند يكنون لهم كل إحترام وتقدير (2).

قرية مسل :

تقع الآن ضمن نطاق دولة نيجيريا ،وهي تحد بلدة جاور، يرجع أصل ملوكها إلى قبيلة بتودبني ،الذين تولوا حكم البلاد ،وهم :

1ـ الأمير باكرلا

2ـ الأمير ومالا

3ـ الأمير موسرلا

4ـ الأمير ودن يو .

5ـ الأمير سربو

---

(1) – مجهول ،اصل سكان برنوح ،مخطوط مكتبة الباحث ورقة 1-2

(2) محمد محمد المفتي (مرحبا)، التاريخ الخاص بالتواتير ،مخطوط ورقة 114

ربطت أمراء جواره علاقات اقتصادية وروحية بحكام وأهالي جواره فكانوا يقتسمون ما يحصلون عليه ،كما كان لأهل مسل آداب واحترام مع أهل جاور، فلديهم عادة ،فكل من جنى جناية ولاذ بأهل جاور، واستشفع بهم نجا وسلم ،إلا أن هذه العلاقات الحميمة لم تدم طويلا، فقد قام أحد من أهالى مسل بجناية في أرض أمير قرن ،وهو من قبيلة سربو، فاستشفع هذا الجاني بأهل جاور، فشفعوا فيه عند الملك قرن، فرد شفاعتهم ولم يقبلها ،واقتص من الجاني فصار ذلك سببا للمنافرة والغضب والعداوة بينهم (1) .

قرية أدرا :

تقع إلى الغرب من كل السوق ،وهي من قرى إفريقيا فيما وراء الصحراء ،لم نعثر على تحديد عمرها، إلا أنها قديمة ،ترجع إلى عهد الأمير محمد المبارك، الذي ضم سلطان بلدة كب ،وقد بعث ابنه أكب مع كبار القادة، وهم ادوومش، وليو ،ومنوكس ،كما ذهب معه مشائخ قبيلة منذا، والمى وتوتنكت .

وقد اورد صاحب المخطوط ،أن أكيب انجب محمد ،ومحمد له ولد يدعى المصطفى ،ومصطفى أنجب يعقوب ويعقوب انجب وشرو ووشروا ولد اتوا يعقوب وهو الامير الحالي وهؤلاء الابناء جميعا ،تولوا سلطنة ادرا، وكان اخرهم سنة أربع وستين بعد الألف 1064هـ/ 1653م .

من خلال العرض السابق يتضح أن أدر كانت منذ فترة ضمن ممتلكات امبراطورية غانة الوثنية ،وأن نظام حكمها وراثي ،وأهلها عرب مغاربة .

قرية كب :

تقع إلى الغرب من طاو، من ضمن نطاق جمهورية النيجر، يرجع أصل سكانها الى ما أورده ابن فودي ،أن أمهم كشناوية وأباهم سنغي ،وصفت بأنها بلاد واسعة ذات أنهار وأشجار .

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 228

وهناك روايتان فيمن حكم كب ،إحداهما تقول : أن عبدا فلانيا هو الذي استولى على القرية ،أما الرواية الأخرى فتورد بأن ملك كاشنة، وكنور، وغوبر، وزكزل ،وبلاد اهير هم الذين ملكو كب (1).

يورد صاحب المخطوط ،بأن كب قوي ،وكثيرا ما كان يهدد أمن سلطان أهير، الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى الاستنجاد بسلطان برنو، فجهز ميعلي حملة عسكرية ،سلك بها طريق سوسباد ،ودخل بلدة كب إلى يان وصل حصن سورام ،فقاتله أمير كب قتالا عنيفا انهزم على اثرها سلطان برنو وكر راجعا الى بلاده بعد هذه الهزيمة شهدت كب حالة من الهدوء الى ان زحف عليهم سلطان غوبر محمد بن شروم واعب بن محمد بن المبارك سلطان اهير وامير زنفر ،واستولى على معظم البلد أمير زنفز(2).

قرية وكدو :

قرية من قرى افريقيا فيما وراء الصحراء تقع ، إلى الشرق من كني، تأسست في فترة دولة غانا الوثنية، واستمرت على الوثنية حتى بداية دولة سنغاي الى ان قدم الى المدينة رجل مغربي يدعى ابو البركات المغربي ونزل بدار عجوز ضيفا عليها وكان أهل هذه المدينة بنبارة لا يعرفون العربية وفي اليوم الثاني شاهد العجوز ومعها ابناؤها وبناتها يبكون اشد البكاء فسألهم عن امرهم لكن لم يتوصل الى معرفة السبب ،لأنه لا يعرف لغتهم ،إلى أن جاء رجل يعرف العربية ،وأفهمه بأن لديهم عادة يقدمون فيها كل شهر بنتا لها قربانا لجني حيث يضعونها في الليل في سرداب ،وعند الصباح يفتحون عليها فيجدونها قد فارقت الحياة فطلب ابو البركات المغربي من العجوز ان يرافق ابنتها ويمكث معها طوال تلك الليلة في السرداب وفعلا فعل ذلك ،ورافق الفتاة الضحية ومكث المغربي طوال الليل يقرأ القرآن الكريم إلى الصباح ،ولم ير

(1) - محمد بلو بن عثمان ، انفاق الميسور ،في تاريخ بلاد التكرور ، مكتو الناشر الحاج طهراغي طابير : 1964ص42

(2) - نفسه ص 43

شيئا مما قيل له وفي الصباح حضر اهل الفتاة فوجدوها مع المغربي فرفعوا الخبر الى ملك المدينة الذي يدعى (شنورازه وقصوا عليه القصة، فاستدعى المغربي، ولما حضر بين يديه ابو البركات المغربي، طلب منه الدخول في دين الإسلام ،فقال له سلطان المدينة ابق معنا الى الشهر القادم فاذا لم يحصل شيء ولم نقدم قربانا سوف ندخل انا ورعيتي في الاسلام وفعلا مكث معهم وعندما لم يحصل شيء من ذلك الامر ،دخل سلطان وكدو ورعيته في الاسلام ،واعتنقوا مذهب الإمام مالك ،الذي جاء بتعاليمه أبو البركات المغربي ،وبذلك اسلمت المدينة على يد الداعية المغربي ابو البركات .

وقد حسن إسلام ملكها وخصص ثلث موارد المدينة للفقراء وأبناء السبيل(1).

نستخلص مما تم إيراده عدة جوانب هي :

1ـ أن أهل المدينة كانوا على الوثنية وعبادة الأصنام والعفاريت .

2ـ ثقل المغرب الأقصى الروحي في المنطقة ،وتجشم أبنائها الصعاب، في سبيل نشر الدين الإسلامي، في ادغال إفريقيا ،فهي بحق تستحق أن تكون رائدة شمال افريقيا في غرب افريقيا .

3ـ انتشار اللغة العربية بين السكان، فوجود مترجم يترجم لأبي البركات الميغربي ،ما حصل يدل على انتشارها ولو على نطاق محدود .

4ـ ضعف التفكير الإفريقي، والإيمان بالخرافات ،الأمر الذي يترجم على ضعف الحركة العلمية في تلك القرية .

5ـ إنتشار الإسلام على مذهب الإمام مالك في المنطقة .

ونرجع إلى حديثنا عن الملك شنورازه فقد ازداد ثراءه بعد دخوله الاسلام وهناك قصة تحكي ،أن إحدى نساء مدينته كانت تحفر بجوار بيتها حفرة فعثرت علىي صناديق من ذهب وكانت تظمنهم نحاسا وعندما رفع الخبر للملك

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي مخطوط ورقة 194-195

طلب إحضارها للتجار فقالوا : انها ذهب وقد اعطى منها شنوارزه المرأة ما يكفيها ،أما الباقي فقد سخره في تكوين جيش قوي(1).

وعند جهاد المرابطين في السودان الغربي كانت مدينة وكدو من بين المدن التي ناصرتهم ولعبت دورا في تقويتهم وعند قدوم المغاربة لمنطقة السودان الغربي ناصروهم وجعلوا ديارهم مأوى لجيوشهم (2).

قرية مندق :

تقع الى الغرب من اقدز ،حيث تبعد عنها بحوالي مائة وخمسين كيلو مترا أول من ملكها سينكوب ،وهو من مسلنكوب يرجع أصله الى الماندجو .

وقد اجتمعت في هذه البلدة اعداد هائلة من الناس ،حيث عمل ملكها الأول سمنكر على تشجيع السكن بها فنهض بالزراعة وكان لديه نبات يعمل على تسمين الخيل فتسابق مربوا الخيول للاقامة في مندق، التي اشتهرت باسم صوصو ،وتعني عند المانجو الفرس ،وقد سكن بمندق عدد من قبائل الفلان والطوارق ،كما حدث صراع بين ملك مندق، وملك بلكوات حيث طلب الأخير حصته من الزرع ،فأبى الملك سمنكر فاندلعت بينهما حرب هزم على أثرها الملك بلوكوات وفقد فيها حياته توجه سمكنر إلى خصمه (فيس كر) فقتله وقد قتل منهم إثنى عشر شيخا .

بعد هذا المجد الشامخ ،حصلت قلاقل داخلية أثرت في سياسته الخارجية الناجحة وعند دخول المغاربة إلى منطقة السودان الغربي، ووصولهم الى منطقته أشار عليه كهان البلاد بالخروج خارج المدينة والبحث عن مكان يستمر فيه لفترة من الزمن ،وفعلا أخذ برأيهم وذهب مع شقيقه إلى أرض ميم ،وكان يحكمها انداك برام ثنكر (1).

وبعد خروج سمنكر من بلاده ،حدثت فوضى في البلاد، فاجتمع كبار القوم

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 200.

والوزراء ،وجمعوا الكهان وطلبوا منهم أن ينقذوهم مما هم فيه، فدخل أربعة عشر كاهنا في خلوة مكثوا فيها أربعة أشهر ،وخرجوا الى كبار بلدة مندق واشاروا عليهم بإحضار الملك سمنكر من بلدة ميم ،لتخرج البلاد من الفوضى، فذهب الوزراء وأكابر القوم إلى بلدة ميم ،وطلبوا من سمنكر الرجوع معهم ،الإ أنه لم يرجع(1).

قرية كدو :

قرية من قرى المنطقة ،تقع إلى الشرق من كنى ،كان أول أمير لها يدعى (دف)، ويطلق عليه منوسيفي ،أاشتهر بالمنصور ،تيمنا بالسلطان المنصور الذهبي ،وقد كان لهذا الأمير معاونون منهم كبني، وساغو، ومن بين أكابر أمراء جيشه، وكيد وجامير، وتزور قيل ميرسلي ،وكومني كومن ،وكسي كمي، وهؤلاء الاربعة هم السادات في زمنه .

وقد انتشر بهذه القرية الاسلام أيام مملكة سنغاي ،وكان بها عدد من المساجد ،وكان إمام المسجد الكبير يدعى احمد الكيرن

قرية سبك :

تقع إلى الغرب من قندام، وكان يحكمها أمير يدعى (فضا)، وقد وقعت بينه وبين جيرانه حروب ومنازعات، وكان النصر حليفه في كل موقعة نازل فيها اعداءه وواصل منازلة أعدائه إلى أن صفى خصومه ،الإ أن يد المينية بايغتته فتلوى ابنه (كرمني) مقاليد الأموري ،واستمر يحكم إلى قرب نهاية دولة سنغاي ،ومات وخلفه اولاده الاربعة الا انهم تفرقوا وانتهوا من مسرح الأحداث(2).

---

(1) – نفسه، ورقة 200.

(2) – موسى بن أحمد السعدي، مخطوط ورقة 232.

قرية سناء :

قرية تقع اليوم في أرض جمهورية نيجيريا ،إلى الشرق من مدينة كني ،تبعد عنها بحيوالي خمسين كيلو مترا ،كان حكامها على درجة من الثراء، وخاصة بمعدن الذهب ،مما أدى إلى ارتباطهم بعلاقات جد وطيدة مع جيرانهم(1).

قرية سيسي :

قرية من قرى المنطقة تقع شمال تنبكت اشتق اسمها من لقب أميرها الأول ساخولا ياتبر وسلي ،وقد تعاقب عليها عدد من الأمراء من بينهم (كاقبل) ودق ،ويعمي والأخير أشهرهم، حدثت بينهم وبين أهل الكبرى حروبا انتهت بصلحهم في أحد المساجد ،وتولى عليها امراء أخرون حاولوا النهوض بها إقتصاديا ،بتشجيع التجارة الداخلية والخارجية وفي نهاية سنغاي كان أ ميرها بيضاني من ولاته(2).

قرية بندسيبت :

تقع إلى الغرب من اقدز، إختلف المؤرخون في أصل سكانها ،فمنهم من يرجعهم إلى البيضان ،ومنهم من يقول إنهم من الفلان ،ولكن أقرب الفرضيات أنهم مزيج من البيضان والفلان ،ويقال أن أول من جاء منهم إلى المنطقة، ،شخص يدعى (جمي ميشيش) ،وأنه سافر الى الجلف ذات مرة والتقى مع أميرها ،وهو الذي منحه هذه الأرض يحكمها .

وصلها الإسلام زمن مملكة مالي الإسلامية و ،انتشرت فيها العلوم الاسلامية وقد عرفت نهضة زراعية وحرفية تمثلت في زراعة، الخضروات والحبوب ،وصناعة السيوف ،كذلك كانت بها ثروة حيوانية متمثلة في البقر، الذي يستخدمون لحومه ، والبانه في غذائهم (3).

---

(1) – موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 222

(2) – نفسه ، ورقة 186.

(3) – نفسه ، ورقة 219-220

قرية ماسنة :

تقع إلى الشرق من جني ،واصل سلاطينها من كم ،وكم هو اسم موضع في أرض فيال ، يقال له أيضا تع وترمس ،كان فيها سلطان يقال له جاجي بن سادي ، وله شقيقان معن ويك ، مات يك وترك زوجته فأراد جاجي أن يتزوجها فامتنعت لأنها لا تريد الر مغن فتزوجها (1) .

لقد شهدت ربوع هذه الحواضر والقرى نهضة ثقافية ، سيعبر عنها الفصل القادم .

---

(1) - موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 220.

الفصل الثالث

الفصل الثالث :

الحركة الفكرية في منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء بين التعليم والإبداع

منارات العلم والعبادة :

جامعة سنكرى

الجامع الكبير بتنبكت

مسجد سيدي يحيى

مسجد محمد نض

مسجد التواتين

مسجد اسكيا الحاج محمد بجاو

مساجد مدينة أقدز :(مسجد اسكيا الحاج محمد - مسجد محمد الفزاني - ومسجد محمد بن عبدالكريم المغيلي - مساجد صغيرة)

مراحل التعليم في افريقيا فيما وراء الصجراء ومناهجها الدراسية

نظام منح الشهادات

الكيفية التي عليها الإجازات

أهم العلوم التي كانت تدرس

تطور الإبداع الفكري السوداني .

(الفقه - المدائح - النحو - المنطق - التصوف - الآداب - التراجم - التاريخ - الشعر)

اعلام افريقيا فيما وراء الصحراء ،ودورهم في الحركة الفكرية .

اسهام العلماء في رسم سياسة حكام المنطقة

منارات العلم والعبادة في السودان الغربي :

جامعة سنكرى :

تتصدر جامعة سنكرى منارات العلم والعبادة ، وقد أورد عبد الرحمن السعدى إن الذى قام ببنائها سيدة غلالية فاضلة ، كانت تمتلك ثروة فوظفت جزءاً منها لهذه المنارة ، وقد أفاد أنه لم يعثر على تاريخ يحدد بناءها (1) . وقد جدد بناؤها القاضى العاقب يوم الخميس ثاني عشر من المحرم ، عام ستة وثمانين بعد تسعمائة 986ـ 1578 (2) وعلى ما يبدو أن ازدهارها العلمي لم يؤت أكله إلا في عهد مملكة مالى الإسلامية ، وازدادت أهميتها في عهد إمبراطورية سنغاى ، زمن الأسكيا الحاج محمد ، وقد ارتفع شأنها بما بلغته من مستوى علمى راقٍ ، وأضفت على مدينة تنبكت طابعاً مميزاً حيث جعلتها عاصمة من عواصم الدين ، والعلم ، والأدب ، في مناطق السودان الغربي خاصة ، والعالم الإسلامي عامة .

لقد ارتبطت هذه الجامعة ، بعدد من مراكز العلم في الأندلس ، والشمال الإفريقي ، والمتمثلة في جامعة القرويين التي تعتبر أقدم جامعة في العالم ، وجامع الزيتونة بتونس ، ومدارس جبل نفوسه بليبيا ، والجامع الازهر بمصر الذي كان للتكارة رواق به .

والجدير بالملاحظة أن جامعة القرويين ، كانت أكثر تأثيراً وارتبطاً من نظيراتها ، بالشمال الإفريقي ، والشرق العربي ، بجامعة سنكرى ، من حيث مناهج التدريس والمدرسين ، كان العلماء الذين يدرسون بها يجيزون طلابهم إجازات علمية تمكنهم من التدريس ، في أي منارة من منارات العلم الأخرى .

وكانت هذه الجامعة تؤدي دور تدريس العلم والعبادة ، وقد تعاقب عليها عدد من الأئمة منهم :

---

(1) احمد بابير الارواني ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 19 ، وعبد الرحمن السعدي تاريخ السودان ،المصدر السابق ، ص 62 .

(2) نفسه والورقة ، ورقة 111 انظر الملحق ص

أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت ، وقد تولى الإمامة بأمر من القاضي حبيب ، ثم تولى الإمام اندغ محمد بن فقيه المختار النحوي

بعد أن اشتد عود ابن خالته أبو البركات ، واستمر فيها إلى أن توفي . تولى بعده الإمام العاقب بن محمود ، وقد كلفه السلطان أسكيا داوود بالإمامة والقضاء معاً ، إلى أن توفي . وقد استنابه عندما مرض ابن أخيه الفقيه محمد الأمين بن القاضي محمد ليصلي بالناس فرفضت أمه نان حفصة بنت الحاج أحمد بن عمر ذلك (1) ، ثم أمر الفقيه أحمد بغيغ أن يستنيب من يصلي بالناس ، فاتفق الجميع على ابن أخيه الإمام أبو بكر بن أحمد بير ، فقدموه بدون موافقته للإمامه ، فصلى بالناس صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، ثم خرج من تنبكت هارباً ليلاً إلى قرية تنهور وتوفي هناك . ثم تولى الإمامة عبد الرحمن بن الفقيه محمود ، واستمر في الإمامة إلى أن قبض عليه محمود بن زرقون . ثم تولى الإمامه بعده الفقيه محمد بن محمد كرى الذي كان عالماً وفقيهاً ورعاً وقد استمر في الإمامة إلى أن توفي .

ثم تولى الإمامه القاضي سيدى أحمد ، استمر لفترة قصيرة ، ثم ولاها لإبنه الفقيه محمد بن سيدي أحمد ، وكان إماماً فقيهاً دراكه فهامة ، وبعد وفاته تولى الإمام سنتاعون الهادي السوداني ، باذن من القاضي عبد الرحمن بن محمد مغيا إلى أن توفي ، خلفه الإمام سعيد بابا ، وجاء بعده الإمام أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي ، فالإمام محمد بن اندغ محمد ، ثم الإمام الفقيه المختار بن اندغ محمد ، وأعقبه الإمام سن بن الفقيه المختار ، ثم الإمام عبد الرحمن السعدى صاحب تاريخ السودان ثم الإمام بابير بن ألفا مغيا ، والإمام القاضي عيب كما كان لسنكري مؤذنون من بينهم شخص يدعى محمد

---

(1) عبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ، ص 74 .

GOUILLY : A : LISLAM LLAFRIQUE OccIDENTALE FRANSAIsE : 1925 PARIS : P 30

، توفى يوم الجمعة العشرين من صفر 1006 هـ / 1597م (2)

أما مدارس تعليم الصبيان في تنبكت ، فقد اشار كعت إلى أن عددها يتراوح مابين مائة وخمسين ومائة وثمانين مدرسة ، ومهمتها تعليم الصبيان القرآن الكريم .

وكان يدرس بها أبو زيد عبد الرحمن بن محمود وعمر بن محمد أقيت (3)

(2) أحمد بابير الارواني، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 73-74 ، وعبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 74 .

(3) محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 180 ، نفسه ص 34-78 .

الجامع الكبير بتنبكت :

يطلق على هذا الجامع بجينكري بيري ، أي المسجد الكبير ، شيده السلطان منسا موسى ، سلطان مالي بعد رجوعه من الحج ، وقد بناه المهندس أبو اسحاق الساحلي ، وعبدالله الكومي الموحدي الغدامسي ، على الطراز المغربي الإسلامي، وبنى صومعته على خمسة صفوف ، كان ذلك في أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي (1) .

وقد الحقت به من جهة اليمين قبورهم ،وهي عادة عند أهالي افريقيا فيما وراء الصحراء، فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم ،(2) ولهذا المسجد موقع ممتاز بتوسطه مدينة تنبكت .

وقد أجريت على المسجد عدة توسيعات ، كان أولها في السنة السابعة والسبعين وتسعمائة 977هـ / 1569م، على يد العاقب بن القاضي محمود ، بقصد استيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين ، وقد ساهم في توسيعه السلطان أسكيا داوود ، الذي أكمل ماعجز عنه القاضي العاقب بأن بعث بأربعة آلاف خشبة من شجر كنكو فاكمل بناءه في هذه السنة (3) .

وللجامع الكبير وقع خاص في نفوس أبناء تنبكت ، وهالة روحية ، فهم يعتقدون أن عمارة تنبكت ،وازدهارها مقرونة بعمارة صومعة الجامع الكبير ، ومرد ذلك إلى الهيمنة الروحية ،التي كانت تسيطر عليهم . ومن المحتمل أن تكون قد نسجت حوله خرافات وأساطير ، أعطته هذه الهالة والقداسة الروحية (4)

---

(1) أحمد بابير الاروانى ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 18 ، وعبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص56. انظر الملحق 832

(2)نفسه والورقة ، نفسه والصفحة

(3) نفسه والورقة .

(4) نفسه ، ورقة 62.

لقد تعاقب على هذا المسجد عدد من الأئمة ، ففي شهر شوال من سنة سبع وسبعين ،(77هـ) تولى الإمام عثمان بن الحسن التشتي ، ومكث إماماً له إلى أن توفي ، ودفن في المقابر القديمة . ثم تولى الإمامه من بعده محمد كداد بن ابي بكر الفلاني ،بأمر من القاضي العاقب ، واستمرت إمامته إلى أن توفي عام تسعة وثمانين وتسعمائة 989هـ/ 1581م . وفي يوم الأربعاء السابع عشر من صفر ،سنة تسعة وثمانين بعد التسعمائة 989هـ/ 1587 هتولى الإمام أحمد إمامة الجامع الكبير . بتكليف من القاضي العاقب ، واستمر فيها ستة عشر عاماً ، وستة اشهر ونصف ، وكان جزء منها في دولة سنغاى والآخر في عهد المغرب (1)

وكذلك الإمام القاضي كاتب موسى مكث اربعين سنة إماماً للمسجد الكبير ، ثم رحل إلى مدينة فاس للتزود من ينابيع العلم ، وترك الإمامة إلى سيدى عبدالله البلبالي وهو أول عربي يتولى إمامة المسجد الكبير ، وكان ذلك في بداية حكم سنى علي ، وقد حظي باحترام بالغ ، من قبل سني علي . واستمر في الإمامة إلى ان توفي، فتولى بعده سيدي بلقاسم التواتي : عرف بالصلاح والزهد ، وكان يقطن بجوار المسجد ، وبالإضافة إلى الإمامة كان يدرس الصبيان توفى في العام الخامس والثلاثين بعد تسعمائة 935هـ / 1528م ثم تولى بعده إمامة المسجد تلميذ منصور الفزاني ، ثم تولى بعده الفقيه ابراهيم الزلفي وكان على قيد الحياة عام 1020 / 1611م (2) ومن الائمة عبدالسلام بن محمد دك الفلانى تولى منصب الامامة في العام الثاني والثلاثين والألف 1032 / 1622م ، مكث في الامامة اربع سنوات على زمن القائد يوسف بن عمر (3)

ثم تولى الامام سيد علي بن عبدالله سر بن الإمام سيد علي الجزولي ، في

(1) - عبدالرحمن السعدي ،المصدر السابق ، ص 109 - 112- 113

ابو عبيدالله البرتلي ، فتح الشكور ، تحقيق ابراهيم وحمد محمد صبحى بيروت دارالعرب الاسلامى 1981ص38

(2) عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص59 -60

(3) - نفسه ، ص 309.

شهر رجب، في العام الخامس والثلاثين والألف 1035هـ / 1625م، واستمر في الامامة ست عشرة سنة وسبعة أشهر ، توفي في ضحى يوم الإثنين الرابع عشر من المحرم ، في العام الثاني والخمسين والألف 1052هـ / 1642م، وكذلك الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني ، وهو الذي كان إماماً للمسجد زمن المؤرخ عبدالرحمن السعدي (1) وغيرهم من الأئمة الذين لايسع ذكرهم الآن .

وبالإضافة للائمة كان هناك مؤذنون بالمسجد الكبير ، من أمثال عبدالله ولد كنكي ، وإبراهيم بن عبدالرحمن السيوطي (2)

مسجد سيدي يحيى:

يورد بعض المؤرخين أنه أول مسجد بنى في مدينة تنبكت ، على يدي ملك مقشرن ، في فترة دولة الطوارق الأولى ، أي في القرن الخامس الهجرى الحادي عشر الميلادى (3) وتقول بعض الروايات الشفوية ،أن المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين ، قدم من المغرب الأقصى لنشر تعاليم الدين الإسلامي (4) وقد جدد بناءه محمد نض ، بعد ان تولى على تنبكت ، وأخبره علماء وصلحاء المدينة أن أجداده ، كانوا يصلون في هذا الموضع وقد بناه على الطراز المغربى الإسلامي ، وعين له إماماً ، يدعى الشيخ سيدي يحيى تبركاً بالولي الصالح المغربي سيدي يحيى ، واستمر في الإمامة إلى أن توفي عام 868 / 1463م.

(1) أحمد بابير الاروانى ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 68 ،عبدالرحمن السعدى المصدر السابق ، ص 30.

(2) محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 124

(3)أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 19 ، وأحمد بابير الاروانى ، الجواهر الحسان مخطوط، ورقة 10.

(4) الهادي المبروك الدالي ، تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء من خلال الرواية الشفوية ،مرقون ورقة 20

بعد ذلك جدد القاضي العاقب بناء مسجد سيدي يحيى ، ووسعه عام 976 / 1568م(1) ،ولايزال هذا المسجد إلى يومنا هذا يؤدي نفس الدور (2) .

وقد تولى عدد من الأئمة ،بعد سيدي يحيى ،إمامة المسجد وهم : الإمام محمد بغيغ ، والإمام محمود بن محمد الونكري، الذي توفي عام 1018 / 1609م ،ثم الإمام أحمد بن سعيد ، والذي توفي عام 1040 / 1630م وقد جاء بعده الإمام محمد بن أحمد الذي توفي عام 1060 / 1650م ، ثم تولى بعده الإمام إبراهيم بن عبدالله ، والذي توفى 1140 / 1727م . ، ثم الإمام إبراهيم بن احمد المتوفي عام 1157 / 1744م(3) .

مسجد محمد نض :

لم نعثر على تاريخ بنائه ،ولكن حسب علمي ، يوجد هذا المسجد بمدينة تنبكت ، وقد جدد القاضي العاقب بناءه وعدله ووسعه بأن بدأ فيه في أواخر العام السادس والسبعين والتسعمائة 976هـ / 1568م. ، وانتهى منه في شهر صفر في السنة السابعة والسبعين والتسعمائة 977هـ / 1569م ، أي أنه استغرق في بنائه حوالي سنة وقد الحقت به مقبرته (4) .

مسجد التواتيين :

لم تسعفني المصادر ،ولا المراجع ،التي اطلعت عليها ، بتاريخ بناء هذا المسجد ولا الذي قام بتشييده ، إلا أن الرواية الشفوية ، تورد أن الذي قام ببنائه هو محمد بن علي التواتي ، الذي قدم إلى تنبكت من مدينة توات عام 920هـ / 1514م ، مع جماعة من أهالي توات ، وقد حدثت خلافات دينية بينهم وبين

---

(1) أحمد بابير الارواني ،السعادة الأبدية ، مخطوط ورقة 19 ، عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 62 . ومحمد حجي ، الحركة الفكرية بالمغرب، في عهد السعديين ، المرجع السابق ج 2، ص 635، والهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، المرجع السابق، ص105

(2) موسى بن أحمد السعدي ، مخطوط ورقة 301.

(3) أحمد بابير الأرواني السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 19.

(4) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، اكثر100صفحة!

بعض علماء تنبكت ، ترتب عن ذلك بناء هؤلاء التواتيين مسجدا لهم يؤدون فيه الصلاة ويدرسون فيه العلم ،وقد انضم إليهم في ذلك جزء من أهالي تنبكت (1) ،وقد تعاقب عليه عدد من الأئمة ،منهم الفقيه محمود بن محمد الزغراني التنبكتي ،واستمر فيه إلى أن مرض بالسعال وتوفي يوم الخميس ثاني عشر من رجب عام أحد عشر وألف 1011هـ / 1602م (2) .

والجدير بالملاحظة أن هذا المسجد لايوجد له أثر اليوم ،في مدينة تنبكت ، (3) أما أهم منارة للعبادة والعلم في مدينة جني ،فكان المسجد الكبير ، وهو أكبر مساجدها وأقدمها ، وقد صمم على الطراز المغربي الإسلامي ، على يد المهندس المغربى معلوم ادريس والذي كان معاصراً للساحلي ، وقد ارتاده طلاب العلم ودرس فيه صفوة من العلماء ،منهم الفقيه ساقوا الونكري ، الذي ولاه اسكيا محمد قضاء المدينة ، والقاضي محمود أبوبكر ،الذي تولى القضاء على يد اسكيا اسحاق ، والقاضي أحمد ترف ،وكان خطيباً وإماماً للمسجد ، وقاضياً ،جمع المراتب الثلاثة (4) .

مسجد اسكيا الحاج محمد :ـ

قام ببناء هذا المسجد اسكيا الحاج محمد ، وهو من أكبر المساجد بالمدينة ،وله صومعة تعتبر أطول بناء في المدينة . وقد اعتنى به أسكيا الحاج محمد وجعله مؤسسة تعليمية بالإضافة إلى دور العبادة ، وعين له أئمة ومؤذنين يقومون عليه . والمسجد يتوسط المدينة من الجهة الشرقية ، وهو مبنى بالطين ومسقوف بالخشب ، ويختلف في طرازه المعمارى عن مساجد تنبكت وجني واقدز ، فالمئذنة مفصولة عن المسجد ،. ومكان الصلاة عبارة عن بناء طويل ،

---

(1) الهادي المبروك الدالي ، فيما تاريخ افريقيا وراء الصحراء من خلال الرواية الشفوية ورقة 22

(2) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 217- 218

(3) لقد زرت مسجد جني في صيف عام 1985 وهو مازال فى حالة جيدة ، ويؤدي دور العلم والعبادة

(4) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 11-16-17

Delaffoss :op. cit part 11-p 280

يبلغ طوله الف متر ، وعرضه اربعمائة متر (1) ،ويقال ان قبر أسكيا الحاج محمد يوجد في الصومعة، الا أنني عثرت على شاهد مكتوب عليه سلاطين سنغاي في أحد أزقة مدينة جاو (2)

وفي مدينة اقدز كانت هناك منارات للعلم والعبادة إشهرها مسجد أسكيا الحاج محمد ، ومسجد محمد الفزاني ، ومسجد محمد بن عبدالكريم المغيلي .

مسجد اسكيا الحاج محمد باقدز :-

بنى اسكيا الحاج محمد هذا المسجد وهو في طريق عودته لما مر بمدينة اقدز ، وأمر بتشييد مسجد بها ، نظراً لأن مساجد البلدة لاتكفي للمصلين والتعليم . والمسجد كبير يتسع لأكثر من خمسمائة مصل وهو قصير البنيان ،مبنى بالطين المخلوط بالتبن ، ومسقوف بالخشب ، وعرض الصف لايتجاوز ثلاثة أذرع ، وليس به نوافذ ،ولذلك تراه ضيقاً مظلماً ، وقد اهتم به اسكيا الحاج محمد ، بأن عين له المؤذنين والأئمة (3) .

مسجد محمد الفزاني :

شيد العالم والتاجر محمد الفزاني ، القادم من بلدة فزان بليبيا ، في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي مسجداً (4) بمدينة اقدز ، كان يدرس فيه العلم والعبادة ، وقدأبدع في بنائه وهو يختلف عن سابقيه من المساجد ، بشكله الداخلي والقريب إلى البناء الحالي في الاعمدة الحلزونية ، وقد ادخل فنا جديدا في العمارة لم يكن معروفاً من قبل والمسجد يتوسط المدينة ، وقد درس فيه نخبة من العلماء ، منهم الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيرى الفزانى ، في عام 1009هـ / 1600م وشغل منصب إمامته (5)

---

(1) نفسه ، ص 130 أي منهم الهادي، عبدالرحمن Delaffoss

(2) انظر الملحق

(3) جندين بن محمد البخاري بن أحمد بن غداد بن ليم رحلته إلى اقدز مخطوط ورقة 3

(4) لقد زرت هذا المسجد ووقفت علي فن العمارة به انظر الملحق ص834

(5) عثمان بن أبوبكر الحضرى ، مخطوط ورقة 1

مسجد محمد بن عبدالكريم المغيلي

شيد العالم المغيلي بمدينة اقدز مسجداً صغير الحجم ،عندما استوطن باقدز وكان هو نفسه يدرس العلم فيه (1)

مساجد صغيرة باقدز

وبالإضافة الى المساجد الثلاثة ، وجدت عدة مساجد صغيرة، نوردها فيما يلي:

مسجد عاسدى

مسجد ابتل

مسجد سنتغود في اقدز

مسجد تغصم

مسجد موخ ويبعد عن مسجد اقدز بحوالي مائة وخمسين كيلو مترا وإلى الجنوب منه ، وهو أقدم مسجد ، حيث تأسس عام أربعمائة وأربعة وخمسين 454هـ1062م .

مسجد زيكا (2)

المساجد التي شيدها اسكيا داود ،في عدد من مقاطعات إفريقيا فيما وراء الصحراء ، وأطلق عليها لبنة ، بأن أرسل إلى كل من يشيد مسجداً (لبنة) ، وأمر بأن تلحق بالمساجد محارب تكسى برداء أحمر ، وسجاد يوضع على المنبر ، وعصي من شجر «شاع »على قدر قوس طولاً ،يمسك بها الإمام عند صلاة الجمعة . كان ذلك في العام الخامس والسبعين بعد كم (75 !) وهذه المساجد هي:

---

(1) جنيد بن محمد البخاري رحلته ، مخطوط ، ورقة 3 انظر الملحق

(2) نفسه ورقة2

- مسجد في بوبو
- مسجد الملك الوتر .
- مسجد الحاج قطب اسدار دغو.
- أربعة مساجد إلى بلاد دافى .
- مسجد وهاب
- مسجد طرندك
- مسجد حلصو
- مسجد بور
- مسجد غون
- مسجد فرنك
- مسجد طو
- مسجد سند .
- مسجد إلى بلاد كرن
- مسجد دار السلام

مسجد بوبو فراك

مسجد بوبو غنبكو

مسجد سداد دكو الحاج قطب

مسجد وهاب الحاج محمود

مسجد إلى غاضو الترووري

مسجد طراندك سيس

مسجد جلصو ابوبكر ولي

مسجد بور مصطفى ولي

مسجد غور الحسن ولي

مسجد فرنك جعني .

مسجد طوبا باتو .

مسجد كير كربر

مسجد سند طور

ستة مساجد إلى كرينغيغ (1)

والجدير بالملاحظة أن جزءاً من هذه المساجد قدمها اسكيا محمد وأولاده إلى أشخاص تابعين له ،ولذلك حملت أسماءهم .

وبالإضافة الى المنارات السابقة للعلم والعبادة ، كانت هناك زاوية دينية، تؤدي نفس الدور وهي :

زاوية الولي الصالح سيدى أحمد الرقادي، ببلدة توات وقد تأسست في نهاية القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادي ، عند وصول الطريقة القادرية إلى بلاد افريقيا فيما وراء الصحراء، وكان لهذه الزاوية مريدون واتباع وقد لعبت دوراً في نشر الإسلام هناك (2)

كما وجدت هناك بيوت عرفت بالعلم ، مثل ديار أولاد سيدي محمود، والذي ارتحل إليها «اوسنب »، بقصد طلب العلم من صغره ، وهو من أبناء سلاطين طوارق مقشرن (3)

مراحل التعليم ومناهجه الدراسية :.

ادت المؤسسات والمعاهد التعليمية ،في افريقيا في وراء الصحراء عامة وفي مدينة تنبكت خاصة دوراً بارزاً ، في إثراء الحركة الفكرية ، وقد وجد التعليم

(1) مجهول ، تذكرة النسيا ، أحمد بابير الارواني (الجواهر الحسان في اخبار السودان)مخطوط مكتبة الباحث، ورقة 1-2-3

(2) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، فهرس لأشباخه مخطوط، ورقة 12

(3) عبدالرحمن السعدى ، تاريخ السودان ، المصدر السابق ص 313

حظوة متميزة لدى الحكام والشعب ، نظراً لما كان يتيح لطالبه من مكانة مرموقة في المجتمع بعد تحصيله وكان السلم التعليمي يمر بثلاث مراحل هي : مرحلة التعليم الاولى ، ومرحلة التعليم المتوسط ومرحلة التعليم المتقدم أو (العالي) .

أما الذين يقومون بالعملية التعليمية فهم الأساتذة ،وعادة يمنحون رواتبهم عن طريق القاضي، من خزانة بيت المال ، أو من طرف أولياء أمور التلاميذ ،أو بعض الصدقات من ودع ونحوه .

وأما القراءة التي كانت منتشرة في افريقيا فيما وراء الصحراء فهي قراءة ورش فقد أورد الشيخ عبدالله بن محم فودي في تقديم تفسيره قائلاً : « وبعد فهذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين ، والحاح الملحين أن أكتب لهم تفسيراً يفهمون به كتاب الله ،مع الإعتماد منه على أرجح الأقوال بإعراب مايحتاج إلى الاعراب منه والتنبيه على القراءآت المشهورة ،بتبدئة قراءة نافع رواية ورش عنه إذ قراءتنا في هذه البلاد ..» (1)

وهذه إجازة علمية على قراءة ورش ،وقالون ،صادرة من محمد تقى الله بن الشيخ سيد أحمد بن الطاهر تقول : (مبتورة البسملة) وبعد فإني أيها الكاتب محمد تقي الله بن الشيخ سيدي احمد ابن الطاهر (غير واضح) أن يروى ويقرأ عني كتاب الله العزيز بروايتى ورش وقالون عن نافع ، واجزته فيها كما رويتها عن شيخى أحمد محد بابا أحمد بن المصطفى (2)....»

من هنا ندرك تأثير المغرب الأقصى الحضاري في افريقيا فيما وراء الصحراء خاصة ، وقد كان الخط المغربي هو السائد في الكتابة ويبرز ذلك من الكم الهائل للمخطوطات السودانية المكتوبة بالخط المغربي .

---

(1) عبدالله بن محمد فودي ، ضياء التسأويل في معاني التنزيل ، مخطوط الخزانة العامة ، بالرباط رقم 1976 ورقة 1

(2) محمد تقي الله بن الشيخ سيدي أحمد بن الطاهرة إجازة علمية على قراءة ورش وقالون ، مخطوط ، مركز احمد بابا التنبكتى رقم 2326ورقتين

كذلك انتشار قراءة ورش وقالون عن نافع المدني وهي المنتشر بالشمال الافريقي وخاصة ليبيا .

مرحلة التعليم الأولى : (الكتاتيب)

إن الذي يقوم بهذه المرحلة من التعليم هي الكتاتيب ، وقد اختلفت تسميتها في غرب إفريقيا بإختلاف قبائلها ، فقبائل الوولوف تطلق عليها اسم دارا ، وقبائل مويريتانية يعرفونها بمحظرة والماندنج يسمونها كارا، وقبائل التكرور يدعونهما باسم ديا لجانتي ، أما الشرسة فيسمون معلم الكتاتيب القرآنية معالام ،وهو تحريف لكلمة معلم (1) .

تعتبر هذه المرحلة حجر الأساس في التعليم ،وهي البوابة الأولى التي يدخل منها الطالب إلى مدارج العلم . فعندما يصل عمر الصبي الى السابعة او مادونها يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب (المدب) لتعليمه مبادئ القراءة والكتابة العربية وتحفيظه النصف الاخير من القرآن الكريم وكذلك تدريبه، على الصلوات الخمس ، ولكن أداءها لايصبح إجبارياً عليه الإ في سن العاشرة ، حيث يتعرض الصبى للضرب الخفيف والشتم إذا لم يؤدها في أوقاتها المحددة . وكان تحفيظ القرآن الكريم هو آخر شئ في هذه المرحلة فبعد أن يتعلم الصبي القراة والكتابة يدخل لتعلم القرآن عن طريق الألواح ، حيث يكتب عليها الصبي ايات من القرآن الكريم وعندما يحفظها يمحوها وهكذا . وفي مدينة (تشيت) تقوم النساء بتعليم البنات والبنين (2) .

أما عن طريقة التعليم في هذه المرحلة ، فقد أفاد البرتلي عن تعلم عبدالله بن الفقيه الطالب احمد الحاج المصطفى الغلاوي ،لأحمد الشنجيطى قائلا .. وكان

(1) الهادي المبروك الدالي وعمار هلال ، الاسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب افريقيا من 1850-1914م ، المرجع السابق ص 71

(2) الحسن الوزان ، المصدر السابق ج 2، ص 116153Monteil c: op , cit -p

رحمه الله تعالى نجيباً مشى به والده رحمه الله تعالى إلى شيخ الحقيقة والطريقة محمد أحمد بن عبدالرحمن الغلاوي المساوي ، يبدأ له في لوحه ولم يكن كتب التهجي : فكتب له في لوحه الفاتحة حتى كتب آمين ، فقالت أمها (امه) رحمها الله تعالى امح هذا حتى يعرف الحروف والتهجي ...» (1) هذا النص يبين لنا عدة جوانب هي :

1- ارتحال الأباء بأبنائهم لطلب العلم .

2- درجة التعليم التي كانت عليها المرأة في تلك الفترة .

3- تبدأ المرحلة الأولى في تعليم الطفل حروف الهجاء قبل القرآن الكريم

وأفاد صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ف،ي هذا الخصوص قائلاً : « إذا بلغ الصبي خمس سنين يمتحنونه بأن يعلموه من الواحد إلى العشرة ، فإن تابعها من غير تقديم ولا تأخير ، تيقنوا من تعليمه ، وإن لم يعلم كيفية العد يتركوه ، ثم يبدأون في تلعيمه ، وأكثر من يتولى تعليمه إذ ذاك النساء ، ثم بعد معرفة الحروف الأبجدية » (2) وهذا يدل على أن أول ذي بدء في العملية التعليمية تعليم العد للأطفال .

وقد أورد كعت عن شيخه ، أن مدارس الصبيان في بداية دخول المغاربة ، إلى افريقيا فيما وراء الصحراء ،كانت تتراوح مابين مائة وخمسين، ومائة وثمانين مكتباً ،وقد أفاد أنه حضر مكتب معلم ، يدعى على تكريا بعد ظهر يوم الأربعاء ، وهو يوم دفع واجب المعلم ،وشاهد الصبيان يأتون من خمس ودعات إلى عشر ، حسب وضع أسرهم الإقتصادية ، وقد حصل ذلك المعلم يومها على ألف وسبعمائة وخمسة وعشرين (1725) ودعة ، وكانت تلك الرسوم تدعى حق الأربعاء ، وأن عدد الواح الطلاب مائة وثلاثة وعشرون لوحاً (3)

---

(1) البرتلي ، المصدر السابق ص170

(2) أحمد الأمين الشنقيطي ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ط : 2بعناية فؤاد سيد ،القاهرة : مطبقة السنة المحمدية 1958م ص517

(3) محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 180-181

نستنتج من ذ لك عدة أمور وهي

1- ازدهار الحركة التعليمية في البلاد بكثرة مدارسها ،والتي تدل على كثرة المتعلمين .

2- اهتمام حكام افريقيا فيما وراء الصحراء بالتعليم ، ببناء المدارس وجلب الكتب لها ونحوها . فمدرسة واحدة عدد طلابها مائتان واثنان وثلاثون طالباً

3- المستوى المعيشي الرفيع الذي عليه أرباب العلم ، فمعلم واحد يتقاضى في أسبوع ألفا وسبعمائة وخمسا وعشرين ودعة اي في الشهر يتقاضى حوالي ستة آلاف وتسعمائة 6900 ودعة .

4- التعامل في تلك الفترة كان بالودعة وهى عملة من العملات التي يتعامل بها أهل أفريقيا فيما وراء الصحراء .

2- مرحلة التعليم المتوسط .

لم يكن الإلتحاق بهذه المرحلة محدداً بعمر معين ، بل كانت الفرصة متاحة لجميع الذين أكملوا تعليمهم الأول بنجاح (1) بحفظهم نصف القرآن أو كله .

أما أماكن الدراسة في هذه المرحلة ، فعادة مايتم في المدارس والمساجد ، كجامع سيدي يحيى في مدينة تنبكت .

وقد افاد عبدالرحمن السعدي عن التعليم في المدارس بقوله (.. وروى أنه كان في مدرسته ذات يوم ، تحت الصومعة من خارج يقرأ) وحوله عصابة من الطلبة (2)

وفي هذه المرحلة تدرس الكتب المبسطة ، تتمثل في دروس اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية ، والمنطق والحساب ، وكان الطالب في هذه المرحلة ،

(1) عبدالقادر زباديه القرن 16وحركة التعليم في تنبكت مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب مجلة المؤرخ العربي ، 1980،ع 14ص 214

(2) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 51-61 . أحمد الأمين الشنقيطى ، المصدر السابق ص 519.

يتدرج من دراسات المؤلفات البسيطة ، إلى دراسة المؤلفات المفصلة مع شروحها وحواشيها (1)

أما الذين يقومون بالعملية التعليمية في هذه المرحلة والمرحلة القادمة فهم الاساتذة

3) مرحلة التعليم العالي :

وهي مرحلة جد متقدمة في السلم التعليمي ، احتضنت تنبكت هذا التعليم ، متمثلة في جامعة سنكري ، التي كانت مقرا للتدريس .

وكان يدرس بها صفوة من العلماء ، ونظام الدراسة هو عبارة عن حلقة ، على هيئة نصف دائرة ، يوضع كرسي المدرس في مركزها ، ويجلس في مواجهة المدرس أنجب الطلبة ،ومهمته سرد النص فقرة ،إثر فقرة ويقوم المدرس بالشرح والتعليق عليه ، ويطلق على ذلك الطالب المسرد ، ولايختص بالسرد الطالب فقط ، بل يتطوع عالم أو فقيه لهذه المهمة ، وقد أفاد عبدالرحمن السعدي أن اندغ محمد بن المختار النحوي ، كان يسرد كتاب الشفاء ، بمسجد سنكرى ، وكان عالماً بالعربية ،وعند وفاته تولى هذه المهمة ابنه عبدالله (2)

لم يقتصر التدريس في هذه المرحلة على جامعة سنكرى ، بل كانت الزوايا والمساجد هي الأخرى مكاناً لتلقي العلم ،وقد أفاد الشيخ عبدالرحمن التواتى أن أبا حفص سيدي عمر بن عبدالقادر بن يوسف ،المولود عام 1098هـ / 1686م ، درس في زاوية جده المسماة تبلان القرآن والفقه (3) .

وكان مسجد سيدي يحيى بمدينة تنبكت ، والجامع الكبير بمدينة جاو ، ومسجد جني ، ومسجد اقدز ، ومسجد محمد الفزاني من بين أماكن التدريس

---

(1) عبدالقادر زبادية ، القرن 16 وحركة التعليم في تنبكت المرجع السابق ، ص216

(2) عبدالرحمن السعدى ، المصدرالسابق ، ص 29 ونعيم قداح ، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ص 157-158، ومحمد الغربي ، المرجع سابق ، ص 552

(3) عبدالرحمن عمر التواتي ،مخطوط ، ورقة 3

في المرحلة المتقدمة (1) .

أما عن تمويل التعليم فقد خصص اسكيا الحاج محمد الكبير أوقافاً ، لتنفق على الطلاب المنقطعين للعلم والدراسة (2)

أما المناهج في هذه المرحلة ، فقد كانت متوسعة الشروح والتفاصيل ، وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات الكبيرة (3) .

وفيما يتعلق بنماذج الكتب ، التي كانت تدرس في هذه المرحلة فكانت هي كتب عياض ، وسحنون ، وشروح ابن القاسم ، والخليل ، وكتب المغيلي ، والونشريس ، وموطأ مالك ، والمدونة ، والخزرجية ، وتحفة الحكام ، ومقدمة التاجورى (4) ومسائل البيع المعروفة بأركان البيع ، لسيدى محمد بن احمد ميارة الفاسي ، الذي كان منهجا من المناهج ، يدرس في تلك المناطق وهذا المخطوط شاهد على ذلك يقول « بسم الله الرحمن الرحيم « .. قال الشيخ أبو العباس سيدي محمد بن أحمد ميارة الفاسي .. » أركان البيع ثلاثة .. انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه » (5) والجدير بالملاحظة أن هذه الكتبإنتقلت إلى هذه المنطقة من منارات العلم بجامعة القرويين ،والزيتونة ، والأزهر ، وليبيا .

وتأثير مؤلفات الشمال الإفريقي في افريقيا فيما وراء الصحراء ، وخاصة المغرب الأقصى .

أما عن فترة الدراسة في هذه المرحلة فلم تحدد بفترة زمنية معينة ، وإنما كانت

---

(1) عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 130، ومحمود كعت ، المصدر السابق ، 24 مجهول ، تاريخ اقدز مخطوط ورقة 10

(2) حسن احمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا ، القاهرة:1962ص272

(3)عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاى ،في عهد الآسقيين ، المرجع السابق ، ص 144

(4 عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 7-8وأحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية ورقة 16 ،وعبدالرحمن السعدى المصدر السابق ص46

(5) ابوالعباس سيدي محمد بن احمد ميارة الفاسي ، مخطوط اركان البيع ، مكتبة عادل الأرواني بتنبكت بدون تصنيف الورقة الأولي من المخطوط .

مشروطة بإنتهاء الطلاب من استيعاب عدد معلوم من كتب الفقه ، والحديث ، والمنطق ، والنحو ، وقد يستمر الطالب أكثر من ثلاث سنوات ، في قراءة موطأ الإمام مالك وغيره ، وقد ذكر موسى بن أحمد السعدى ذلك في قوله : « ولازمة أكثر من عشر سنين ،فختمت عليه مختصر خليل بقراءته وقراءة غيره نحو ثماني مرات ، وختمت عليه الموطأ فهماً ،وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتحقيق مرة بثلاث سنين وقد أفادني كثيراً» (1)

التعليم المهني :-

التعليم المهني في أفريقيا فيما وراء الصحراء ،قليل الإنتشار ، في ذلك الوقت ، إذا ما قورن بالمراحل التعليمية الأخرى ، حيث إقتصر على مهنة الخياطة ،وتعليم صناعة السفن ،وبعض المهن الأخرى ،مثل صناعة السيوف والحراب ، ويتولى التدريس في هذه المرحلة معلمون متخصصون ، حملوا لقب (شيوخ الرؤساء)فقد كان التدريس والممارسة تتم في البيوت أو في مقر عمل شيوخ المهنة (2) ،وكانت الحرف المهنية محتكرة في أسر معينة ، وقد أفاد كعت عن وجود هذه المهنة ، وطريقة تعليمها قائلاً : وأخبرني محمد ابن المولود ، أنه رأى منها ستة وعشرين بيتاً من بيوت الخياطين المسماة بتند .. ولكل واحد من تلك البيوت شيخ رئيس معلم ، وعنده من المتعلمين نحو خمسين ، وعند بعضهم سبعون إلى مائة (3)

نظام منح الإجازات :-

بما أن تدريس المناهج التعليمية في افريقيا فيما وراء الصحراء ، يقوم على أساس التلمذة ، فقد كان الأستاذ كلما رأى من أحد طلبته تمكناً في مادة من

---

(1) موسى بن أحمد السعدى . مخطوط ورقة 160

HANIICK,J,O TRANSACTION OF THE HISTORICAL,GOUrndGhana.voi.vii

1964 p30 cardot,vera:beila page delHistoie Afnicaine paris 1961.p135

(2) مجهول تاريخ اقدز ، مخطوط ورقة 12 وعبدالقادرزيادية ، القرن 16 وحركة التعليم في تنبكت ، المرجع السابق ، ص226

(3) محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 180

المولد التي درسها الطالب على يده ، يقوم بمنحه إجازة وهي تشمل عدة انواع:

إجازة سماعية : وهي تعني أن الطالب تتبع أقوال العالم وحفظها ثم شهادة العرض : أي سرد الطالب على أساتذته مع استذكار للنصوص ، ومعرفته بشروحها ،ثم الإجازة الكاملة وهى عادة ماتكون في آخر مرحلة تعليمية ،وهى المرحلة التي يصل فيها الطالب الى ذكر الأسانيد ، وإرجاعها إلى مصادرها الأولى ،ومعرفته للروايات بعد التمكن من علم من العلوم (1)

وأفاد ابن فودى في تعريف الإجازة قائلا : فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المجيز بالأهلية (2)

ومنح الاجازات نوعان :

1- إجازة تمنح للطالب ،في المكان الذي يقطن فيه العالم المانح للإجازة ،

وقد يرتحل الطالب من بلده الى بلد الأستاذ ،بقصد الدراسة عليه ، ومنحه الشهادة ، وقد يرسل الأستاذ الإجازة إلى تلميذه في بلده .

2- قد تمنح الاجازة للطالب خارج بلده ، وعادة ماكانت تمنح في الأراضي المقدسة ،وقد صور لنا عدد من مؤرخي إفريقيا فيما وراء الصحراء الطريقة التي تمنح بموجبها الإجازات التخصصية وقد قال : عبدالرحمن السعدى «وباحثته كثيراً في المشكلات وراجعته في المهمات ، وبالجملة فهو شيخى واستاذي مانفعنى أحد كنفعه وبكتبه .. وأجازنى بخطه جميع مايجوز له »(3)

وتحدث عبدالرحمن السعدي ،عن أولئك الذين أعطيت لهم الإجازات ، وكانوا قد بلغوا درجة من التحصيل ، جعلت أساتذتهم ينقلون عنهم بعض التعليقات على المسائل واجتهاداتهم فيها ، ويدرسونها لطلاب آخرين

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق ، ص 46

(2) عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح المعروف ابن فودى ، المسائل العشرة فيما به العمل ، مخطوط مكتبة الباحث ورقة 16

(3) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص46

بحضورهم . وكان السعدي ، وعبدالرحمن التواتي من بين هؤلاء ،وأوضح عبدالرحمن السعدي قائلاً : «وافقته على بعض تواليفي ، فسر به وقرظ عليه لي بخطه ، بل كتب عني اشياء من أبحاثي ، وسمعته ينقل بعضها في دروسه ، لإنصافه وتواضعه ، وقبوله الحق حيث تعين (1)

وقد أورد عبدالرحمن السعدي ، وعبدالرحمن التواتي الكيفية التي كان يدرس بها الاساتذة طلبتهم ،وأنها اتسمت بالتواضع ، والليونة ، والحلم ، والصبر في معاملتهم ، وإختيارهم للعبارات المبسطة ، لكي يتمكن طلابهم من استيعاب مايدرسونه ومن بين هؤلاء العلماء الذين ساروا على هذا المنوال ، العالم أبو العباس سيدي احمد بن صالح السوقى التكرورى ، والعالم ، (محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الرأس) (2)

..يترجم لنا ماتم عرضه على رقي ، ورفعة ، ومحافظة أسر هؤلاء العلماء ، وتجدر الإسلام في نفوسهم ، وكذلك رقي البيئة التي عاشوا فيها ، إلى أن خلقت منهم هذا النموذج الرائع في العلم ، والآدب ، والأخلاق ، وهم يؤكدون قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : **تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه** .

طريقة صياغة ومنح الإجازات :

قبل الشروع في الحديث عن كيفية منح الإجازات العلمية ، في افريقيا فيما وراء الصحراء ، أريد أن اشير إلى أن النواة الأولى للنهضة العلمية في إفريقيا فيما وراء الصحراء ، كانت على عاتق علماء الشمال الإفريقي عامة ، والمغرب

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق ص46

(2) هو الفقيه ابوعبدالله محمد بن محمد بن على بن موسى عريان الرأس . كان من عباد الله الصالحين زاهداً سخيا تصدق بماله كله في سبيل الله ، وترد عليه النذور والصدقات فيتصدق بها على الفقراء، توفى عام 1027هـ / 1617م للمزيد انظر عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 54-55 ، 56 والبرتلى المصدر السابق . ص 111

الأقصى خاصة ، فهم الرواد الأوائل في ارتياد المنطقة والتعليم بها ونقل علماء المغرب معهم مناهجهم ، التي كانت تدرس بجامعة القرويين إلى افريقيا فيما وراء الصحراء ، إلى أن كونوا نخبة علمية متميزة من أبناء المنطقة ، من أمثال أسرة اقيت ، وأسرة الأرواني ، وغيرهما من الذين درسوا على يد الشيخ عبدالرحمن التاجوري ، والسلجماسي ، والدرعي ، والفاسي وغيرهم . ومالبث علماء إفريقيا أن تبحروا ، وتفوقوا في العلوم العربية ، والشرعية ، وصاروا أساتذة فيها ، درسوا أبناء جلدتهم ، وحتى أبناء الشمال الإفريقي ، وهذه الاجازات التي نورد جزءاً منها تبين كيفية منحها ، وتؤكد ماتم إراده .

« هذه إجازة في صحيح البخاري ، صادرة عن محمد بن أحمد بن الشيخ ، لأخيه أحمد ابن أحمد والتي نورد جزءاً منها« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وبسلم تسليماً .

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ،ويكافي مزيده ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وبعد فيقول محمد بن أحمد بن الشيخ ، قد أخبرت الأخ محمدأحمد بجميع صحيح البخاري إجازة ، كما أخبرنى به الشيخ الوالد أحمد بن الشيخ ، قراءة مني عليه ، من أوله إلى كتاب الإيمان ، ومن كتاب التفسير ، إلى آخر الصحيح قال : كما أخبرني محمد بن محمود بغيغ بن محمد كورد ، بجميع صحيح البخارى إجازة وقراءة منى عليه من أوله إلى آخر بدء الوحي ، وأول كتاب الإيمان ، ومن هنالك إلى آخر الكتاب إجازة مقرونة بالمناولة قائلا : «كما أخبرني به سيدي والدي الفقيه ، الإمام محمود بغيغ بجميعه قراءة مني عليه ، وسماعاً من بلفظه غير مرة ، كما أخبره بذلك شيخه ووالده الفقيه أبو عبدالله ، الامام محمود كورد رحمه الله رحمة واسعة قائلا : اجازني بذلك شيخنا الفقيه محمد صالح بن عبدالرحمن بن الإمام القاضي ابوعبد الله بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن الحاج ، لطف الله بهم آمين قائلا : : أجزت له أن يرويه عني ،بحق روايته له ، عن شيخنا الفقيه ، محمد

صالح بن عبدالرحمن بن أبي بكر قراءة قال : أخبرني به شيخنا ابوالعباس احمد بن الفقيه الأمين بن أبي بكر سماعاً ، عن والده الفقيه الأمين المذكور قال : أخبرني به شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين السيوطي الشافعي ... عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل .. رضى الله عنه وأرضاه انتهى (1)

توضح لنا هذه الإجازة عدة جوانب وهي :-

1- ذكر اسم الجائز والمجيز

2- بداية الإجازة بالبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

3- الكتب التي أجازها الأستاذ لتلميذه وهي صحيح البخاري

4- أن محمد بن أحمد درس على يد والده .

5- الشهادة في تلك الفترة تكون بالمناولة ، والسماع ، ورواية علم من العلوم أكثر من مرة .

6- الخط الذي كتب به مغربي

7- ذكرت عددا من علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء، الذين كان الطلاب يدرسون عليهم، مثل أحمد بن الشيخ ومحمد بن محمود بغيغ بن محمد كورد، وأبي البعاس أحمد بن الفقيه الأمين وغيرهم .

8- يبدو أن قوة الإجازة تكمن في الجائز أن يأتى بكل السند لشيخه ، وأشياخ شيخه الخ .

9- نهاية الإجازة عادة تختم بالدعاء

وهذه إجازة صادرة من أستاذ مغربي ، إلى تلميذة من تنبكت ، وهذا جزء من نص الاجازة يقول :« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد

---

(1) محمد بن أحمد بن الشيخ اجازة علمية في صحيح البخاري صادرة منه الى محمد بن أحمد مركز زحمد بابا التنبكتي 164ورقتين ،ملاحظة: لم تأت بتاريخ للاجازة الا أن محمد بن محمود بغيغ توفى عام 1002هـ /1592 احمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 600

وآله وصحبه وسلم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير خلق الله أجمعين ، والرضا عن آله وأصحابه أجمعين ، وبعد فيقول العبد المشفق من سوء كسبه المستغفر من ذنبه (عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي) (1) غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ،أن الفقيه المشارك الاديب الفاضل العلامة ، الألمعي الفهامة السري السني ، الشريف الحسني ، السيد أبابكر بن محمد بن محمد الشهير بثات التنبكتي الدار، أدام الله توفيقه ، وهيأ لما يرضيه طريقه ، قد سألني أن أجيزه في الكتب الحديثة ، مثل الصحيحين وغيرهما فيما ذكر حسب أخذنا ذلك عن مشائخنا بأسانيدهم المذكورة في تراجمهم وإجازاتهم بالقراءة لبعضها والإجازة في الجميع ولابأس بذكر شئ من ذلك للتبرك به . أما صحيح البخاري فعن شيخنا الإمام العارف العالم الرباني ، المحقق أبي زيد عبدالرحمن عمر والدي أبي محمد الفاسي ، عن الشيخ الإمام العام المحدث النظار، أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار .. وأما صحيح مسلم ،فعن شيخنا الإمام أبي زيد عن شيخه القصار .. ولنا في ذلك طرق اخرى ، وأسانيد أخرى ، اكتفينا بما ذكر طلبا للاختصار ، وقد اجزت له ذلك وجميع مايجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ، ومجاز مايجوز من ذلك .. صح عني او سمعه مني ونسأل الله لنا ، ولكم الهداية والتوفيق وان يوردنا موارد أهل الصدق ، والتحقيق إذ المقصود من العلم العمل بمقتضاه ، والاستضاءة بأنوار مداه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ولامتكفل للمقبل عليه بالأجر الجزيل ، والفضل العميم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، ومولانا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحابته أولى المجد والتعظيم ،ومن

---

(1) لم نعثر على تاريخ ولادته ولا وفاته وقد ذكره البرتلى ص 151

واورد البرتلي ان يوسف الفاسي توفى عام 1005 هـ / 1596م البرتلي ص 219 ربما يكون عبدالقادر قد عاش في ألف وستمائة وخمسين ومابعدها 1650م .

تبعهم على النهج القويم وكتب .. (1)

تكشف لنا الإجازة على عدة جوانب وهي:

1- الديباجة التي كانت كتب بها الإجازات العلمية عند علماء فاس .

2- تؤكد لنا الاجازة تأثير المغرب الأقصى حضارياً في المنطقة، وعمق التواصل الثقافي بينهم بإجازة عالم من المغرب لتلميذه من تنبكت

3- توضح لنا تواضع مانح الاجازة ، بمدحه لتلميذه بعبارات العلامة الفهامة الخ . وهي تؤكد لنا عمق المحبة بين الأستاذ والطالب ، واعترافه بقدراته العلمية، ولافائدة في التعليم مالم تكن هناك روح المحبة ، والأخوة بين الأستاذ وتلميذه .

4- ان الطالب هو الذي طلب من أستاذه الذي درس عليه إجازة في بعض العلوم .

5- تبحر أبناء فاس في العلم .

6- تحدد الإجازة الكتب التي أجازها الفاسي لتلميذه .

7- الشيوخ الذين أخذ عنهم الفاسي وشيوخ شيوخه .

8- الخط الذي كتب به وهو مغربي ، الأمر الذي يؤكد أن المنطقة طبعت بطابع مغربي محض .

9- تنم نهاية الاجازة عن أن صاحبها كان على مستوى أدبي رفيع ، أختار الكلمات المعبرة ،ووضح المضمون ، وفضل عدم الإطالة .

10- افصح الفاسي في نهاية الاجازة على أنه منح تلميذه التنبكتي المقروء والمسموع ، واجاز مايجوز له ، وماصح عنه ختم مانح الإجازة. وإجازته بالدعاء له ولتلميذه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا نموذج إجازة من عالم سوداني ، إلى طالب مغربي ،نورد فقرات منها

(1) - عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي، إجازة علمية صادرة عنه إلى أبي بكر بن محمد بن محمد الشهير بنات التنبكتي ، مخطوط مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 147 ورقتين

«الحمد لله وكفى ، وسلام على سيدنا محمد المصطفى ، وآله وصحبه أولي الخير والوفاء . وبعد فيقول العبدالفقير ، ذو القصور والتقصير ، أحمد بابا بن الفقير أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت كان الله له في أموره ، وحفظه من غير الدهر وشروره آمين ، لما يسر الله تعالى لي ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل الحافظ ، أبي العباسي أحمد بن محمد المقرى من ذرية الإمام الاكبر ،العالم الأشهر أبى عبدالله المقري التلمساني ، نفعنا الله ببركته ، جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد ، طلب مني أعلى الله شأنه أن أجيزه في الحديث ، وفيما لي به رواية من كتبه ، فأسعفته بذلك لأنه أهل لذلك وزيادة فاقول : وما توفيقي الإ بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، أجزت الفقيه المشار إليه ، اسعده الله تعالى ، أن يروى عني جميع مايجوز لي وعني روايته مما أخذته من شيوخنا وسادتنا الفضلاء ، معقولها ومنقولها متى شاء وبأي لفظ شاء ، على شرطه المعتبر ، عند أهل الأثر وهو البراءة من التصحيف والتحريف ، فمن ذلك موطأ إمامنا الأعظم ، امام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه ، والصحيحين البخاري ، ومسلم والشفاء لأبى الفضل عياض ، وغيرها من الكتب الستة ، وغيرها من الأجزاء الحديثية ، وكتب الفقه وسندها كلها يطول الآن كتبه ولنكتب والأبد منه .

أما صحيح البخاري فأرويه عن جماعة ، منهم سيدى والدي سماعاً منه مراراً ، بقراءاته هو مع الإتقان والتحقيق ، وسيدي شيخنا العالم الصالح المحقق محمد بن محمود بغيغ سماعاً منه أيضا ، وهما يرويانه سماعاً عن شيخهما الفقيه المحدث أبي عبدالله محمد عرف باندغ محمد ، سماعاً منه غير مامرة وإجازة . . وأما صحيح مسلم فأرويه أيضا سماعاً عن سيدي الفقيه المحدث ، العالم المتفنن والدي أحمد بن محمد ، وعن شيخنا الفقيه سيدي محمد بغيغ سماعاً منه أيضاً . . وأما كتاب الموطأ فأخبرني به والدي سماعاً منه لجميعه ، في

نحو عشرين مجلساً ، وعن شيخنا الفقيه محمد بغيغ قراءة مني عليه لجميعه وإجازة .. ولنا فيه أسانيد آخر كثيرة ، لم يسع الآن كتبها وأجزته .

أيضا ان يروي عني صحيح البخاري ، والسنن الأربع لأبي داود ، والترمذي ، والنسائى ، وابن ماجه ، بحق روايتى لها ، اجازة عن شيخنا الإمام محمد بغيغ بحق روايته هو لها .. وأجزته أيضا أن يروي عني كتاب الشفاء للقاضى عياض بحق روايتى له قراءة لأوله واجازة لباقيه عن سيدى .. محمود بن عمر بحق قراءته هوله .. وأروي كتاب الشفاء أيضا سماعاً عن سيدي والدي لجميعه واجازة .. وكتب الفقير أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي ابن يحيى ، الصنهاجي التنبكتي المالكي ، وفقه الله وغفر له ، بتاريخ يوم السبت خامس عشر ربيع الثاني عام عشرة وألف (1010هـ / 1601م) رأنا الله ختامه في عافية بمدينة مراكش المصونة حاطها الله انتهى (1)

نستخلص من هذه الإجازة عدة جوانب وهي :

1- الديباجة التي تكتب بها .

2- أنها صادرة من عالم من افريقيافيما وراء الصحراء ، إلى طالب من مراكش ،وهذا يدل على الامتزاج الحضاري والتأثير والتأثر .

3- تواضع أحمد بابا ،و يتضح ذلك من عباراته الفقير ذو القصور والتقصير .

4- كشفت الاجازة عن العلماء الذين أخذ منهم أحمد بابا وفي مقدمتهم والده .

5- الكتب التي أجيزت للتلميذ .

6- مكانة تلميذ أحمد بابا العلمية ،والأخلاقية بعبارات الثناء ،الذي قالها في حقه .

---

(1) - أحمد بن محمد المقري ، وروضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ط : 2 ، 1983 ، ص 306 - 312.

7- التاريخ والمكان التي منحت فيه الإجازة .

8- تكشف لنا الاجازة عن الراحة النفسية التي كان عليها أحمد بابا ، إجازة محمد المبارك من خلال عباراته الأمر الذي يستبعد أنه مسجون

وهذه إجازة من نوع آخر لعالم من بلدة اروان يجيز طالبه في الطريقة الشاذلية بتنبكت . ونورد فقرات منها تقول (بسم الله الرحمن الرحيم هذه طريقة شيخنا محمد المبارك الملقب بابا بن سيدي أحمد الحبيب الأرواني عن شيخه عبدالقادر بن عبدالوهاب عن شيخه سيدي محمد بن حمزه ظافر المدني ، .. عن سيدى احمد زروق البرنس الفاسي .. انتهت بحمد الله وحسن عونه .. على يد كاتبه وأخذه حميد بن مرزوق بن الحل ... (1)

وهذه اجازة من عالم سوداني إلى تلميذه من بلدة درعه بالمغرب الأقصى ، نقتطف فقرات منها : « .. الحمد لله لم يزل كريماً وبالحوادث قبل وقوعها عليماً .. وبعد فقد أجزت للأخ المكرم ،السيد محمد بن محمد الدرعى المهداوى ان يروى عني كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﴿ﷺ﴾ حسبما اجازنا شيخنا وعمنا الفقيه .. أبوبكر .. عبدالكريم بن الفقيه ابي زيد عبدالرحمن بن الفقيه أحمد مغيا .. وبلغهما من النعم غاية مناهما»(2)

من خلال الإجازة السابقة نستنتج الآتي :

1- تمكن عدد من علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء، بناصية العلم ، حتى أنهم أجازوا طلابا من المغرب الأقصى ،التي كان أبناء افريقيا يرتحلون إليها ، من أجل طلب العلم .

2- إزدهار منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء علمياً .

وهناك إجازات تمنح في الأراضي المقدسة ، حيث يلتقى العلماء من كل بلد

---

(1) - محمد المبارك الملقب بابا بن سيدي أحمد الحبيب يجيز إجازة علمية إلى احميد بن مرزوق بن الحل في الطريقة الشاذية ، مخطوط مركز الشيخ المختار الكنتي بجاو بدون تصنيف .

(2) - ميغا ، يجيز إجازة علمية إلى محمد بن محمد الدرعي المهداوي. مخطوط مكتبة الباحث.

لتلقى العلم والتدريس . وهذا العالم الحاج إبراهيم بن عبدالرحمن التكرورى الجنوى ، درس على علماء في الحجاز ، ومنحوه إجازة في العلم ، نورد فقرات منها نظراً لطولها تقول :- بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي رفع قدر علماء الحديث الشريف ، بعلو الإسناد وخص أمة النبى صلى الله عليه وسلم ، باتصال السند من بين كافة العباد ، وشملهم بفيض فضله المتواتر ، فعم به سائر الاحاد ،نحمده على الاعتقاد والصحيح الحسن الاشهر ، ونشكره على أن وضع عنا كل معضل ومنكر ، ونصلى ونسلم على النبى المرسل ، سيد الأولين والآخرين ، محمد المبعوث إلى كافة العاملين ، و على آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، أئمة الهدى والدين ، الناقلين إلينا هديه وسننه ، والمقتفين أثره وسننه ، والتابعين له بإحسان ، ومن تبعهم وأحياء سنتهم إلى انتهاء الزمان :

أما بعد فيقول العبد الفقير ، العاجز الحقير ، الذاهب عمره في القصور والتقصير ، محمد قطب الدين أحمد علاء الدين بن أبي محمد محمد شمس الدين ابن حميد الدين ، قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن ابن على النهر والى المكى الحنفي القادري الخرقاني ، أحسن الله خواتم أعماله ، وسدده في أقواله وأفعاله وأحواله ، وجعله من خدام أحاديث نبيه الكريم ، وحمله الأخبار المصطفوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، اعلم هداك الله تعالى إلى اتباع هدى نبيك صلى الله عليه وسلم ، ان اتصال السند بين راوى الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم ،معدود من أشرف الكرامة ، واعلى الرتبة ، لأنه يوصل الراوي بواسطة سنده ، إلى النبى صلى الله عليه وسلم ... وكنت في صغر سنى احضرني والدي المرحوم المقدم ، في دروس اكابر العلماء المحدثيين ، واستجازنى من الحاضرين والغائبين ، بالاستدعاء للاجازة منهم طلبا لعلو السند ، كما هو شأن طالبى علم الحديث ورحلت لطلب العلوم الشرعية والحديثية ، إلى مصر والشام وحلب ، وغيرها من بلاد العرب ، وهى مشحونة

بالعلماء ، العظام ، والمحدثين الكرام ، بعد ماخط عذاري ، وتنهدت أبكار أفكارى ، وحبوت بين يدى العلماء ، وباحثت أعظم الفضلاء ، وشملتنى بركاتهم .. فصرت الآن اعلى سنداً ، من جميع أهل عصرى ، ممن لم يدرك أولئك الكبراء الأعلام ، وتميزت بذلك ولله الحمد على هذا الاكرام ، وليس ذلك لعلو قدري ، وتوفقي على ذوي دهرى ، فاني من أحقر عباد الله تعالى واضعفهم وأهولهم فضيلة وافضالا ، وإنما ذلك لتقهقر الزمان ، وذهاب العلماء والأعيان وانقراض الاكابر والاقران .. احببت إحياء طريق سندي بقدر الامكان ، وكتبت بعض مشائخي .. الى سادة من عزهم اقدامهم فوق ج الجباه ان لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه . وقد اجتمع بي في سابع عشر من شهر رمضان المبارك ، احد شهور سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ، جماعة من حجاج بيت الله الحرام ، من بلاد التكرور تقبل الله حجهم وصيامهم . منهم الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن ، المذكور الجنوى ، وطلب مني رواية الحديث الشريف النبوي ، فاسمعته الحديث المسلسل بالأولية من لفظي .. جرت عادة علماء الحديث رضى الله عنهم ، أن يرووا هذا الحديث الشريف ، لطالب سند الحديث في أول مايلقونه إليه شيئا من الحديث الشريف النبوي ، ليكون هذا الحديث أول مايطرق سمع الطالب عن شيخه ، حدثنى به جمع كثير من المشايخ الأمجاد .. مولانا الشيخ زين الدين أبو الفضائل عبدالحق ، ابن مولانا شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن شرف الدين عبدالحق بن أحمد بن محمد بن عبدالعالى ، السنباطي ، المصري ، الشافعي .. وهو أول حديث سمعته من لفظه ، بالمسجد الشريف المكى ، أمام بابا الزيادة .. سنة إحدى وثلاثين) (1) وتسعمائة ، وتوفي بها في مستهل رمضان من السنة المذكورة .. قال اخبرنا به جمع من المشائخ الأجلاء ...

الاحاديث التي أجزته اياها سند الحديث المسلسل بالأولية ، الأول والثانى و

(1) - ثلاثين

الأحاديث العشارى - الحديث التساعي - والأربعون حديثاً كما أجزته سند صحيح البخاري ، وسند صحيح مسلم ، والسنن لأبي داود ، والجامع للترمذى ، والسنن الصغرى للنسائي والسنن الكبرى للنسائى أيضاً ، والسنن لأبي ماحة ، والموطأ للإمام مالك ،وجامع الأصول لابن الأثير ، وتيسيرالوصول للدنيع ، والترغيب والترهيب للمنذرى ،والشمائل النهرية للترمذى والشفاء للقاضى عياض .. الحمد لله اجزت .. الفاضل الحاج إبراهيم بن عبدالرحمن التكرورى الجنوى ، تقبل الله تعالى منه حجه ،ؤزيارته وعبادته ، أن يروى عني هذه الأحاديث ، وهذه الكتب بأسانيدها المذكورة ،وجميع مايجوز لي روايته ، واوصيه بتقوى الله تعالى ، وطاعته ، وعبادته ، وبأن يشركني في رعاية الصالح لنفسه بأن يختم الله لنا بالخير .. وأن يجعل آخر كلامنا لا اله إلا الله محمد رسول الله أخيك وأنا أفقر عباد الله تعالى قطب الدين علاء الدين المكى الحنفي القادري الخرقانى ، مفتى مكه المشرفة ، غفر الله له ، ولاسلافه ، ومشائخه ، وكافة المسلمين آمين (1)

من خلال نص الإجازة يتضح الآتي

1- الديباجة التي تكتب بها الإجازة

2- اسم مانح الاجازة والموجز له ، وبلديهما ، فالأول من الهند والثانى من افريقيا فيما وراء الصحراء (التكرور) .

3- التقاء صاحب الإجازة بعدد من حجاج بلاد التكرور بمكة

4- اهتمام والده به، بأن يحضره في دروس أكابر العلماء المحدثين ،وطلب له الإجازة من العلماء الحاضرين ، والغائبين ، ورحيله لمصر والشام بقصد طلب العلم .

(1) - محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن أبي محمد محمد شمس الدين بن حميد الدين قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي النهر اولى المكي الحنفي القادري الخرقاني يجيز إجازة في أسانيد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحاج ابراهيم بن عبدالرحمن التكروي الجنوي، منحت في الأرض المقدسة عام 988 هـ 1580م انظر الملحق ص

تواضع صاحب الإجازة بقوله وحبوت بين يدي العلماء .

6- كشف صاحب الإجازة عن نفسه ، بأنه من أكابر العلماء ، وأعلى سند في رواية الحديث ولكن بطريقة لبقة حين قال وليس ذلك لعلو قدري وتفوقي إلخ .

7- الإفصاح لنا عن أسماء شيوخه والعلوم التي درسها عليهم .

8- تخللت إجازته أبيات من الشعر يمدح بها العلماء .

9- أورد صاحب الاجازة الأحاديث والكتب ، التي اجازها للحاج إبراهيم التكروري

10- الأسلوب الأدبي الرفيع الذي كان يمتاز به صاحب الاجازة

11- في خاتمة الإجازة أورد المجيز اسم المجاز ، وهذا نموذج جديد في الإجازة يختلف عن سابقيه

12 - افصح المجيز عن منصبه العلمي، في آخر الإجازة بأنه مفتي مكة .

13- ختم الإجازة بالدعاء له ولتلميذه

14- الحج كان ملتقى لتدريس العلم .

15- رغبة أهل التكرور في النهل من ينابيع العلم أينما كانت

16- كتبت الإجازة بخط الرقعة .

العلوم التي كانت تدرس :

العلوم الشرعية :

ظلت العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة، مادتين أساسيتين ، في الحركة الفكرية الافريقية وأهم هذه العلوم هى :

العلوم الشرعية المعتمدة على النص :-

التفسير والحديث : ومن أبرزها كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والشفاء للقاضي عياض ، وألفية العراقي مع شرح مؤلفها .

يقول محمد بن أحمد بن الشيخ ،في إجازته لمحمد بن أحمد قائلا : « ... وقد أخبرت الأخ بن الشيخ ،بجميع صحيح البخاري إجازة (1)

وقد أورد أحمد بابا التنبكتي في إجازته لأحمد بن محمد المقرى مانصه واجزته أيضاً يروى عني كتاب الشفاء للقاضي عياض .. صحيح مسلم ..(2) واورد أحمد بابا في إجازة قوله .. بغيغ أخذ عن ابن سعيد الحديث قرأ عليه الموطأ ، وقرأت عليه ألفية العراقي في علم الحديث مع شرحها (3)

الفقه :

عرفت منارات العلم والعبادة ، في هذه الفترة من تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء إنتشار كتب الفقه المالكي ، المعروفة في المغرب الأقصى ، وباقي العالم الإسلامي، وهي :مختصر خليل ، وجامع المعيار ، وتحفة الحكام ، ومختصر الفروع ، والمدونة ، والرسالة ، وكتاب موطأ مالك (4)

وقد أفاد أحمد بابا ،أنه درس على أستاذه بغيغ قائلا .. قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعى ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه ، أما خليل فمراراً عديدة .. وحضرته كثيراً في المنتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثاً .. وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملاً .. وكثيراً من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام ، مع شرح ولده عليها (5)

---

(1) - محمد بن أحمد بن الشيخ، إجازة في صحيح البخاري لأحمد بن أحمد ، مخطوط ورقتين.

(2) - أحمد بن محمد المقري روضة الاس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ط المصدر السابق ص 306 312.

(3) - ابو العباس سيدي أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج. أشرف وتقديم عبدالحميد العرامة ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية بدون ، دار نشر 1989 ص 587.

(4) - عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ، ص93.

(5) - أحمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق ، ص602.

ومن الكتب الصوفية التي كانت متداولة في المنطقة ، كتاب المدخل والنصيحة الكافية وابن زكر وقواعد زروق والحكم وشروحه وغيرها (1)

المواد العقلية :

ابرزها علم الكلام والمنطق والفلك .

وكانت أهم كتبه صغرى السنوسي (2) والجزيرية ، ويورد أحمد بابا في نيل الإبتهاج قوله ... وحضرت عليه .. صغرى السنوسي مع شرح الجزيرية ، وحضرت عليه الكبرى وشرحها (3)

وفيما يخص علم المنطق فقد كانت مؤلفات المغيلي أبرزها ، على المساحة الافريقية ، إذ درست بعضا من كتبه وخاصة رجز المغيلي ، الذي أطلق عليه منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب . وقد جرى مع المغيلي مناقشات حول هذا العلم مع العالم جلال الدين السيوطي ،إنتهت بإعتراف الأخير بهذا العلم (4)

وقد تصدى لشرح رجز المغيلي ، العالمان أحمد بابا التنبكتي ،ومحمد بن محمود بن عمر بن محمد اقيت (5)

أما علم الفلك فقد إهتم به السودانيون ، وكان من بين العلوم التي كانت تدرس ، فقد درسوا كتبه المشهورة ، ومنها الهاشمية في التنجيم (6) ومقدمة الشيخ عبدالرحمن التاجوري (7) وتأليف مكتوب في شهور السنة على

---

(1) - ابوبكر بن أحمد مصطفى المحجوبي ، منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف ورقة 164.

(2) - محمد محمد المفتي (مرحبا) التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 17.

(3) - أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص602.

(4) - محمد بن عبدالكريم المغيلي ، مصباح الارواح ، في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح بونار ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1968 ص 12 - 15 ، وأحمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق ص 576 .

(5) - أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص 370 - 373.

(6) - محمد محمد (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ورقة 17.

JOSEPH CUOP ; OP CIT P 211

(7) - أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 38.

حساب العجم لأبى العباس أحمد بن البناء الازدى المراكشى (1) من هنا ندرك ان علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ،حاولوا احداث توازن بين العلوم العقلية والعلوم النصية وهم من المحظوظين لأنهم لم يشهدوا الصراع بين النصي والعقلي ، لأنهم عرفوا الفكر الإسلامي ، في حوالي القرن السادس عشر الميلادي ، حيث كان الصراع قد حسم في مسائل الفكر .

العلوم اللغوية والأدبية :

العلوم اللغوية النحو والبلاغة :ـ

تعريف اللغة :- عرف احمد بن عمر اقيت (888هـ 965 / 1451-1538م اللغة بأنها عبارة عن ضبط المفردات على ماتكلمت به العرب ، وشرح معانيها ، وموضوع هذا العلم ، الكلمات العربية ، لأنه يبحث فيها عن حركاتها الإعرابية والبنائية ، وفائدته الاحتراز عن الخطأ في اللسان والاستفهام لمعانى كتاب الله تعـــــالى ، والسنة ، ومسائل الفقه ، ومخاطبة العرب بعضهم بعضا (2)

برز علم النحو ، والبلاغة ، من بين العلوم المهمة التي كانت تدرس في منابر العلم افريقيا فيما وراء الصحراء ، ومن الكتب التى كانت تدرس نجد تسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد لابن مالك ، وشرح الكافية الشافية ، في علم النحو وشرحاً عن لامية الأفعال ، وكتاب الأصول لابن السراج ، والخزرجية ، وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة (3)

---

(1) - أبو العباس أحمد بن البناء الازدي المراكش ، مكتوب في شهور السنة على حساب العجم للسنة مخطوط مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 1120 (ت1113 هـ/1701م ،

(2) - محمد بن عمر اقيت ، «حاشية القيومية ،على شرح الأجرومية» مخطوط الخزانة الحسنية رقم 7536 ، ورقة 5.

(3) - محمد محمد (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ورقة 17 ، واحمد باب ، نيل الابتهاج المصدر السابق ، ص 578 ومحمد بن عبدالكريم المغيلي ، مصباح الارواح ، المصدر السابق ، ص 21-22.

لقد برع علماء أجلاء، في هذا العلم من أبناء افريقيا فيما وراء الصحراء ، من أمثال أحمد بن عمر بن محمد اقيت الذي قال فيه صاحب السعادة الأبدية : كان فقيهاً لغوياً نحوياً عروضياً محصلاً (1)

وقد كانت هناك إجازات في علم النحو ،افريقيا فيما وراء الصحراء وهذه إجازة لمؤلف مجهول ، بعنوان مكتوب في لفظ الضاد ، تتناول جوانب في علم النحو هي مبتورة نورد جزءاً منها على سبيل المثال نص الاجازة واجازة شيخنا العالم محمد الأمين بن محمد المصطفى الشريف رحمه الله وهو ثقة مأمون .. قراءة منه عليه وسماعاً عن شيخه السيد أحمد السوقي ..(2)

كما ألف عدد من علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، في علم النحو ، وشرحوا لغيرهم ، ومن أمثال هؤلاء أبو عبدالله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي (1014هـ/ 1595م) ،والذي كان له تأليف أطلق عليه المنح الحميد في شرح الفريد ،وهو شرح لألفية السيوطي في النحو (3) وسيرد ذكره بالتفصيل في الإنتاج الفكرى الإفريقي ،من هنا ندرك اهتمام علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ، بعلم النحو فهو يمثل اهمية دينية خاصة لأنه من أعلى العلوم مرتبة ، وأغزرها منفعة ، ولذلك درسوه ودرسوه وتبحروا فيه .

تطور الإبداع الفكري الافريقي

لقد ارتبط الإنتاج الفكري الإفريقي ،بتمكن أبنائه من اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية ،فأصبحوا مبدعين في تأليف مختلف الفنون الإسلامية ،

---

(1) – أحمد بابير الارواني السعادة الابدية مخطوط ورقة 27.

(2) – مجهول ، مكتوب في لفظ الضاد ، مخطوط مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 2304 ،

(3 – ابو عبدالله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي ، المنح الفريد في شرح الفريدة شرح لألفية جلال الدين السيوطي مخطوط.

سواء أكانت تعتمد النص أم العقل ، وبذلك فقد ترتب الإزهار العلمى التطور الدينى الذي شهده افريقيا فيما وراء الصحراء ، خلال العصر الوسيط . إن انتشار الثقافة العربية الإسلامية في افريقيا ، واكبها انتشار الدين الإسلامي ، الأمر الذي جعل المجتمع الإفريقي ، يتشابه كثيراً مع باقي المجتمعات عامة ، والشمال الافريقي خاصة لتشابه ظروف التطور .

لقد احتفظت كثير من بيوت أبناء مالي ، وموريتانيا ، والنيجر بعدد من المخطوطات الافريقية ، التي لم يصل إليها عبث الايدى ، التي لاتعرف قيمتها ، وقد عثرت على جزء كبير منها في بيوت أهالي تنبكت ، وجاو ، وجنى ، وكندم ، واقدز ، وطاوه وكني وغيرها من مناطق افريقيا فيما وراء الصحراء ، بما فيها الجواهر الحسان في أخبار السودان ، والذي ذكره محمود كعت وينسبه الإمام محمد مرحبا إليه .

وأمام هذا التراكم الفكري المبدع ، لعلماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ، يمكن ان نقسم مؤلفاتهم إلى عدة فروع هي

1 ـ الفقه :

علق العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت ، بن عمر بن علي بن يحيي ، على موضع خليل وعلى شرحه للتناى بين فيه مواضع السهو منه (1)

كما كان للعالم محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي الذي عرف ببغيغ والمولود عام 930هـ / 1523م تعاليق وطرر ، أوضح فيها قصور شرح خليل وغيره ، وتتبع شرح العالم التنائى الكبير ، وله فتاوى بخصوص الأفطار في شهر رمضان (2)

(1) – أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 27 ، وأحمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 141.

(2) – محمد محمود بغيغ ، فتوى بخصوص الافطار في شهر رمضان ، مركز أحمد بابا التنبكتي ، رقم 1006 ، ورقة واحدة.

وقد ألف صالح بن محمد اندغ عمر شرحاً لمختصر خليل (1) ولمحمد بن أحمد بن أبي محمد النازخني ، والذي عاش مابين (874-936هـ / 1470-1529م) اي أن عمره تسع وخمسون سنة شرحاً لنفس المؤلف (2) كما ألف الفقيه محمود بن عمر بن محمد اقيت (868-955هـ) (146-1547م) نفس الشرح على خليل (1) كما ألف في هذا المضمار كذلك الفقيه طالبن بن القاضي السيد الوافي بن طالبن (ت 1180هـ1766م) تأليفاً ، أطلق عليه فتح الرب اللطيف ، في تخريج بعض مافي المختصر من الضعيف والوزان في نوازل اروان (3)

إضافة إلى العلماء السابقين ، الذين ألفوا في الفقه ،كان هناك العالم العاقب بن عبدالله الانصمنى وله شرح قول خليل : وخصصت نية الحالف وهو أراد به توضيح اللبس في كلام خليل ،في الجزئية الخاصة بالطلاق ، هل يصلح بالنية أم اللفظ ؟ كما يوجد لديه تأليف وجوب الجمعة ، والجواب المحدود عن أسئلة العالم القاضي محمود

كما ألف في الفقه العلامة أحمد بابا التنبكتى، عدة تآليف منها

- تنبيه الواقف
- درر الوشاح في فوائد النكاح
- ترتيب جامع المعيار للونشريسي
- تعليق على مواضيع من ابن الحاجب
- والزند الورى في مسألة تخيير المشترى
- اللمغ في الإشارة إلى حكم التبغ
- معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود (4)

---

(1) - عبدالرحمن السعدي المصدر السابق ، ص36.

(2) - موسى بن أحمد السعدي مخطوط ورقة 166.

(3) - موسي بنامداسعد، مخطوط ورقة 167.

(4) - عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 40.

كما ألف في هذا المضمار ، الفقيه محمد بن محمد بن الحسن التنبكتي كتاباً ، في الإمامة ، والمعاملات اليومية ، يقع في مائة وست ورقات ، وهو من أبناء القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، نورد مقتطفات منه .. أما بعد فيقول المضطر لرحمة ربه وعفوه محمد بن محمد بن الحسن ، لما رأيت قصور باع أهل العلم عن فهمه وعدم احتشامهم بالجهل .. ان أضع لهم كتاباً جامعاً ابتداته بما عمت به البلوى في هذا الزمان من ادعاء الإمامة ، وتحليل ما لايحل كتاباً وسنة وإجماعاً .. وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الاحكام الشرعية ، فإن كانت الأرض سائبة كما في تنبكت وما حولها ، أو في حكم السائبة ..(1)

كذلك ألف عبد ربه طالب بن الوافي بن طالبن بن محمد بن أحمد بن آد (ت 1180هـ/ 1766م) كتاباً ، أطلق عليه أسئلة فقهية في عدة مسائل منها الطلاق ونحوه (2) وقد وردت اسئلة فقهية على طالبن بن آد ، وكان يجيب عنها ، وهذه فقرات منها .. فقد تصفحت سؤالك ، وفهمت خطابك ، أدام الله توفيقك ، وارشد إلى كل صالحة طريقك ... إن القوم الذين وصفت احوالهم ، فهم مشركون بلا إشراك ،لأن التكفير يكون بأمر من أمور ثلاثة : الأول مايكون نفس اعتقاده كفراً كانكار الصانع ، أو صفة من صفاته ، التي لايكون صانعاً إلا بها ، أو حجة النبوة ..(3)

كما كانت لعبيد الله يوسف بن ابراهيم بن عمر الأيسى ، أسئلة في مسألة الرق ، وجهها إلى أحمد بابا التنبكتي نقتطف فقرات منها .. يقول كاتبه عبيد الله يوسف ابن إبراهيم بن عمر الأيسى ،سألت سيدي احمد بابا بن الحاج

(1) – محمد بن محمد بن الحسن التنبكتي ، كتاب في الامامة والمعاملات اليومية مخطوط مكتبة عادل الارواني بتنبكت نيف ورقة 1–23–24 صاحبه من ابناء القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي .

(2) – عبيد ربه طالبن بن الوافي بن آد ، اسئلة فقهية مركز أبحاث ر النيجر قم 100 ، ورقة 1 ، (ت1180–1766م).

(3) – مجهول ، سؤال من أحد علماء السودان الغربي موجها إلى طالبن بن سيدي الوافي بن محمد بن أحمد بن آد بخصوص بعض الممارسات المشينة مخطوط مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 650 ، ورقة 1.

أحمد بن الحاج أحمد ، عن كلام فقهاء مشاركين نفعنا الله ببركتهم مشافهة اذا اردت شراء المملوك من السوق ، ذكرا أو أنثى فنجده مولوداً عربي اللسان ، أو بربري اللسان ، وهل يجب على بحثه في أمه من لعلمها (أين) هي من السودان ، لئلا تكون ممن لايجوز استرقاقها . .فقال لي حفظه الله اشتر ماظهر لك ، ودع عنك ماخفى عليك بهذه الألفاظ . .(1)

وسألت في موضع آخر ، في فتوى بيع الكتب فأجاب مانصه (وسئل عمن مات وخلف كتباً هل يجبر ورثته علىٰ بيعها ، ان لم يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أم لا ؟ فأجاب لايجبرون على ذلك ، (وسئل في موضع آخر عن بيع الحطب ، بأن الحطابين يضعون حزيمة صغيرة مع الحطب المراد بيعه ، في مؤخرة الجمل ، هل تصح للمشترى أم للبائع ؟ ، فأجاب على البائع ان يعزلها عن الحطب قبل بيعه (2)

كما كان لعلماء افريقيا فيما وراء الصحراء ،فتاوي في عدة مسائل ، وهذه فتوى في صحة صلاة الجمعة ،في منطقة أبو جبيهه ، لمؤلف مجهول ، نورد منها هذه الفقرات :« الحمد لله ،الذي يحكم بالحق قطعا ، ويجزى كل نفس بما تسعي وإليه الميعاد . .بلغنا حكم زين من الكذب قال أن الجمعة فرض على أهل بوجبيهه فليس كاذباً ورأينا من نصوص صحاح وشراح صحاح على الجمعة ماتجب عليهم إذ قال دردير إن الجمعة لاتصح إلا بأثنى عشر رجلا . . . » (3)

المدائح :

ألف علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ،قصائد في مدح رسول الله صلى الله

---

(1) – عبيد الله يوسف بن ابراهيم بن عمر الأيسى، يسأل أحمد بابا التنبكتي ، مخطوطو مكتبة الطاهر العلوي بمدينة جاو بدون تصنيف، ورقتان.

(2)– نفسه والورقة.

(3) – مجهول ، فتوى في صلاة الجمعة في أبو جبيهة ، مخطوط مركز الشيخ المختار الكنتي بجاو بدون تصنيف ورقة 1 انظر الملحق ص 736.

عليه وسلم .

قصيدة لمحمد بن عبدالهادي (1)

- شرحاً لخمسات العشرينيات الفازازية لأحمد اقيت .

- كما ألف أحمد بابا عدة تأليفات في هذا المضمار وهى :

- الدر النظير في ألفاظ الصلاة على البشير النذير .

- خمائل الزهر في كيفية الصلاة على سيد البشر .

- نشر العبير بمعاني اية الصلاة على البشير النذير (2)

أما في مجال السياسية الشرعية فقد ألف العاقب الانصمنى السوقي للاسكيا الحاج محمد : أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير (3)

النحـــــو :

اهتم علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، بعلم النحو فقد ألفوا وشرحوا لغيرهم مؤلفاتهم في النحو .

ألف أحمد بابا التنبكتي مؤلفات عدة ، في النحو ، في مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ ، وشرح الألفية (4) وهذه إجازة في النحو صاحبها مجهول (افريقي) بعنوان مكتوب في لفظ الضاد) ، يتناول جوانب في النحو ، يذكر فيها مجموعة من العلماء أخذ عنهم من بينهم أحمد السوقي (5) ومعنى هذا أنه من أبناء القرن العاشر الهجرى ، الخامس عشر الميلادي ، وهذه الإجازة مبتورة .

ومن مؤلفات افريقيا في علم النحو ، مؤلف أبي عبدالله أحمد بابا بن الأمين

(1- محمد بن عبدالهادي ، قصيدة في مدح الرسول ، مخطوط مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 1260 ، ورقة واحدة تاريخها القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي والهادي المبروك الدالي من روائع ادب افريقيا فيما وراء الصحراء ، المرجع السابق ، ص64.

(2) - المقري ، روضة الأس ، المصدر السابق ، ص305.

(3) - مجهول ، تراجم علماء باغرام ، مخطوط ورقة 7 ، وأحمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق ، ص 353.

(4) - المقري ، روضة الأسس ، المصدر السابق ، ص 303.

(5) - مجهول ، مكتوب في لفظ الضاد ، مخطوط ، ورقة 1.

المختارالتنبكتى « المنح الحميدة في شرح الفريدة» وهو شرح لألفية السيوطى في النحو وصاحب الشرح توفي صبح الخميس لخمس بقين من شعبان عام أربعة عشر بعد الألف 1014هـ / 1595م ونقتطف شذرات من المنح الحميد في شرح الفريد ونصها ،، قال الشيخ الفقيه النحوى أبو عبدالله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتى .. فقد استخرت الله تعالى في وضع شرح عزيز ، وتعليق وجيز ،على الألفية الفريدة ، وإن كان ناظمها لجلال الدين السيوطى ، شرحها بالمطالع السعيدة ، لكن تحتاج إلى تقريروتحرير ، وإيضاح وتحبير ففتح الله لي في هذا الشرح العجيب ، والمؤلف الغريب ، فجئت به على طريق المزج ، فكان لاجتناء الفوائد واقتطاف الفرائد ، كالمرج وسميته بالمنح الحميدة في شرح الفريدة (وجاء بتعريف لجلال الدين السيوطى) وقال كثرت تصانيفه ، وانتشرت في الآفاق ، من بلاد الشام ، والروم ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور، وذلك في حياته وبلغت مؤلفاته أربع مائة .. وقعت بينه وبين الشيخ أبو عبدالكريم المغيلى ، مكاتبة عظيمة في أمر المنطق .. ولما دخل مصر أمير المؤمنين أسكى الحاج محمد قاصداً الحج ، اجتمع معه ولازمه ، وسأله عن أشياء فيما الأحاديث المتفقة في فضل السلطنة ، ذكر في أوله أنه جعلنى تحفة للمسلمين المالكين ، الصالح العادل المجاهد المرابط القائم بالحق ، الناطق بالصدق ، وملك التكرور أسكى نصره الله ونصر به الدين ،وقطع بسيفه رقاب الملحدين ، ونشر به لواء العدل في العالمين .. ثم جاءه بمال عظيم من الذهب ، فأبى واعتذر بأنه لم يثبت في ملكه قط ثلاثة مثاقيل ثلث مثقال .. وأخبر جلال الدين السيوطى السلطان أنه مقتول في الوقت الفلاني (1) يقصد بذلك الحاج محمد .

على الرغم من أننا ندرس في الإنتاج الفكري الإفريقي ، إلا أننى لا أريد أن

(1) - أبو عبدالله أحمد بابا الامين المختار التنبكتي (ت1014/1595م)«المنح الحميدة في شرح الفريدة» وهو شرح لألفية السيوطى فى النحو مخطوط ، ورقة 1.

نمضي على هذا التأليف دون أن نستفيد مما تعرض له ، وعليه فإننا نستخلص مما تم عرضه عدة جوانب هي :

1- الديباجة التي يكتب بها علماء افريقيا فيما وراء الصحراء مولفاتهم .

2- استفادة علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، من علماء المشرق وحدوث تأثير وتأثر

3- عبقرية علماء افريقيا ،وثقتهم في أنفسهم، فصاحبنا يتكلم بكل ثقة ، وهو يقول : يحتاج هذا المؤلف إلى تقرير وتحرير وإيضاح وتحبير

4- المنهجية المستقلة والمبدعة لصاحب الشرح حينما قال : جئت به على طريق المزج فكان لاجتناء الفوائد .

5- عندما يقدم علماء افريقيا على أي عمل ، يصلون صلاة الإستخارة وهذا يدل على قوة الإيمان

6- حرص علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ، على تعلم العلم بما فيه علم النحو ، والتبحر فيه ، وتطويره ، وشرحه الشرح المستفيض حتى يسهل على القارئ الإفريقي فهمه .

7- المناخ العلمي الذي كان عليه إفريقيا فيما وراء الصحراء ،والذي كشف عنه الإنتاج الفكري الإفريقي .

8- كشف المناظرة التي حدثت بين العالمين ، جلال الدين السيوطي ، ومحمد بن عبدالكريم المغيلي، حول علم المنطق كما تبين كذلك تأثر علماء المشرق بعلماء المغرب .

9- افادتنا المخطوطة بمعلومات عن أسكيا الحاج محمد بأنه ملك التكرور ، وأنه كان حازماً ، قطع دابر كل خصومه .

10- رحلة سلطان اسكيا الحاج محمد للحج والتقاؤه بجلال الدين السيطوى ، والاستفادة منه وعرض الاسكيا أموالاً على السيوطى

11- هيمنة الأمور الغيبية على أهالي وملوك إفريقيا فيما وراء الصحراء وتصديقهم لها بقول : السيوطى لاسكيا ، بأنه مقتول في الوقت الفلاني .

ومن علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، الذين ألفوا في هذا العلم العالم محمد بن عمر بن محمد اقيت فقد ألف شرحاً على الأجرومية ، لمحمد بن محمد بن أجروم وضم هذا الشرح جوانب مختلفة ، منها اللفظ وتركيبه ، والإعراب وأقسامه ، والأسماء الخمسة وغيره من المواضيع (1)

المنطق :

أبدع جزء من علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، في علم المنطق ووضعوا له شروحاً ،ويتصدر قائمة الشارحين لهذا العلم ، الفقيه محمد بن محمود بن عمر أقيت ، الذي شرح رجز المغيلي (2) ثم أحمد بن أحمد اقيت وشرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، للمغيلي ، بشرح أطلق عليه مناخ الأحباب من منح الوهاب (3)

إضافة إلى ذلك كان للفقيه أبو العباس سيدى أحمد بن الحاج الأمين الغلاوى (ت 1157هـ/ 1744م) تأليف في المنطق بالجيم أجاد فيه (4) .

كما علق أحمد بن أحمد اقيت تعليقاً على صغرى السنوسي ، كذلك لابن أحمد بابا رسائل كلامية منها تنوير القلوب بتفكير الأعمال الصالحات للذنوب وشرح الصغرى السنوسي وشرح العقيدة البرهانية للسلاجي والمطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب (5)

---

(1) – محمد بن عمر اقيت ، حاشية القيومية على الاجرومية ، مخطوط ، والمقري ، روضة الأسى المصدر السابق ، ص304.

(2) – أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص141.

(3) – نفسه والصفحة.

(4)- عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 46.

(5) – المقري روضة الاس ، المصدر السابق ، ص 304-305.

التصـــوف :

خاض عدد من علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ، في هذا العلم فمنهم أحمد بابا الذي ألف في هذا الجانب رسائل ، أطلق عليها فتح الجيب وفتح الرزاق (1)

وكذلك لعمه أبي بكر بن أحمد اقيت التنبكتي (م 932 / ت 991) (1525-1583) تأليف في التصوف سماه معين الضعفاء في القناعة (2)

وهذه رسالة أخرى في التصوف تلقي الضوء على هذا النوع من الإبداع تقول : « الشيخ الصالح الزاهد القطب ابي مدين شعيب الغوث ، المولاية ، نفعنا الله بهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد ، عدد ماذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، بتاريخ أوائل صفر عام ثمانية وثمانين وألف (1088 هـ/ 1677م) على يد كاتبه العبد الحقير ، الفقير بقلة عمله ، ورجاء عفو ربه ، عبيد الله تعالى عبدالكريم بن الصالح بن أب محمد بن أحمد السوقي ، كتبه لخيار ابن ادريس ، وكل من نظر فيه أن يدعو لنا ولجميع المسلمين ، الخاتمة بجاه محمد وآله أجمعين (3) .

الأدب (التراجم والتاريخ - الشعر)

أدب التراجم والتاريخ :-

اهتم عدد من علماء افريقيا بهذا الفن ، وانتجوا فيه مؤلفات ، وخصوصاً التراجم المالكية والسنوسية وتصدر هؤلاء العلماء العلامة أحمد بابا التنبكتي، الذي ألف في هذا المجال عدة مؤلفات منها :

---

(1) - محمد محمد المفتي (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ورقة 90.

(2) - أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص151.

(3) - عبيد الله عبدالكريم بن الصالح بن أب محمد بن أحمد السوقي ،الزهد ، مخطوط ، مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 710 ورقة واحدة.

أ- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، الذي ترجم فيه إلى ثماني مائة واثنين (1) عالم .

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، وهو مختصر لنيل الابتهاج (2)

اللآلي السندسية في الفضائل السنوسية (3)

كما قام العالم عمر بن عبدالرحمن التواتي ، بترجمة لأشياخه الذين قابلهم ودرس عليهم العلم (4)

التاريخ :

أورد عبدالرحمن السعدي (1005هـ 1596م) أن التاريخ الإفريقي لم يكن مكتوباً قبله ، بل كان عبارة عن قصص ، يرويها الناس في مجالسهم وأسمارهم، وتتضمن حياة الرؤساء مع أنبائهم ،ووفياتهم ، وأخبارعن سير الصحابة والصالحين ، إلا أن تلك الاخبار إنتهت ولم تعد الأجيال التي جاءت بعدهم تعيرها أي اهتمام بل إنشغلت في نقل الأخبار الرديئة والاهتمام بالأخبار التافهة ، التي لاتفيدهم في شئ (5) .

– لماذا جاء عبدالرحمن السعدي بهذه المعلومات ، حول عدم وجود تاريخ مكتوب لأهل إفريقيا فيما وراء الصحراء قبله ؟.

في الحقيقة كانت هناك كتب للتاريخ ، قبل عبدالرحمن السعدى مثل ماكتبه بابا كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين ، بعنوان درر الحسان في أخبار بعض

---

(1) – أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، المصدر السابق.

(2) – احمد بابا كفاية المحتاج لمعرف من ليس في الديباج ، حققه وقدم له أحمد مطيع ، رسالة دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس.

(3) – أحمد بابا ، «الالى السندسية في الفضائل السنوسية ، مخطوط الخزانة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم 984 د (108م1326ب).

(4) – عبدالرحمن بن عمر التواتي فهرسة لاشياخه مخطوط .

(5) – عبدالرحمن السعدي ، تاريخ السودان ، المصدر السابق ، ص1-2.

ملوك السودان (1) والذي استفاد منه محمود كعت في تاريخ الفتاش ، ولد عام 955هـ / 1548م أي قبل مولد عبدالرحمن السعدي بثمانية وأربعين سنة . والجدير بالملاحظة أن الدرر الحسان نسبه الإمام مرحبا لنفسه (2) كذلك كان هناك علماء ليبيون ، لهم أثر في افريقيا فيما وراء الصحراء ، منذ زمن إمبراطورية غانه الوثنية دونها لهم (الشماخى صاحب كتاب السير (3) ،فلو لم تكن مدونة لما استطاع الشماخي معرفتها ، فالرواية الشفوية لاتكفي لوحدها في نقل المعلومات .

إذن نعتقد ان ماذهب إليه عبدالرحمن السعدى ليس بعين الصواب .

تاريخ الفتاش في أخبار البلدان ، والجيوش ، وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور ، وتفريق أنساب العبيد عن الأحرار لمحمود كعت (د1548ت 1593م) (4) ،إذ لم يعمر إلا خمساً وأربعين سنة كما أن لأحمد بابا تأليفا في التاريخ أطلق عليه درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك وغيره(5)

ومن كتب التاريخ ،تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمجهول ، لانعرف شيئا عن اسمه وحياته ،إلا بإشارة إلى عمه سعيد بن محمد مودي ، وجده محمد بن الأمين ، إذن فهو من عائلة مودى – إلا أنه فرغ من تأليفه في 19

---

(1)- محمود كعت ، المصدر السابق ، ص44.

(2)محمد محمد المفتي (مرحبا) ، عالم من علماء ونيجريا له عدة مؤلفات منها جواهر الحسان في اخبار السودان وغيرها من المؤلفات.

(3) – التماخي وكتابه السير ، عالم من علماء جبل نفوسه بليبيا ، مازالت اسرته تقطن بمدينة يفرن.

(4)- محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، وهو من الكتب المهمة في تاريخ المنطقة حققه هوداس وقسمه إلى ستة عشر فصلاً مسترشداً فى ذلك بالفراصل التاريخية الهامة اخبرني الدكتور محمود زبير سفير جمهورية مالي في السعودية ودول الخليج العربى أنه عثر على نسخة أخرى من المخطوط فيها اضافات جديدة واقدم من التي حققها هوداس.

(5) - MOHAMED A . ZOUBER ; AHMAD BABA DA TOMBOURTOU 1556-1627 SA VIE ET SON OUEVRE ; MAISONNEUVE ET LAROSE ; PARIS 1977 P 10.

يوليه عام 1751م ويورد الكتاب أخبار باشوات افريقيا ومآثرهم ، وحروبهم ، وصراعاتهم مع القادة المغاربة ، أو مع رجال القبائل من 1591 -1750م (1) من هنا ندرك أن البيئة الافريقية ،شهدت نهضة علمية برهن عليها علماؤها ومؤلفاتهم ، ومراكزها الحضارية ، ولكن نتساءل حول هذا الكم الابداعى الفكري وهل كان موجهاً إلى البيئة الافريقية فقط ، أم له أهداف أخرى ؟

الشعر :

شهدت البيئة الافريقية ازدهاراً في مجال (الشعر) وقد تنوعت أغراضه ومقاصده ، إلا أنه طغى عليه لونان هما المدح والرثاء .

المدح :

قصيدة في مدح أهل السوق ،للشيخ المختار بن القاضي اندغ محمد يمدح فيها السوقيين ، عدد ابياتها أربعة وأربعون بيتاً . توفي الشيخ المختار عام 929هـ /1522م.وإليك بعض الأبيات من القصيدة

جزى الله أهل السوق عنا بخيره فما حسدوا فضلا ومانطقوا هجراً

فإنهم ذاقوا عسيلة علمهم فاورثهم فضلا واعقبهم ذخراً

يضمون علم الغير عفواً لعلمهم ففازوا بقصب السبق واستحدثوا فخراً

البيت الأخير في القصيدة

عليكم سلام الله ماذر شارق ومامن مشتاق بحاجته ورا (2)

عرفت مدينة السوق التي سبق تعريفها بازدهارها العلمي ، وظهر فيها علماء اجلاء ، أدوا دوراً في النهضة العلمية افريقيا فيما وراء الصحراء من أمثال العالم محمد أحمد بن أحمد بن الشيخ السوقى ، المتوفي مابين عامى

---

(1) - مجهول ، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان ، مخطوط ورقة 5.

(2)- المختار بن القاضي اندغ محمد قصيدة يمدح فيها السوقيين ، مخطوط مكتبة عادل الاروائي بدون تسنيف انظر الملحق 739.

1107-1108هـ 1695-1696م (1)

وهذه قصيدة أخرى في المدح ، للفقيه المختار بن ايداه ، قالها في حق أحمد بابا التنبكتى ، عند سفره الى مدينة مراكش ، والشاعر من أصدقاء أحمد بابا ، والقصيدة تحتوى على واحد وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :

حسبى من ال الشيخ بابا أحمد الطيب المحبب المحمد

الفاضل المبـارك المـــــود الطاهر الحلاحل الزبد جد (2)

الماجد السميدع (3) المجد بشمس الضحى المبجل المنفرد

ياببابا جد ان أباك مرشـــــــد كن جلداً إن أباك جلد

كن مسعداً إن أباك مـــسعد كن أسداً إن أباك اسد

كن مفرداً إن أباك مفـــــــرد إن أباك مثله لايوجد

آخر القصيدة :

وحاجتى رضاكما والرشد ثم الشفاء العاجل المسرمد (4) (5)

قيلت هذه القصيدة عند خروج آل أقيت ، من مدينة تنبكت ، وفي مقدمتهم أحمد بابا التنبكتى وقدومهم إلى المغرب ، ونزولهم بمدينة مراكش ، وبمجيئهم تركوا فراغاً علمياً في تنبكت تأثر منه عامة تنبكت وخاصتها .

وهذه القصيدة التي أوردتها نموذجا من عشرات من القصائد التي قيلت في حق أحمد بابا ، الذي كان بحق يمثل نجماً علمياً في المنطقة

---

(1)- البرتلي ، المصدر السابق ، ص139-140 ، للمزيد في دراسة أدب افريقيا فيما وراء الصحراء انظر الهادي المبروك الدالي ، من روائع أدب افريقيا فيما وراء الصحراء.

(2)- الحلال / السيد الشريف والزبدجد ، جوهر معروف.

(3)- السميدع / السيد الكريم.

(4) - المسرمد / الدائم

(5) المختار بن ايداه ، قصيدة في حق أحمد بابا التنبكتي عند سفره إلى مدينة مراكش . مخطوط مكتبة عادل الارواني بتنبكت ، بدون تصنيف ، ورقة 1-3 ، انظر الملحق ص 744.

لعبت الطرق الصوفية دوراً بارزاً في نشر الاسلام افريقيا فيما وراء الصحراء ، وفي مقدمتها الطريقة القادرية التي وصلت إلى المنطقة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، وقد كان لها مريدون، وخاصة في تنبكت وتوات ، وقد غالي عدد من مريديها في مدحها ،ونظمت فيها قصائد ثناء وإكبار ،نورد فقرات من قصيدة للعالم مود سالم سوار ، وهو من علماء التكرور ، كان مولده عام 803 هـ 1400م ، بمدينة تنبكت تربى في حجر أخواله ، من عائلة تراوري ، وتعلم العلم في الحابر وكان من معتنقى الطريقة القادرية ، توفي عام 907هـ / 1501م (1) والقصيدة .

سعد لنا قطب الوجود إمامنا	هو شيخنا وحبيبنا الجيلانى
سعد لنا وبه استجرنا وكلنا	وبه توسلت الى الرحمن
هو غوثنا ومغيثنا في هولنا	ويعودنا حق الى الرحمن
ياشيخنا ياشيخنا ياشيخنا	ياسيدي المعروف بالجيلانى
فلقد ظمأت بشرب كأس مذع	من نورك المنشور في البلدان

إلى أن قال

وبه شهدت عجائب وغرائب	في كل مايأتى مع الأزمان (2)

وهذه قصيدة في الرثاء انشدها الشاعر (سيرن سعد لب) ،يرثى فيها الحاج (سالم كسم) ،وشاعرنا من أبناء القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى تحتوى قصيدته على خمسين بيتاً ، هي من البحر الوافر مطلعها .

سأحمد ربنا حمداً وشكراً	على نعم عدت عدا وحصرا
أصلى بالسلام على نبي	هوت لظهوره الأصنام طرا

(1)- مجهول ، تذكرة النسيان ، مخطوط ورقة 5 ، ومجهول ،البستان على تواريخ اروان مخطوط ورقة 12.

(2)- سالم سوار التكروري ، قصيدة في مدح عبدالقادر الجيلاني مخطوط ، مكتبة محمود ودب بتنبكت ، بدون تصنيف ورقة واحدة انظر الملحق ص 750.

إلى أن قال

وبعد فإني رأت وداع　　　لشيخ نابه ذكراً وقدراً

وكم من بليد أتاه طلاب علم　　　وجاز مخاوف برا وبحراً

له عمر على التسعين عاماً　　　ولم ينقصه ضعف الجسم براً (1)

وهذه قصيدة أخرى في الرثاء للشيخ سيدي يحيى التادلي (2) يرثي فيها الفقيه محمود بن محمد الكابرى ، وهي من البحر الطويل مطلعها يقول

تذكر ففي التذكار جل الفوائد　　　وفي طيه ورد على خير وارد

الم تر سفر الحث بالفضل خصصوا　　　وسفر ذوي الأفكار أحظى بزائد

تفئ لب المــــرء طيبة الصـــــبا　　　فيلحق فتياناً ويقوي لساعد

إلى ان قال :

وصلى إله العرش ربي بمنه　　　على خير مبعوث وأفضل شاهد

محمد المختار للختم رحمة　　　بتتميم اخلاق كرام المعاهد

أعلام افريقيا فيما وراء الصحراء ودورهم في الحركة الفكرية :

كان للإسلام الفضل الأول ، في نقل اللغة العربية ، ومختلف علوم الدين، إلى أماكن كثيرة من افريقيا فيما وراء الصحراء ، وكانت جهود العلماء ، والدعاة والوعاظ ، تهدف إلى تعريف السودانيين بالآداب وقواعد الدين ، وتنظيم المجتمع على قواعد تتمشى مع الدين الجديد ، ولم تعرف الشعوب التي أسلمت بغرب إفريقيا عنف الصراعات المذهبية ، التي عرفتها الأندلس وبعض بلدان الشمال الافريقي ، لأن المذهب المالكي كان منذ عهد المرابطين هو المعتمد بطريقة تكاد تكون شمولية .

---

(1)- موسى بن أحمد السعدي مخطوط ، ورقة 373.

(2)- عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص49.

أما الطابع الثقافي ، فلم يخرج عن نطاق الدين ، وربما لم تلعب اللغة العربية الدور المنوط بها ، منذ دخول الإسلام افريقيا فيما وراء الصحراء فالقول : بالفكرة الإسلامية التي تحالفت مع التجارة ، كانت العامل الأساسي في بناء الممالك الإفريقية ، لايعنى بالضرورة قيام مجتمع يعتمد في تجانسه الفكري على الثقافة العربية الإسلامية ويمكن ان نقسم تلك النهضة إلى ثلاث مراحل هى :

المرحلة الأولى : نهض بها الدعاة وسط القبائل ، وفي المساجد وفي المدن ، وإستمرت إلى أواسط القرن التاسع الهجري ،الرابع عشر الميلادي ونتج عن تلك المرحلة تعليم جزء كبير من الناس العبادات ، والمعاملات ، والسلوك الديني

المرحلة الثانية : امتازت بتوثيق العلاقات المغربية والشرق العربى ، مع بلدان افريقيا فيما وراء الصحراء ، وانتقل أثناء هذه المرحلة علماء الفقه والحديث ، وبعض من المهندسين المعماريين المسلمين إلى مناطق متباعدة في افريقيا ، وأدت جهودهم إلى ادخال الثقافة العربية ، وفنونها وتكوين مدارس إسلامية سودانية ، وبصفة خاصة في مجال علوم الدين من فقه وحديث ومسائل ونوازل .

المرحلة الثالثة : تبدأ أواخر القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، حيث واكبت وصول المغاربة ، بقيادة جوذر باشا إلى افريقيا فيما وراء الصحراء ،ووسعت المجالات السابقة وصقلتها ، وأضافت إلى أغراضها الفكرية مجالات وآفاقاً ، تمثلت في فنون أدبية وفكرية ، أكثر عمقاً وإشراقاً وإبداعاً كالفلسفة ، والمنطق ،والتاريخ ،وأدب الرحلات ، والإنشاء ، والتعمير .

ولما كان هدفنا من دراسة الحياة الفكرية هو تلمس الأسس والدوافع والمؤثرات ، ثم مرد ذلك ونتائجه ، فيجب أن نبدأ من حيث بدأت المراكز العلمية في أكثر من مدينة وحاضرة سودانية تعلن عن نفسها ، وعن المستقبل

الذي ينتظر الثقافة العربية الإسلامية ، في هذه المراكز والتي خصصت لها فصلاً في هذه الدراسة سبق تناوله .

وقد امدتنا المصادر المخطوطة والمطبوعة بوفر ثقافي أدى دوراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية ، ولكن لاينبغى أن نعطى للشئ أكثر من حجمه فإذا كانت الطبقة الإفريقية التي اختلطت ، وتثقفت بالثقافة الإسلامية العربية ، ترعرعت وأخذت مكانها في المجتمع الإفريقي ، فإن رجالها لم يصلوا قبل القرن الرابع عشر ، إلى ماكان يمكن أن يشكلوا معه حركة فكرية ناضجة .

ويمكن القول بأن المنارات العلمية الإسلامية في ذلك الوقت كانت قد حققت نجاحاً باهراً في ربط الفكر الدينى العربى بالحضارة الإفريقية وسار ذلك الربط في نطاق التأثير المتبادل دون حدوث نكسات أو أي مظهر للرفض ، من طرف الأفارقة الذين أصبح التأثير العربي جزءاً من كيانهم ، وهذا مايمكن أن نسميه بالمدرسة الإفريقية .

غير أنه يمكن أن نتساءل هل كان هناك إمتداد كبير للثقافة العربية الإسلامية ؟ .

وهل شملت تلك الثقافة غالبية سكان الغرب الإفريقي من المسلمين ؟ . .

أم أن الطبقة المثقفة ظلت تدور حول نفسها ، ولم يستفد منها إلا العدد القليل من الراغبين في العلم ؟ . ثم هل كانت طبقة المثقفين تشكل طبقة منعزلة وغير فاعلة ؟ . . وأخيراً هل وقع التخاطب بالعربية ، أم ظلت تلك اللغة سجينة المساجد لايفقهها إلا عدد من المقبلين على حلقات الدروس ؟

سوف نجيب عن هذه التساؤلات في آخر الفصل .

ونخلص للقول : بأن هذا التراكم الثقافي العربي الإسلامي ، كان رواده علماء أفذاذ لعبوا دوراً مهماً ، تمخضت عنه حضارة زاهرة على مر التاريخ ،إلا اننا نورد جزءاً منهم على سبيل المثال لا الحصر وهم :

محمد بن عبدالكريم المغيلي :

ولد محمد بن عبدالكريم المغيليي، بمدينة تلمسان عام 790هـ / 1388م من أسرة عريقة (1) قال عنه الشفشاوني: هو الفقيه الصدر الأوحد ، أبوعبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلي ، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء (2)

وقد ذكره صاحب البستان ،بالعالم العلامة ، المحقق الفهامة ، القدوة الصالح السني ،أكبر أذكياء العالم ، وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم (3) كما امتدحه أحمد بابا ،بالعالم العلامة الفهامة (4)

درس المغيلي على الإمام عبدالرحمن الثعالبي ، والشيخ يحيى بن بدير ، وغيرهما ، وأخذ ،عنه جماعة من الفقهاء، كالفقيه العاقب الانصمني ومحمد عبدالجبار الفجيجي وبد أحمد الشيخ ، وعمرالشيخ بن أحمد بن محمد الكنتي ، وأبو القاسم اليمني ، والشيخ محمد إبراهيم الطبوي ، والشيخ محمد محمود ومحمد مسكين (5)

مؤلفاته :

حياة المغيلي، حياة زاخرة بالأعمال الشامخة التي خلفها قلمه خطاً ونقلاً وهذه الأعمال هي :

1- البدر المنير في علوم التفسير .

---

(1) - محمد بن عبدالكريم المغيلي ، قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، مخطوط مكتبة الشيخ الطاهر العلوي بجاو بدون تصنيف ورقة 1 انظر الملحق ، والهادي المبروك الدالي ، من روائع أدب افريقيا فيما وراء الصحراء : المرجع السابق ص66.

(2)- محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني ، دوحة الناشر ، تحقيق حجي ، الرباط : دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر 196 ، ص138.

(3)- ابن مريم البستان ، المصدر السابق ص253.

(4)- أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، ص576.

(5)- محمد محمد (مرحبا) ، التاريخ الخاص بالتوتر مخطوط ، ورقة 20 أحمد بابا ، نيل الابتهاج لمصدر السابق ص 578،ص578.

2- شرح مختصر خليل بإيجاز

3- شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفقهي .

4- تأليف في المنهيات

5- مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة .

6- شرح الجمل للخونجى في المنطق

7- منح الوهاب في رد الفكر للصواب (1)

8- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين .

9- شرح خطبة المختصر .

10- ضياء السلطان وغيره من الإخوان في أهم مايطلبه عمله في أمور الزمان

11- مختصر في علم الفرائض

12- أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي .

13- الرد على المعتزلة في إعتقاداتهم الفاسدة .

14- هداية الأسراربلسان الأنوار .

15- كتاب المفروض من علم الفروض .

16- مقدمة في العربية .

17- كتاب الفتح المبين.

18- مصباح الأرواح في أصول الفلاح .

19- عدد من القصائد، في مدح النبى ﴿ﷺ﴾ (2) منها قصيدته التى مطلعها

بشراك ياقلبى هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

وهذه الروضة الغراء ظاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم (3)

---

(1)- محمد عبدالكريم المغيلي ، منح الوهاب في رد الفكر للصواب مخطوط ، دار معمر القذافي لجمع التراث العربي الافريقي بجاو بدون تصنيف.

(2- أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، ص578، ومحمد بن عبدالكريم المغيلي ، مصباح الارواح في اصول الفلاح المصدر السابق ص21-22.

(3)- محمد عبدالكريم المغيلي ، قصيد بشراك ياقلبي مخطوط ، والهادي المبروك الدالي من روائع ادب افيرقيا فيما وراء الصحراء ، المرجع السابق ص68.

وكانت للمغيلي مراسلة مع جلال الدين السيوطي ، بسبب ما وقع بينهما من نزاع ومناقشة ،حول قيمة علم المنطق . وقد انكر السيوطي على المغيلي علم المنطق ، ثم عاد واعترف بفضل المغيلي وعلمه بقصيدة قال فيها :-

عجبت لنظم ماسمعت بمثله   أتاني عن حبر أقر بنبله

سلام على هذا الإمام فكم له   لدي ثناء واعتراف بفضله

كما كانت له مراسلات مع محمد بن يوسف السنوسي ، حول عداء المغيلي لليهود بعد أن قتلوا ابنه في مدينة توات . كما كانت له مراسلات مع علماء فاس ، فقد أرسل لهم المغيلي كتابه مصباح الأرواح وأثنوا عليه (1)

كان الإمام المغيلي يميل إلى الدراسة المنهجية ، التي أبانت عن قدر كبير من سعة الاطلاع . كما اشتهر بتعدد المدارك ، وعرف عنه تعصبه لمذهبه وعداؤه لغير المسمين .

وإذا كان هناك من فضل للإمام المغيلي ، فهو أنه أول من أخضع المعارف الإسلامية ، في افريقيا فيما وراء الصحراء للنقاش والأخذ والرد ودفع الحكام والعلماء إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ووسع دائرة النقاش العلمي .

رحـــلاتـــه :

رحل من بلدة توات إلى أقدز ، وبنى مسجداً هناك ، أطلق عليه مسجد الكرامة (2) ، وعلى يديه أسلم أمير البلدة ، ثم دخل إلى كانو في فترة حكم محرر ومغا ، الذي أصبح المغيلي بمثابة مستشاره الشرعي ثم قصد زندر ، ومرادي وتنبكت ، وأصبح مستشاراً لأسكيا الحاج محمد ، واستفتاه فافتاه في

---

(1)- محمد بن عبدالكريم المغيلي ، مصباح الأرواح ، المصدر السابق ص 12-15 ، ونيل الابتهاج المصدر السابق ص 576 ، والهادي المبروك الدالي ، من روائع أدب افريقيا فيما وراء الصحراء ، المرجع السابق ، ص69.

(2) - وقفت على هذا المسجد في مدينة اقداز عام 1994 وهو مازل في حالة جيدة.

تأليفه أسئلة اسكياواجوبة المغيلي . ثم زار بلاد تكده ، وأهر ، وكنووكشنه (1) .

ثم ذهب إلى فاس ، إلا أنه نتيجة لتصرفاته مع علمائها غضب عليه أميرها وخاطبه خطاباً لم يرق للمغيلى ،فغادرها إلى افريقيا فيما وراء الصحراء وقد كانت له رحلة إلى الأراضى المقدسة ، قابله فيها في الاسكندرية العالم جلال الدين السيوطى ، وعرض عليه خمسة آلاف حديث ، كان يحفظها المغيلى عن ظهر قلب ، ثم بعد ذلك غادر مصر إلى مكة ، حيث أدى فريضة الحج ، وزار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتجل قصيدة في مدحه سبقت الاشارة إليها (2)

وفـاتـه :

توفي المغيلى عام 909هـ / 1503م بقصر بوعلي ، التابع لزاوية كنته بعد عودته الى مدينة توات عن عمر ناهز المائة سنة (3) .

العالم سيدي بن عبدالرحيم :-

هو سيدي يحيى بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبي الحسن على ، بن عبدالله ، بن الجبار ، بن تميم ، بن هرمز ، بن حاتم ، بن قصى ، بن يوسف ، بن يوشع بن ورد ، بن بطال ، بن أحمد ، بن محمد ، بن عيسى ، بن محمد ، بن الحسن ، بن علي ،بن أبي طالب كرم الله وجهم(4) جاء إلى تنبكت في بداية دولة الطوارق فاستقبله يحيى محمد نضى فاحبه وأكرمه غاية الإكرام ، وجعله إماماً لمسجده ، وظهر نبوغه في العلم والصلاح ،

(1)- مجهول حديقة البستان على تواريخ أهل اروان مخطوط ورقة 5 ، واحمد بابا نيل الابتهاج ،المصدر السابق ص 577 ، ومحمد بن عبدالكريم المغيلي مصباح الارواح المصدر السابق ص20.

(2)- محمد بن عبدالكريم المغيلي ، مصباح الأرواح ، المصدر السابق ص17-18.

(3)- نفسه ، ص19 ، والهادي المبروك الدالي ،من روائع ادب افريقيا ، المرجع السابق ص67.

(4)- أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية ، مخطوط ورقة 22..

وأحبه الخاصة والعامة من الناس ، وأثنى عليه عدد من علماء تنبكت . قال فيه أبو البركات : الفقيه القاضي الشيخ ماوطئ قدم تنبكت قط الاوسيدى يحيى أفضل منه .

وقد رغبه ابن عبدالرحمن بن سيدي محمود في زيارة أهل تنبكت لروضته ، ولو كانت تبعد عنهم مسافة ثلاثة أيام .

وقيل فيه : كل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله ، والقطب في تنبكت هو سيدي يحيى . .

اختلف في تاريخ وفاته ، فأورد عبدالرحمن السعدى أنه توفي في السنة السادسة والستين بعد الثمانمائة 866هـ / 1461م (1) .

اما صاحب السعادة الابدية فأورد أنه توفى ثمانية وستين بعد الثمانمائة 868هـ 1463م (2) .

وأمام هذه الآراء فاني أميل إلى رأى السعدي ، لأنه أقدم من صاحب السعادة الأبدية .

محمد الكابري :

حياته ووفاته :

من أبناء القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، نزل بتنبكت ودرس العلم بها ،وأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد اقيت ، والشيخ والفقيه سيدي يحيى بن عبدالرحيم التادلي . وقبره معروف في تنبكت (3) كان معاصراً للفقيه عبدالرحمن التميمى ، والفقيه اندغ محمد الكبير ، جد الفقيه

(1)- عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص51.

(2)- أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوطو ورقة 21.

(3)- MAHMOUD ZOUBER ABDOULLAH BOULARAT SANKORE AHMAD BADA 1993 NO4 . P 30/.

سيدي محمود لأمه والفقيه عمر بن اقيت ، والقطب الرباني الشيخ سيدي يحيى (1) أثنى عليه صاحب السعادة الأبدية بقوله :«خاتمة العلماء وقدوة الاصفياء .. بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح »(2) كان يختم في كل شهر تهذيب البرادعي (3) .

توفي رحمه الله في آخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادي ، وروضته (خلف روضة (الحاج أحمد اقيل (4)) (5)رثاه سيدي يحيى التادلي بقصيدة من البحر الطويل عدد ابياتها اثنان وعشرون بيتاً اخترنا منها ستة أبيات :

تذكر ففي التذكار جل الفوائد	وفي طيه ورد على خير وارد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا	وسفر ذوى الأفكار أحظى بزائد
تفي لب المرء طيبة الصبا	فيلحق فتياناً ويقوى لساعد
يثير هموم القلب فقد سميدع	فقيه حليم حامل للفرائد
محمد الاستاذ مؤدب ذي النهى	رباطاً صباراً أمره في التزايد
فيا عجباً هل بعده من مبين	وياعرباً هل بعده من مجالد (6)

الشيخ محمد البغدادى :

حياته ووفاته :

هو الإمام فريد دهره ووحيد زمانه الشيخ محمود البغدادي، قدم إلى بلدة أهير في أوائل القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي ، واشتغل

(1)- البرتلي فتح الشكور في معرفة عيان علماء التكرور ، المصدر ص107

(2)- أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 24.

(3)- عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص49.

(4)- زرت روضته عام 1985-1987 بصحبة الصديق عادل الارواني.

(5)- أحمد بابير الارواني ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 24.

(6)- عبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص49.

بالتدريس وتخرج على يديه صفوة من علماء اهير وهم (1)

1- الشيخ ابو رويس (2)

2- الشيخ الولي أحمد بن الفقيه عبدالقادر يحيى (3)

3- الشيخ أحمد بن الفقيه .

4- الشيخ الكامل بن الحاج

5- الشيخ أحمد زروق تيى فس ، بمعنى قادم من فاس (4)

ولم يكتف الشيخ البغدادى بالتدريس ، بل عمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة وقد اعتنق طريقته طلابه ، وعدد من العلماء والصلحاء وهم :

1- الولي المكاشف الفقيه الحاج سكاف .

2- الفقيه عبدالله بن تكرش ، وقد كتب وصية لتلاميذه باتباع ما أمرهم به شيخهم محمود .

3- الفقيه الولي النجيب محمد بن الفقيه المعروف بالسيف

4- الفقيه محمد بن إبراهيم ، وقد امتدح الشيخ البغدادي بقوله :

«علم تقى ولي » .

5- العالم أبو روين تتلمذ على الشيخ محمود البغدادي ، وأخذ عنه الطريقة ، وهو من أصدقاء الشيخ الكامل ،محمد الأمين ، سافر أبو روين إلى الشرق ، ومر على ليبيا وتزوج بها ثم واصل رحلته إلى مصر والحجاز ، ولقي مجموعة من الأشياخ واستفاد منهم ثم كر راجعاً إلى بلاده ، وقد ترك زوجته وطفلها ، ورجع إلى آهير ومات بها ودفن في سنب مسقط رأسه ، وقبره مشهور توفي عام اربعين من القرن العاشر (5) 940 هـ 1533م .

---

(1)- لامن بن أحمد بكنوا ، تاريخ اكذز ، مخطوط ورقة 1، وابراهيم بن مالك بن الحسن ، فقهاء تنبكت، مخطوط مكتبة الباحث بدون تصنيف ورقة 1-2.

(2) . ابورويس من علماء بلدة اهير درس على الشيخ البغدادى وتوفى في سنة تسعمائة واربعين (940هـ/1533م

(3) - دوفن في سنب وقبره يزار .

(4)- مجهول قبور وسماجد اهير واقدر ، مكتبة عبدالقادر التبينى بأقدز بدون تصنيف مخطوط 4-5

(5) لامين بن احمد بكنوا ،مخطوط ورقة 5-6 ومحمد بن فودى ، المصدر السابق ص38

وفاته :

توفي في ظروف غامضة حيث قتل في اغلنـع ، بعد حرب بينه وبين علماء تعرى غربى ، أواخر القرن التاسع الهجرى،الخامس عشر الميلادي (1)

لماذا أثرت هذه الشخصية أينما حلت في عقول العلماء والصلحاء ؟ ولماذا وصفت بهذه الطريقة البشعة ؟

أثرت هذه الشخصية في عقول العامة والخاصة من الناس ، لأن البغدادى من ذرية سيدى عبدالقادر الجيلاني ،صاحب الطريقة القادرية ، التى كانت أول طريقة تصل إلى منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء . أما تصفيته فراجعة إلى ضعف السلطان ، الذي لم يستطع رفض طلب الواشين بقتل البغدادى فنفذ فيه الحكم .

الفقيه اندغ بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح :

علم من أعلام المنطقة من أبناء القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى ، قال فيه عبدالرحمن السعدى والاروانى إنه : معدن العلم والفضل والصلاح وقال فيه أحمد بابا : هو أول من خدم العلم من أجداده ، تولى قضاء تنبكت في أواسط القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، وكان فقيها وعالماً صالحاً قرأ على الفقيه الصالح حودب محمد الكابرى ، وكان معاصراً لسيد يحي التادلي (2)

أحمد بن عمر بن محمد اقيت :

هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى ، التكرورى التنبكتى ،عرف بالحاج أحمد وهو جد أحمد بابا التنبكتى ، وأكبر الأخوة الثلاثة . وقد عرفت عنه الشمائل الرفيعة ، فقد طبع بالخير والفضل والدين ،

---

(1) مجهول قبور ومساجد اهير واقدز مخطوط ورقة 3 ومجهول ، تراجم علماء باغرم،مخطوط ، ورقة 13

(2) احمد بابير الاروانى السعادة الابدية ، ورقة 24، عبدالرحمن السعدى ص28 ، والبرتلى ،ص 112

كثير المدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم . كان فقيها لغوياً نحوياً عروضياً محصلاً اشتغل بالعلم جل فترة حياته ، وكان ينتج الكتب والدواوين ، وجمع كثيراً من الفوائد والتعاليق .

أساتذته :

درس على جده لأمه إندغ محمد ، وعلى أهل ولاتن كما درس على خاله الفقيه مختار النحوي علم النحو (1)

رحلاته وجلوسه للتعليم :

ارتحل إلى الشرق وحج عام تسعين وثمانمائة 890هـ 1485م ، ولقي العالم جلال الدين السيوطى ، والشيخ خالد الأزهرى ، شارح التوضيح وغيرهما ، ثم رجع إلى بلاده في فترة الملك سني علي ، ودخل كنو ، وغيرها من مناطق افريقيا . وجلس للتعليم وانتفع به عدد كثير من طلاب العلم ، وأخوه القاضي محمود بن عمر ، قرأ عليه المدونة وغيرها لقد كرس حياته في طلب العلم وتحصيله إلى أن توفى ليلة الجمعة من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين وتسعمائة 942هـ (2) / 1535م ،عن عمر يناهز الثمانين عاماً(3)

العالم الشيخ عمر بن الشيخ محمد اقيت :

من أبناء القرن التاسع الهجرى ،الخامس عشر الميلادي ، لم أقف على تاريخ ولادته ، إلا أنه كان على قيد الحياة في فترة الملك سنى علي كان رحمه الله عالماً فقيهاً صالحاً تقياً درس على يد الفقيه الصالح محمد الكابرى . رحل إلى ولاته

---

(1) احمد بابا التنبكتى ، نيل الابتهاج تبطريز الديباج ، المصدر السابق ص 137، وعبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 37 ، واحمد بابير الاروانى ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 27 ، والبرتلى المصدر السابق ص 28 .

(2) اتفق البرتلي وعبدالرحمن السعدى بان وفاته عام 943هـ/1536سنة واحدة فرق ليست بالمشكلة

(3) احمد بابا التنبكتى ، نيل الابتهاج المصدر السابق ص 137، وعبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 37، واحمد بابير الاروانى ،السعادة الابدية مخطوط ورقة 27 محمد بن فودى ، اتفاق الميسور المصدر السابق 213-212

عام 872هـ / 1467م بأولاده الثلاثة ، الفقيه الحاج أحمد ، وهو أكبرهم سناً ، والفقيه عبدالله والفقيه محمود ، وهو أصغر اخوته ، وكان برفقته صهره الفقيه النحوي ، المختار بن القاضي اندغ محمد وادرك الإمام الزموري في ولايته فاجازه كتاب الشفاء ،ورجع ابنه محمود ،وعبدالله إلى تنبكت ، أما الشيخ عمر فقد فضل البقاء هناك إلى أن توفي . أما ابنه الحاج أحمد فإنه لحق باخوته في تنبكت (1)

احمد بن احمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيي :

ولد العالم أحمد في فاتح المحرم عام تسعة وعشرين وتسعمائة 929هـ/ 1522م ، وهو والد أحمد بابا التنبكتي وصف بأنه كان ذكياً مدركاً متفنناً محدثاً أصولياً منطقياً ، له نفس طيبة ، وقلب عطوف ، ومن شمائله أنه يسير إلى قضاء حوائج الناس لدى الحكام الذين يغلظ عليهم في القول ، وقد يزوره الحكام ويتوددون له فقد زاره أسكيا داوود ، عندما مرض فكان يأتى إليه في داره بكاغ ويسهر معه ، ومن شمائله أيضاً تواضعه وحبه لأهل الخير ، لايحمل لأحد ضغينة ، عادل في أحكامه (2)

حياته العلمية :

درس داخل بلاده على عمه محمود بن عمر ، وأخذ عنه شتى فروع العلم ، أما خارج بلاده ، فقد ذهب في رحلة إلى الشرق سنة ست وخمسين وتسعمائة 956هـ / 1549م . فحج وزار ، واجتمع بنخبة من العلماء، منهم الناصر اللقانى ، والشريف يوسف الاسيوطى تلميذ السيوطي ، وجمال الدين بن الشيخ زكريا ، والشيخ التاجورى وأخذ عن سيدى عبدالسلام الاسمر الزليطنى الطريقة

---

(1) احمد بابير الاروانى ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 25

(2) احمد بابا التنبكتى نيل الابتهاج المصدر السابق ص 141 ، وعبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 41-42.

العروسية في مصر درس والأجهورى ، كما استفاد من أمين الدين الميمونى ، وابن حجر المكي ، والملائي ، وبركات الحطاب ، وعبدالعزيز اللمطى وعبدالمعطى السخاوى، وعبدالقادر الفاكهانى وغيرهم ، وأجازه بعضهم مثل الشيخ التاجورى (1) فقد استفاد منهم كثيراً في شتى فروع المعرفة ، كما لازم أبا المكارم محمد البكرى ، وسجل عنه فوائد كثيرة ورجع إلى بلاده .

اشتغاله بالتدريس :

بعد رجوعه من بلاده اشتغل بالتدريس فترة قصيرة ، فدرس الفقيهين محمد وأخاه أحمد ابني الفقيه محمود بغيغ ، قرأ عليه الأصول والبيان والمنطق كما درس على يده الاخوان عبدالله وعبدالرحمن ابنا الفقيه محمود وغيرهم . ودرس على يده ابنه أحمد بابا عدة علوم ، وأجازه جميع ما يجوز له، وسمح بقراءة الصحيحين والموطأ والشفاء (2)

مؤلفاته :

كانت للعالم أحمد مكتبة ، جمع فيها أنفس الكتب ، وكان يسمح باعارتها للعلماء وطلاب العلم . وقد استفاد من هذه المكتبة بتأليف عدة كتب هي :

1- شرح مخمسات العشرينيات الفازازية ، في مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

2- شرح منظومة المغيلى في المنطق شرحاً حسناً .

3- علق على موضع من خليل ، وعلى شرحه للتناء حاشية بين فيه مواضع السهو منه .

4- علق على صغرى السنوسى ، والقرطبية ، وجمل الخونجى وفي الأصول

5- قرأ البخاري خمساً وعشرين سنة (3)

---

(1) احمد بابير الأروانى ، السعادة الأبدية مخطوط ورقة 27 ، واحمد بابا نيل الإبتهاج ، المصدر السابق، ص 141

(2) نفسه والورقة نفسه والصفحة

(3) أحمد بابير الأروانى ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 28

مراسلات علماء ليبيا له :

كانت أواصر المحبة والاتصال الفكرى قائمة بين عدد من علماء ليبيا وعلماء من افريقيا فيما وراء الصحراء ، وخاصة مدينة تنبكت ، وكل واحد منهم يتابع أخبار الآخر ، وينصحه ، ويرشده إذا ما احس هناك اختلال في سير الحياة وتقاعسا عن العلم ، وهذه الرسالة التى نوردها دليل على ذلك فقد بعث العالم الليبي سيدي عبدالسلام الاسمر الزليطنى برسالة طويلة إلى العالم التنبكتى سيدى احمد بن أحمد بن اقيت وجماعته قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً من العبد الفقير إلى الله عبدالسلام بن سيدى الفيتورى ، إلى الاحباب والانجاب جعلهم الله من اهل السنة والكتاب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فهذه نصيحة مني إليك وهي الحمل سمو الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله واصحابه وسلم اعلموا ، ... احق شئ بالتقديم النصيحة الوصية بتقوى الله واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاوصيكم ايها الفقراء المنتسبون إلينا والى طريقة العروسية ... فأول مايجب عليكم تصحيح ايمانكم ، ثم معرفة مايصلح بكم من فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك وتعلموا النحو وهو دين الكلام وجمال النطق .. ولاينبغى التعمق في المنطق .. واما التفسير فلا يجوز لاحد ان يتكلم في كتب الله حتى يكون ملماً بالنحو ، فان القرآن عربي ولايعرف مقاصده الا بمعرفة مقاصد العربية .. قالوا العلم الذي هو فرض طلبه فرض عين ثلاثة احدها علم التوحيد .. والثاني علم التصوف .. والثالث علم الشريعة .. اوصيكم بحفظ القرآن ... ولايجوز للمؤدب ان يعلم الصبيان في المسجد القرآن فان فعل ذلك يأثم .. واياكم وشرب الدخان في الفم والأنف .. واياكم وصحبة الجهلة والفجرة إلا من تاب منهم ، وطلب التعليم في دينه ... واذا جلستم مع الصوفية فحاضروهم بما يشهد لأ حوالهم .. اختاروا لانفسكم

الزوجات الطيبات ذوات الحسب والنسب .. واياكم واتباع علم الكيمياء والكنوز والجدول والتبريج والفال وتقليب القلوب وطلاب الاكدرة واللعب بالنرد والشطرنج ... وقد نهوا عن ذلك اهل الطريقة العروسية غاية النهى .. واعلم ان فائدة العلم الاخلاص فيه لله تعالى والادب مع سائر الخلق .. ونفي الكبر من قلبه .. وإياكم والجلوس مع النمامين .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ،من عبد السلام بن سليم إلى أحباب المنتسبين الينا وإلى طريقتنا العروسية ..(1)

تترجم هذه الرسالة على عدة جوانب هي :

1- مدى الترابط والإتصال الوثيق بين ليبيا ومنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء.

2- الرسالة توحي لنا بان هناك ممارسات وعادات لاتمت للاسلام بصلة ، وبذلك نجد صاحب الرسالة ينبه إلى ذلك

3- على مايبدو كان هناك من يشرب الدخان في المنطقة واعتبر صاحب الرسالة ان شربه من الظواهر الخطيرة

4- توضح الرسالة انتشار الطريقة العروسية في منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء

5- يحض عبدالسلام الأسمر علماء افريقيا على تعلم علم النحو والقرآن وعدم التبحر في علم المنطق والكيمياء.

6- يحذر صاحب الرسالة من أن هناك أنواعا للتسلية مثل الشطرنج ونحوه تعتبر مضيعة للوقت يجب الإبتعاد عنها .

7- انتشار الشعوذة بين أهالي المنطقة مثل ضرب خط الرمل ونحوه .

8- يقدم عبدالسلام الاسمر إلى اصدقائه من علماء تنبكت مدرسته الادبية

---

(1) كريم الدين البرموني . مناقب عبدالسلام الاسمر ، رسالة من عبدالسلام الاسمر الزليطني الى سيدى احمد بن احمد بن اقيت مناقب عبدالسلام ، مخطوط مركز الجهاد الليبي رقم 821ورقة 105-111

في قالب جميل عندما يطلب منهم التأدب وطريقة الحديث مع الصوفية

9- يوجه الأسمري في أحبابه بتنبكت على الزواج من بنات الحسب والنسب الأمر الذي يوضح ان هناك إختلالا في الجانب الإجتماعي

10- يأمرهم بطلب العلم والتأدب في طلبه .

11- يختم نصائحه باجتناب الذين يتعرضون إلى أعراض الناس .

وهذه الرسالة تترجم على أن سيدي عبدالسلام الأسمري كان مدرسة يحتذى بها وله تأثيره حتى خارج بلاده .

وفاته :

توفي العالم أحمد عندما كان يقرأ في صحيح مسلم بالجامع الكبير ، بعد ان ثقل لسانه ، فأمره الفقيه محمود بغيغ بقطع القراءة فتوفى ليلة الإثنين سابع عشر من رمضان ، عام احدى وتسعين وتسعمائة 991هـ / 1583م (1)

لقد مكث العالم أحمد اقيت أربعاً وثلاثين سنة ، مابين الرحلة للحج وطلب العلم ، وجلوسه للتعليم والتأليف ،وهذه الفترة قصيرة جداً بالنظر إلى مؤلفاته الزاخرة ، ومعنى هذا أن الرجل كان يشتغل ليلاً ونهاراً ، بدون انقطاع في التأليف ، بالإضافة الى مهمة التدريس التي لاتقل هي الأخرى عبئا عن سابقتها ، ولكن نخلص إلى حقيقة أن مثل هؤلاء الرجال الذين خلفوا لنا رصيداً فكرياً كان يحركهم إيمانهم القوي وحبهم للعلم .

الفقيه ادنرفن بن الفقيه محمد بن محمد انضمت السوقي :

كان رحمه الله عالماً فاضلاً ، له اليد العليا في علم النحو ، وله مؤلفات منها شرح على ابن مالك في مجلد كبير ، أطلق عليه «هيبة المالك على خلاصة ابن مالك »جمع فيه كلام الآخرين ، وقد وجد هذا الشرح قبولاً من العامة والخاصة : أما عن سنة وفاته فلم تسعفنى المصادر ولا المراجع التى اطلعت عليها بمعلومات

(1) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص44

عن ذلك ، إلا أن صاحب السعادة الأبدية أورد أنه كان حياً عام 1111هـ / 1699م (1)

الشيخ محمد بن أحمد بن محمود بغيغ :

عالم من علماء تنبكت درس على يد العالم أبو العباس أحمد بن أحمد بابا التنبكتي ، وأجازه سماعاً ثم درس على يد والده (2)

محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرى التنبكتي عرف ببغيغ :

ولد عام ثلاثين وتسعمائة 930هـ / 1523م ،كان من صلحاء وخيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ،طبعت نفسه على حب الخير ، وحسن النية ، وسلامة السريرة ، ومنفعة الناس بالسعي في قضاء حوائجهم ، والنصح لهم في طلب العلم ، وملازمة تعليمه وصرف أوقاته فيه ، ومحبة أهله ، والتواضع التام ، وبذل نفائس الكتب لهم دون البحث عنها ،وبذلك ضاع جزء كبير من كتبه ولصاحبنا صبر عظيم على التعليم آناء الليل وأطراف النهار وعلى إيصال الفائدة إلى من لايستوعب بسرعة بلا ملل ولا ضجر حتى يمل حاضروه وهو لايبالي حتى قيل عنه : إنه شرب ماء زمزم لئلا يمل من الاقراء (3)

وقد قيل في شمائله الشئ الكثير ولايسع المجال للاطناب فيها .

أســـاتذتــه :

أخذ العربية والفقه على يد الفقيهين ، والده القاضي محمود وخاله الفقيه الصالح ، ثم سافر إلى تنبكت مع أخيه الصالح أحمد فلازم الفقيه أحمد بن سعيد ، وأخذ عنه المختصر ، ثم حج مع خاله ، والتقى في مصر بعدد من العلماء ، منهم الشيخ التاجورى ، والناصر اللقاني ، والزين البحيري والشريف يوسف

---

(1) أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية ، مخطوط ورقة 83

(2) نفسه ورقة 82.

(3) احمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 600-601عبدالرحمن السعدى المصدر السابق ص 43 -44.

، والبرهمتوشي الحنفي ، والشيخ الإمام محمد البكرى . ثم رجع إلى تنبكت ، ودرس على ابن سعيد الفقه ، والحديث ، والمدونة ، والموطأ ، والمختصر ، ونحوها .

درس على يد والد أحمد بابا التنبكتي الأصول ، والبيان ، والمنطق ، وقرأ عليه أصول السبكي والتلخيص (1)

جلوسه للتدريس :

ذكر أحمد بابا أن الفقيه محمد بغيغ كان منظماً لوقته في قوله : أدركته أنا يقرأ من صلاة الصبح أول وقته ، إلى الضحى الكبيرة دولاً مختلفة ، ثم يقوم لبيته ، ويصلي الضحى مدة ، وربما مشى بعدها للقضاء بين الناس ، والإصلاح بينهم ، ثم يقرأ في بيته وقت الزوال ، ثم يصلي الظهر بالناس ، ويدرس إلى العصر ، ثم يصليها ، ويذهب إلي موضع اخر يدرس فيه ، إلى الاصفرار أو قرابته ، وإذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء ثم يرجع لبيته ، وسمعت أنه يحيي آخر الليل دائماً (2)

من هنا ندرك أن كل وقته مشغول في التعليم ، والعبادة ، والإصلاح بين الناس . وهذا العمل لايقوم به إلا من كان قلبه متعلقاً بحب الله والسعي للآخرة .

درس شيخنا الفقيه أحمد بابا ، وقد لازمه أكثر من عشر سنين ، فختم عليه مختصر خليل بقراءته ، وقراءة غيره حوالي ثماني مرات ، وختم عليه موطأ الإمام مالك قراءة فهم ، وتسهيل ابن مالك كما درس على يده أصول السبكي ، بشرح المحلي ثلاث مرات ، وألفية العراقي بشرح مؤلفها ، وتلخيص المفتاح ، بمختصر السعد مرتين فأزيد ، وصغرى السنوسي ، والهاشمية في التنجيم مع

---

(1) احمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق ص 602،وأحمد بابير الارواني،السعادة الابدية مخطوط ورقة 38.

(2) أحمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق ص 601 البرتلي ، المصدر السابق ص 31-32.

شرحها ، ومقدمة التاجورى ورجز المغيلى ، وقرض بعضها بخط يده ، والمعيار للونشرسي وغيرها من العلوم (1) التي لايسع ذكرها

قال أحمد بابا في حقه «وبالجملة فهو شيخى ، وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه رحمه الله ونفعه ، وأجازنى جميع مايجوز له وعنه ، وكتب لي بخطه في ذلك ،وأوقفته على بعض تآليفي وتقاييدي ، فكتب لي بخطه الثناء والموافقة ، بل كتب عني أشياء من أبحاثي لحسن نيته ... »(2)

من هنا ندرك تبحر هذا العالم في العلم وقمة تواضعه فهو يأخذ من تلميذه بعض فقرات من تقاييده .

أعماله العلمية :

له تعاليق وطرر، أوضح فيها هفوات لشرح خليل وغيره ، وتتبع بدقة شرح العلام التنائي الكبير ، من أوله إلى آخره ، فوضح مافيه من السهو نقلاً وتقريراً . وقد جمعها أحمد بابا في كراريس ، وله عدد من الفتاوى (3) منها فتوى بخصوص الإفطار في شهر رمضان لمن يحصد الزرع ، ونصها بسم الله الرحمن الرحيم ، سئل الشيخ المبارك المحفوظ بالله ، محمد بن محمود بغيغ ، عن العمل في حال الصيف ، في شهر رمضان على مشقة ، هل يجوز لهم الأكل قياساً على أنه كالسفر هل يجوز لهم الفطر أولا لعمل زرعهم . وافتى لهم أن لهم العمل وان أدى إلى إفطارهم والله اعلم .. وقال وكتبه محمد بن محمود بغيغ مسلماً على من يقف عليه وطالب منه الدعاء لخير الدارين (4)

---

(1) احمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 602، وأحمد بابير الاروانى ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 39 وعبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 44

(2) احمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 602

(3) احمد بابا نيل الابتهاج السابق 603وعباس الجرارى ، ثقافة الصحراء ، الدار البيضاء : دار الثقافة 1978ص22 احمد بابير الاروانى السعادة الابدية ، مخطوط ورقة 38-39

(4) محمد محمود بغيغ فتوى بخصوص الافطار في شهر رمضان مخطوط ورقة واحدة .

تكشف لنا الفتوى عدة جوانب هي :

1- مكانة صاحب الفتوى عند الأهالي ، بتوجيه الدعوة له دون غيره

2- الديباجة الشئ تكتب بها الفتوى

3- تمسكهم بأركان الإسلام ومن بينها صيام رمضان

4- النشاط الزراعي الذي كانت عليه مدينة تنبكت

5- الكيفية التي تكتب بها خواتم الفتاوي بطلب الدعاء لصاحبها

6- كتبت بخط مغربي

وفـــاتــه :

أورد أحمد بابا أنه سمع بوفاة محمد بغيغ ، وهو في مراكش يوم الجمعة من شهر شوال عام اثنين وألف 1002هـ / 1593م (1) أي أنه عاش سبعين سنة كلها في رحاب العلم وأن ما أورده أحمد بابا عن سماعه خبر وفاة محمد محمود بغيغ ، وهو بمراكش دليل على كثرة الاتصالات بين افريقيا فيما وراء الصحراء والمغرب

اندغ محمد الكبير :

هو حفيد أبي العباس كان عالماً علامة زمانه ، تولى إمامة مسجد سنكري ، بعد أن تركها الشيخ أبو البركات محمود بن عمر ، نظراً لكبر سنه ، برع اندغ محمد في علم العربية وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرداً لكتاب الشفاء ، توفى عام 986هـ/ 1560م (2)

العالم احمد بن محمد بن سعيد :

ولد عام 931هـ/ 1524م وهو حفيد الفقيه محمود بن محمد ، كان رحمه

---

(1) احمد بابا ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص 602محمد حجى ، المرجع السابق ص 637

(2) أحمد بابير الأرواني ، السعادة الابدية ، مخطوط ورقة .

الله عالماً بالفقه مطلعاً مدرساً ، درس على يد جده لأمه الرسالة ومختصر خليل وأخذ عنه المدونة . ثم جلس للتدريس من عام ستين وتسعمائة 960هـ 1552م . درس عليه عدد من التلاميذ وانتفعوا به ، وكان من بين الذين درسوا عليه الاخوان محمد وأحمد أقيت أخذ ،عنه الموطأ ، والمدونة ، ومختصر خليل وغيرها . كما أدركه أحمد بابا ، وكان صغيراً في السن إلا أنه حضر عليه بعض دروسه . توفى رحمه الله عام976هـ / 1568م عن عمر ناهز الخامسة والأربعين سنة من النضال العلمي (1)

الشيخ سيدى احمد الملقب بالفيرم :

كان عالماً عاملاً تبحر في العلم ، وجعل حلقات يدرس فيها فروع العلم حيث تتلمذ على يده الكثيرون (2) لم نعثر على تاريخ ولادته ، إلا أنه من أبناء القرن العاشر الهجرى ،السادس عشر الميلادي، وللقبه بالفيرم قصة نوردها فيما يلي : بينما كان ذات يوم في قافلة كبيرة متوجهاً إلى بلدة توات ، إذ رأى ومن معه جماعات كثيرة قادمة إليهم ، فأخذ الشيخ أحمد بأصبعه جهة العدو ، فقال لهم «قد كفيتموهم فنزلوا فإذا بالقافلة حجارة ، فيما يروون فهز رجل من العدو رمحه وقال والله لقد كان هذا الحجر رجلا على جمل أبيض ، عليه ثياب بيض ، ثم رشق الحجر فصادف ذلك سن الشيخ فكسرها فسمى بذلك بالفيرم للفرقة التي وقعت بسنه ، فقال رئيس العدو : أيها الناس ان كنتم ناساً ، فأزيلوا الحجاب فلكم عهد الله وميثاقه لانضركم مابقينا ولاتضر ذريتنا ذريتكم مابقيت الدنيا ، فأشارالشيخ بكمه فأزال الحجاب ، وعاينوا القافلة فإذا الطباخون يطبخون ، وإذا الإبل والأمتعة كما هى فتاب قطاع الطرق على يد الشيخ .

---

(1) نفسه الورقة والبرتلى ، المصدر السابق ص 28

(2) مجهول سلسلة القادرية مخطوط مكتبة عادل الاروانى بتنبكت بدون تصنيف ورقة 1

توفي الشيخ أحمد الفيرم في حدود الخمسين بعد التسع مائة 950هـ/ 1543م(1)

أوردت هذه القصة لامن أجل إظهار خوارق العادات ، ولكن لنستقرئ العقل الإفريقي والكيفية التي يفكر بها ويرى بها الأمور .

أما بالنسبة للكرامة فقد تكلم فيها جمع من السادة العلماء وأقروها ولقد جاء القرآن الكريم مبيناً لنا رعايته للمؤمنين الصادقين بقوله «ألا إن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة» (2) صدق الله العظيم

معنى هذا أن الله تعلى يتولى عباده المؤمنين برعايته في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

سيدي محمد الرقاد :

كان رحمه الله عالماً متفننا ، عابداً متمكناً ، كان على قيد الحياة حتى عام 994هـ / 1585م وسبب تلقيبه بالرقاد أنه قدم عليه قوم مختصمون حول معضلة ، وأدركوه نائما فحل المشكلة بينهم وأخبره بها تلاميذه فأطلقوا عليه الرقاد ، وقد كانت له ملكة حفظ قوية حتى قيل : إنه يحفظ ألف مجلد ، وكان يحل أية مشكلة علمية ، لايستطيع اقرانه حلها . وكان شديد الشكيمة لاتأخذه في الله لومة لائم ، وإذا مارأى منكرا يغيره بيده ، حتى إن الطغاة كانا يخشون بأسه ، ومن شمائله سخاؤه وإطعامه للطعام وطعامه مبارك يقال : إنه نزل عليه ذات مرة قوم فأحضر لهم طعاما ، وشعروا بأنه قليل فقال لهم : كلوا وان لم يكفكم زدنا كم فأكلوا إلى أن شبعوا ، وبقي من الطعام فعرفوا أنه مبارك . توفي رحمه الله عام 994هـ / 1585م (3)

---

(1) محمد بن المختار بن أحمد الكنتي الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالد والوالدة مخطوط ، مركز أحمد بابا التنبكتي رقم 1910، مخطوط ورقة 126ومجهول ،حديقة البستان ، مخطوط ورقة 9

(2) سورة يونس الاية 62-64

(3) محمد بن المختار الكنتي الطرائف والتلائد ،مخطوط ورقة 125-126

سيدى احمد الخليفة بن سيدى عمر بن سيدى احمد بن الرقاد :

كان عالماً جليلا فاق أقرانه ، تتلمذ على يديه عدد من طلاب العلم من مختلف الاقطار ، درس على يده اخوه محمد الأمين ، والسيد الحاج أبوبكر بن محمد بن عمر بن الوافي ، والسيد عروة بن سيدي محمد بن أبي نعامة وقد اشتغل سيدي الأمين ، والحاج أبوبكر في تجارة الملح بين تغازى وتوات .

فازدهرت تجارتهم حتى ان الشيخ كان يمتلك من الملح خمسمائة راس وعمودا من الذهب .

توفى رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ثامن ذي الحجة عام اثنين وتسعين وألف 1092 هـ / (1) 1681م.

الطالب سيدي احمد البشير بن محمد موم السوقي :

قدم إلى بلدة أروان من مدينة السوق ، وحمل اسمها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، بقصد طلب العلم فتعلم هناك وسلم له علماء عصره ، وشهدوا له برئاسة العلم ، وفنون القراءات وأفاد واستفاد إلى أن توفي عام 1112هـ 1700م(2)

اندرف بن الفقيه محمد بن محمد انطمت السوقي :

كان علماً من اعلام السوق ، وصالحاً من صلحائها تبحر في طلب العلم فأصبح عالماً في النحو لايضاهيه أحد في مدينته ، له مؤلفات منها شرح على ابن مالك شرح مفيد في مجلد كبير ،سماه هبة المالك على خلاصة ابن مالك . جمع فيه ما أهمله غيره ، وقد تلقاه الناس بالقبول وحصل به النفع .

كان حياً عام 1111 هـ / 1699م (3)

(1) مجهول حديقة البستان على تاريخ اهل اروان مخطوط ورقة 11

(2) محمد بن مختار الكنتى الطرائف والتلائد مخطوط ورقة 83

(3) محمد الأروانى ، الترجمان مخطوط ورقة 11

سيدي أحمد بن آد :

العالم الرباني الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد بن (آد)(1) بن محمد بن ابي بكر بن قوسي بن بلال بن نور بن مالك بن عبدالرحمن بن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن وردبن بطال ابن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم (2) قدم من بلدة السوق ، إلى كيدال ، ومنها إلى اروان وهو من الأوائل الذين سكنوا تلك المنطقة ، وقد أقام فيها مسكناً . ومسجداً بنى محمد صالح مثلها وكذلك المانع ، وكان يقطن اروان أمقشرن وهم فرع من الطوارق ، كان ذلك في القرن العاشر الهجري ، الخامس عشر الميلادي وتزوج الشيخ أحمد بن اد من مقشرن امرأة تدعى فاطمة الفردوس ، وهى من قبيلة كلشصر ، فولدت له أولاداً (3) كما كان بالبلدة أولاد عبدالرحمن وأصلهم من الرحامنة (4)

لقد كان الشيخ عالماً فقيهاً لغوياً محدثاً ، ليس له نظير في زمنه ، درس على شيخه العلامة المحدث ، الفقيه الصالح محمد بغيغ الونكري ، صحيح البخاري ، ومسلم وكتاب الشفاء ، والموطأ ، وأخذ من سيدي محمد بن سيدي محمد ،والقاضي سنيبر ، ولم يستقر في أروان إلا بعد مجيء جيش المنصور الذهبي إلى تنبكت . وقد ذهب الشيخ أحمد بن آد الى الأراضي المقدسة بقصد الحج وترك ابنه في مكانه نائباً عنه ، في أروان ، توفي بعد رجوعه من الحج في أروان سنة 1044هـ / 1634م ودفن بمسجد فيها ، وقبره ومسجد إلى اليوم معروف (5)تولى بعده ابنه محمد الملقب باكين أمر القضاء في أروان (6)

---

(1) تعنى اد ابن الشيخ للمزيد انظر محمد الاروانى ، الترجمان ، مخطوط ورقة 9

(2) مجهول ، خبر السوق ، مخطوط ورقة 13 ابو الخير بن عبدالله الاروانى نبذة من تاريخ اروان مخطوط مركز احمد باب التنبكتى رقم 1121ورقة 2-

(3) مجهول حديقة البستان على تاريخ اهل اروان ،مخطوط ورقة 8-9

(4) مجهول تاريخ ازواد في خبر البرابيش ،مخطوط ورقة 10

(5) اخبرنى الادبي عادل محمود الأروانى عام 1987ان قبر ومسجد سيدي احمد بن أو مازال الى اليوم ببلدة اروان

(6) محمد محمود الاروانى الترجمان ، مخطوط ورقة 11

العاقب بن عبدالله الانصمني المسوفي :

من أهل تكدة ، برزت عليه علامات التقوى والعلم ، منذ نعومة أظافره . عمل بكل مافي وسعه في طلب العلم وظهر نبوغه الفكري . له تعاليق من أحسنها كلامه على قول خليل ، وخصصت نية الحالف ، وهو حسن مفيد . له جزء في وجوب الجمعة في قرية (الصحن) (1) خالف فيه غيره . وقد أورد صاحب المخطوط أن الجواب معه في الصواب المحدد ، عن أسئلة القاضي محمد بن محمود وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، أجاب فيها أسكيا الحاج محمد وله غيرها .

أخذ عن المغيلي ، وجلال الدين السيوطي ، وهو في طريقه إلى الحج وقد حصلت له منازعات مع الحافظ مخلوق البلبالي كان العاقب حياً إلى 950هـ/ 1543م(2)

العالم محمد المصطفى بن عباس بن محمد بن موسى :

علم من أعلام افريقيا فيما وراء الصحراء ، درس العلم على يد صفوة من علماء المنطقة ، حيث درس التفسير عن الشيخ عمر الفوفانى ، وعن الفقيه الكبير المندوي ، وعن الفرد الأعلم محمد البونى ، وعن الفقيه الحاج سالم السواى المتوفي عام 842هـ / 1438م ، وعن العباس المندوي ، وعن الفقيه الطورى ، وعن الفقيه السيسي ، وعن العلامة عبدالسلام السحنوى (3)

العالم النجيب محمد الولي سليمان :

علم من اعلام بلدة باغرام ، اجتهد في طلب العلم وبرع فيه ، وتتلمذ على يد عدد من علماء بلده ، منهم الشيخ البكرى وظهر نبوغه العلمى ، فجلس

(1) قرية قريبة من اروان ان تقع الى الغرب منها تبعد عنها بحوالى خمسين كليموتر زرتها عام 1987.

(2) مجهول علماء باغرام مخطوط ورقة 12 ، ومحمد بن فودي انفاق الميسور المصدر السابق ص 37 احمد بابا التنبكتى نيل الابتهاج المصدر السابق ص 353، وعبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص 42

(3) محمد محمد المفتى (مرحبا) التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ورقة 101

للتدريس والتأليف وكتابة الشعر (1)

مـــؤلفاتــه :

له العديد من المؤلفات تدل على رسوخ علمه وكثرة إحاطته ، وتضلعه في العلوم ومن هذ المؤلفات .

1- المنهل في التوحيد .

2- نظمه على النقاية

3- قصائد في الحث على الرجوع إلى الكتاب والسنة ، بعد أن حاد عنها الناس واشتغلوا بعلم الأوفاق ، والحروف ، وعلم التنجيم ، فقال فيهم قصيدة تسفههم وتحضهم على الرجوع إلى الكتاب والسنة وهي ستة وعشرون بيتاً اخترنا منها خمسة أبيات وهى :

من عذيرى من أناس نجموا	أفسدوا الدين وأيدوا كل ضر
تركوا علم الكتاب المنزل	وحديث جابه هادي البشر
صرفوا الهم إلى مكسبهم	لحطام زائل لايستقر
أفسدوا الدين وأطفوا نوره	هم عداة الدين في هذا العصر
صل يارب وسلم دائـــماً	للنبى المصطفى هادي البشر (2)

أما عن تاريخ وفاته فلم تسعفنى المصادر ولا المراجع التي اطلعت عليها بأية معلومة إلا أن الباحث اعتبره على قيد الحياة حتى كمال الألف الهجرى 1000هـ / 1591م باعتبار تزامن حياته مع حياة الشيخ ولولو الباعزمى ، والذي توفي بعد كمال الألف بقليل 1000هـ / 1591م (3)

الحاج موسى الحكنى :

أحد أعلام باغرم وقادتها ، درس العلم على يد شيوخ بلده ، وظهرت

(1) مجهول ، تراجم اسلام باغرام ، مخطوط ورقة 2

(2) نفسه ورقة 3 ، ومحمد بن فودي انفاق الميسور، المصدر السابق ص27

(3) محمد بن فودى انفاق الميسور المصدر السابق ص 27

عبقريته ورسوخه في العلم فكان مجدداً لآثار الآباء والأجداد اشتغل بالتدريس فترة من الزمن ، ثم ذهب إلى الحج ومعه الفا رجل من أتباعه عام 1110هـ / 1698م لأداء فريضة الحج ، ثم رجع إلى بلاده حيث عاش بعدها احدى وعشرين سنة (1) أي انه توفي سنة 1131هـ/1719م

الشيخ محمد البكرى :

عالم راسخ في العلم متفنن فيه ، درس العربية والبلاغة في (جاندوت) ، وخرج منها عالماً متفنناً ، ثم رحل إلى بلاده واجتمع مع الشيخ النجيب التكدادى الأنصمني ، وتتلمذ على يديه ، ثم بعد ذلك تصدر حلقات التعليم ، حيث تتلمذ على يديه العلامة أبوبكر الباركوم ، المعروف بابن أجروم . كما لازم الشيخ محمد البكرى العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيي ، وأخذ عنه شتى فروع العلم ،كما تتلمذ عليه الشيخ عبدالله سك الفلاني البغاوي (2)

ولم أعثر على تاريخ مولده ولا وفاته في المصادر التي اطلعت عليها إلا أن تلميذ أحمد بن يحيى الذي كان ملازماً له توفي سنة 991 هـ / 1583م (3) .

وقد سبق التعريف به

فودي الفقيه محمد ساقوا الونكرى :

فقيه عالم عابد استوطن مدينة جنى ، في أواخر القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادي ، رحل من بلاده بأرض بيط ، وسبب رحيله عنها فتنة وقعت بها . نزل بمدينة جنى وظهر صلاحه وعلمه ، فالتف حوله الناس وأمره سلطانها بالإستيطان بها ، وكان أول عمل قام به تحطيم بقايا الأصنام التي كانت بالمدينة ، ونشر الإسلام بها ، وكان رفيع الشأن عند حاكمها (1) حيث

---

(1) محمد محمد المفتى (مرحبا) التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 95.

(2) مجهول ، تراجم علماء باغرم ، مخطوط ورقة 8 ، ومحمد بن فودي انفاق الميسور المصدر السابق ص 33

(3) نفسه مخطوط ورقة 9

حضر عنده رجل وطلب منه أن يذهب معه الى السلطان ، ويتوسط له بعدم قتله ، فرفض الشيخ محمد في البداية إلا أن الرجل ألح عليه وقال له : روحى على عنقك تخاصمك غداً فذهب معه إلى السلطان وعفا عنه واشترط عليه أن يشاركه في طعامه ، فقبل الشيخ وعندما أحضر الطعام مد الشيخ يده فتورمت يده ، فقال له رأيت ماجرى فقسام وخرج وهو عزيز الجانب .

التقى الشيخ فودي مع الفقيه سيدي محمد بن عمر بن محمد أقيت ، حين سافر إلى جني فأعجبه به حاله ، وأثنى عليه وعندما رجع إلى تنبكت ، أخبر السلطان أسكيا الحاج محمد بعلمه ، فعينه قاضياً على جني ، وهو أول قاضي يحكم فيها بالشرع (1)

أما عن وفاته فلم يرد ذكر لها ، إلا أنه كان حياً في فترة أسكيا الحاج محمد 1493م .

نستفيد من حياة هذا العالم، أن الإسلام لم ينتشر بعمق بمدينة جني ، إلى أن تولى أسكيا الحاج محمد ، ولذلك لم يستطع سني علي تحطيم كل أوكار الوثنية.

الشيخ أبو حفص سيدي عمر بن عبدالقادر بن عيم :

ولد سنة ثمان وتسعين وألف 1098هـ / 1686م ،قال في حقه صاحب المخطوط ، وهو تلميذه« شيخنا الإمام العالم العلامة ، البحر الفهامة ، شيخ الشيوخ ومن له القدم والرسوخ أبو حفص .. كان رحمه الله عالماً عاملاً حافظاً ثاقب الذهن فصيح اللسان مع عفة ووقار وهيبة، تهابه الولاة فمن دونهم لايكاد يراجع في مجلسه لهيبته ، مع انبساطه وكثرة تبسمه ، وإيراده الحكايات المضحكة فيه ، ولولا ذلك لاذهل أهله عن فهم عبارته ولقد حدثني من أثق به ، أنه كان يجالس الولاة ويداعبهم فضلاً عن غيرهم ، ويفد عليه

---

(1) مجهول ،نبذة من تاريخ جنى مخطوط ورقة 6

الملوك ويتجاسر على مخاطبتهم »(1) .

يتضح من النص السابق جوانب مهمة في حياة ونفسية هذا العالم ، الذي علا نجمه . وهذا الوصف جاء عن تلميذه فهو أكثر مصداقية من غيره ، فهو الذي يستطيع إستقراء نفسيته . ولايصل إلى هذه الأمور الحساسة إلا من كان قريباً من نفس الشخص وملازما له ، فهو الذي توصل إلى فصاحة لسانه ، ورسوخ قدمه في العلم بما استفاده منه .

حياته العلمية :-

درس دراسته الأولى بزاوية جده المسماة (تتلان) ببلدة توات قرأ بها القرآن الكريم وحفظه وشيئاً من الفقه ،ثم رحل وهو ابن تسع عشرة سنة ،إلى مدينة فاس ، فأقام بها نحو اثنتي عشرة سنة ينهل من ينابيع العلم من العلماء الذين قابلهم . فأخذ القرآن الكريم عن سيدي محمد السالم التواتي ، وأخذ التفسير عن الشيخ سيدي محمد بن أحمد المسناوي ، وعن الإمام الحافظ الجامع لمذهب مالك ، أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعدانى . ودرس علم الكلام على الفقيه سيدى محمد بن عبدالله السجلماسي ، وعلى الشيخ الفقيه أحمد بن مبارك ،ثم اللطمي وعلى العلامة النحوي أبي عبدالله سيدى محمد بن محمد زكريا الفاسي . وقرأ الصغرى عن جمعهم والكبرى على الأول وأخذ الحديث عن المسناوي المذكور والمعدانى . وكان أثناء تلك الفترة التي كان يتلقى فيها العلم ، يدرس الطلبة بالمدرسة المصباحية محل إقامته .ولما اشتهر أمره طلب منه التدريس في جامع القرويين فدرس به ولتواضعه كان يدرس وهو جالس على الأرض ، وقد طلب منه تلاميذه الجلوس على كرسى التدريس ، فجلس مرة واحدة وهو خجلان من نفسه . وقد كبرت حلقات درسه حتى إن الجامع إمتلأ بالطلاب ، وقد درس عليه الشيخ عبدالرحمن عمر التواتي ، صاحب المخطوط

(1) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 3-4

عدة علوم منها صحيح البخاري ، وشمائل الترمذي والشفاء للقاضي عياض(1) .

وكلما غصنا في بحر هذا العالم وجدناه أكبر وأكثر تلاطما بأمواج العلم، فرحيله من بلاده وعمره لم يتجاوز تسع عشرة سنة إلى مدينة العلم والرقى فاس ، بقصد التعلم، ويعتبر تدريسه بالمدرسة المصباحية وجامع القرويين خير دليل على تبحره في العلم، وكذلك على تقدير علماء المغرب ، وخاصة علماء فاس الذين أفسحوا له الطريق ليتصدر خلقات العلم ،على الرغم من أنه لم يبلغ آنذاك الثلاثين من العمر ، الشئ الذي يبرز لنا مدى رفعة ورقي وتواضع علماء المغرب عامة وفاس خاصة .

تتمثل منهجيته في تحليل النص ونقده ، كلما كان هناك موضع للنقد مثل منهج القسطائي في تدريس البخاري ، والمناوي في تدريس الجامع الصغير ، والشهابي افندى في تدريس الشفاء ، الشيخ السنوسي في تدريس عقائده . وهو أكثر انتقاداً من سابقيه فقل أن يسلم منه مجلسه أحد فقد كان يزجر الطلبة ، فتارة ينتهرهم وأخرى يسكت عنهم لايجيبهم . وكان قليل التدريس لايدرس إلا مرة في اليوم درساً واحداً ، وفي كتاب واحد ، وقد يتخلف عن المجلس لعذر ما ومع ذلك عظم نفعه وانتشر علمه وصلاحه وحسن نيته . مال آخر عمره للطرق الصوفية ، فكان يخرج يوم الخميس من كل اسبوع ليعلم مناصب الطريقة التي تقلدها .

تولى قضاء مدينة توات، عندما خاف من انتشارالفتن والقلاقل بها ، واظهر العدالة واطمأن الناس لأحكامه .

وفــــاتــــه :

توفي رحمه الله، بعد احتجابه عن أنظار الناس عشية يوم الأربعاء ثالث ربيع

---

(1) عبدالرحمن ،عن عمر التواتي ،مخطوط ورقة 3-4

الأول ،سنة اثنتين وخمسين ومائة ألف 1152هـ / 1739م (1)

الفقيه أبو العباس سيدى أحمد بن الحاج الأمين القبلي الغلاوي

قال عنه صاحب المخطوط شيخنا الإمام العلامة الفقيه المشارك أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج الأمين القبلي ثم الغلاوى »

كان رحمه الله عالماً عاملاً فاضلاً جواداً شجاعاً مهاباً متواضعاً ، حسن الخلق ذا معرفة بحفظ فروع الفقه ، مستحضراً إليها ، لاسيما ما اشتمل عليه المختصر وشروحه ، جماعاً للكتب مشاركاً في غير ذلك.

أساذته :

أخذ العلم في بلدة على يد الفقيه السيد المصطفى بن بيان الغلاوي ، وغيره ، ودرس علم القراءات على يد الأستاذ التنوجوي ،والأخير من تلاميذ الإمام المشهور سيدي أحمد الحبيب اللقص (2)

بعد أن نهل من ينابيع المعرفة جلس للتدريس فقد درس عليه الشيخ أبو زيد عبدالرحمن ابن سيدي إبراهيم ، ورافقه في حجته الاولى ، وصحبه من مصر حتى بلاد عين صالح . كما درس على يده صاحب المخطوط ، وأجازه بعد عودته من رحلة الحج الثانية إلى أرض توات ، ونص الإجازة : «بسم الله الرحمن الرحيم ،وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الحمد لله هذا وان أحمد بن الأمين المختار الغلاوي نسباً الشهير بالتواتي ، أجاز السيد عبدالرحمن بن عمر الونكالي نسباً التجاوي بلداً ، في كل ما اجازه السيد الأجل سيدى عبدالرحمن إبراهيم الجراري عنه ، لما استجازني طلباً لتقصير السند وأخرته ذلك بالشرط المألوف عن أهل الاجازة في جميع ماروى عني الشيخ المذكور اعنى سيدي عبدالرحمن بن ابراهيم ، وبهذا كتبه فقير مولاه أحمد بن الأمير

---

(1) عبدالرحمن ،عن عمر التواتي ،مخطوط ورقة 5

(2) نفسه ورقة 45.

المختار الغلاوي نسباً الشهير بالتواتي لطف الله به وبالمسلمين انتهى »(1)

نستنتج من هذه الإجازة رسوخ قدم علماء المغرب وثقلهم العلمي في المنطقة، فهذا سيدى عبدالرحمن الجيراري المغربى ،والمتوطن بأرض افريقيا فيما وراء الصحراء درسه عليه أحد كبار علماء المنطقة

يورد صاحب المخطوط بأنه مكث معه سبعة أيام قرأ عليه واجتمع معه بمدينة أروان ، درس عليه فاتحة الكتاب وأول سورة البقرة ، وكان لايقف على الحزب فقد أورد عبدالرحمن التواتي أنه كان جالساً بعد صلاة المغرب ، والطلبة حوله يقرؤون الحزب بالوقوف فانكر ذلك وقال عادة أهل فاس . فهو اذن له طريقته الخاصة في القراءة .

مـؤلفاتـه :

1- له مؤلف في المنطق بالجيم أجاد فيه

2- تأليف نافع حل نية الدرر اللوامع

3- له شرح على المقنع اختصار أبي مقرع ، في علم الهيئة وفيه فوائد لاتوجد في شرحي الناظم .

رحلاته للحج ووفاته :

حج أبو العباس مرتين : المرة الأولى صحبه فيها الشيخ أبوزيد من مصر ، حتى وصل إلى بلاد عين صالح ، وفي الحجة الثانية توفي بين قريتي (مرزق)(2) واتساوه (تراغن) (3) من بلاد فزان (43) ودفن ضحى يوم

---

(1) عبدالرحمن عن عمر التواتى ، مخطوط ، ورقة 45،46.

(2) مرزق : تقع إلى الجنوب الغربي من سبها ،وتبعد عنها بحوالي مائة وثمانين كيلومتراً ،وتعتبر من أهم المدن في فزان حيث ازدهرت بالتجارة ، وسلكتها قوافل الحجاج القادمين من المغرب .

(3) تراغن : تقع جنوب مدينة سبها وتبعد عنها بحوالي مائة واربعين كيلومترا تقريباً، وتبعد عن مرزق من جهة الشرق بحوالي ستين كيلومتراً تعتبر تراغن من اهم البلدان الواقعة في وادى الجفرة أراضيها خصبة ومياهها الجوفية وفيرة

(4) تقع في الجزء الجنوبي من ليبيا ، قال عنها ياقوت ، بفتح او له وتشديد ثانية .. ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ياقوت الحموى معجم البلدان ،المصدر السابق ج1/ص260

الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ومائة وألف 1157هـ /1744م(1)

من خلال العرض السابق يتضح الآتي :

1- تبحر هذا العالم في العلم

2- منهجيته المستقلة .

3- حبه لطلب العلم ،فقد قام برحلتين إلى الحج لأن رحلة الحج هي مدرسة ، يلتقي فيها الحاج بعلماء تلك المناطق ،التي يمر بها وعند وصوله إلى الأراضي المقدسة تكون الفائدة أعم وأشمل بالجلوس ،في حلقات الدرس مع جمع من علماء الحجاز أو الوافدين عليها .

4- يترجم مروره عبر الأراضي الليبية عن الرقي الأمني والعلمي .فالحاج عادة يسلك طريقاً آمنة ، ويمر على مدن مزدهرة حضارياً ،لأنه يجلس في كل مدينة للتعلم والتعليم وفزان بليبيا عرفت عنها النهضة العلمية منذ أمد بعيد ، وخير شاهد على ذلك أن حسن الوزان كانت دراسته الأولى بها .

العالم محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب الله بن الفقيه المختار التنبكتي .

ولد بمدينة تنبكت ولم نعثر على تاريخ ولادته ، قال عنه أحمد بابير الأرواني كان مشاركاً في عدد من فنون العلم (2) درس العلم على يد عدد من علماء عصره فقد أخذ عن الفقيه عبدالرحمن بن الفقيه محمود بن عمر ، وحضر حلقات الفقيه محمد الونكرى في الفقه ،والكلام ، والنحو ، وكان يكاتبه ويوجه له الأسئلة . وكذلك لزم الشيخ أحمد في علم النحو إلى أن تمكن منه ، ثم قرأ على الفقيه الأمين جملة من مختصر خليل ، وأكمله على الفقيه محمد بن محمد كرى ، لما تولى التدريس بمسجد سنكري ، وسمع التوضيح

---

(1) عبدالرحمن بن عمر التراتي ، مخطوط ورقة 64- 65

(2) احمد بابير الارواني ، السعادة الابدية مخطوط ورقة 44

عن ابن الحاجب ، وتتلمذ عليه في جمع الجوامع . وسمع الموطأ والمدونة عن الفقيه عبدالرحمن بن أحمد المجتهد ، ودرس روايتي ورش وقالون دراية على العالم سيدي ابن عبدالمولى الجملال وعلي عبدالله بن الفقيه أحمد يرى واعطاه إجازة في الشفاء والبخاري (1)

مـــؤلفاته :

أ- شرح ألفية السيوطي ، وأطلق عليها المنح الحميدة في شرح الفريدة في النحو .

قال عنه البرتلي أنه شرحها «شرحاً غريباً مفيداً »وشواهد الخزرجي وله طرره على مقامات الحريرى ، وله حاشية على البخاري لم تكمل ، وقصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم (2)

وفـــاتـــه :

اختلف في تاريخ وفاته ، فقد أورد أحمد بابير الأروانى أنه توفى عام 1044هـ / 1634م (3) وأورد البرتلى أنه توفي بعد صلاة الصبح صبح الخميس لخمس باقين من شعبان عام أربعة عشر بعد الألف 1014هـ/ 1595م .

وأمام الرأيين فاني أميل إلى الرأي الثاني لأنه أورد سنة وفاته بدقة .

الشيخ العالم ابو العباس سيدي احمد بن صالح السوقي التكرورى

علم من أعلام افريقيا فيما وراء الصحراء ، ولد بمدينة السوق لم نعثر على تاريخ ولادته ، إلا أنه كان معاصراً للشيخ سيدي عمر بن العلامة سيدي محمد المصطفى بن الفقيه سيدي أحمد الرقادي الكنتي أي حوالي 1157هـ/ 1744م.

شمائله وأسلوبه في التدريس :

كان عالماً صالحاً متواضعاً حليماً نزيهاً وجيهاً عفيفاً ، ملازماً للتدريس في

(1) نفسه والورقة . والبرتلى المصدر السابق ص 111

(2) نفسه ورقة 45

(3) نفسه والورقة .

أغلب أوقاته ، وكان حسن الخلق ، حليماً صبوراً على جفوة أهل البوادي، لأنهم أكثر أهل مجلسه فبعضهم متكئ على شقه وآخر مستند إلى الحائط ، وهو مع ذلك يداعبهم ويضاحكهم ويباحثهم ، ويأتي العاصي منهم ممسكاً بيده ويقيمه من المجلس ويناجيه ساعة ، حتى يفرغ من حاجته فيرجع لمجلسه ، وتارة يناجيه في المجلس ، وتارة يكلمه جهراً فيقطع التدريس ويقضي حوائجهم مع علو منزلته ومكانته ، وهيبته في القلوب عند الخاصة والعامة وهم يعظمونه أكثر من تعظيمهم لشيوخهم .

وقد أورد صاحب المخطوط عن حسن خلق هذا العلم قوله : «ومن حسن خلقه لقد كنت يوماً في مجلس درسه فرأيت صبيا ممسكا قرداً وكنت لم اره قط فبانت مني التفاتة إليه ،فعرف أني أريد النظر إليه ، فقال لي : هل تحب أن تنظر إليه فتبسمت منكساً رأسي حياء منه ، فدعا ذلك الصبي وأدخله في المجلس بقرده ، وأوقفه بين يدى وقطع التدريس حتى عرف أني قد قضيت حاجتي من النظر إليه فأمره بالانصراف ورجع إلى التدريس .

ومن شمائله أنه لما قدم عليه صاحب المخطوط ، من مدينة تنبكت وجده جالسا فعرفه من بعيد فقام إليه أبو العباس سيدي أحمد ، ومشى حتى وصله فصافحه وسلم عليه وسأله عن حاله ورجع إلى المجلس .وقدم عليه مرة أخرى من بلاده فبعث له أبو العباس كبشاً ضيافة له .

تدريس العلم ومن درس عليه :

كان شيخنا يخصص جل وقته للتدريس بأروان ، وكان يجلس للتدريس من صلاة الصبح الى القيلولة ، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، ومنها الى صلاة المغرب ، وقد يدرس بين المغرب والعشاء ومن العلوم التي كان يدرسها علم الفقه ، والمنطق ، والحساب ، والقراءة والعروض والأصول ، وعلم الكلام وعلم

التشريح (1) وغيرها . وقد كان يدرس بأربع لغات هي العربية الصريحة والعامية ، والبربرية ،والطوارقية ، والفلانية . أما الكتب التي كان يدرّسها فهي صحيح البخاري والشفاء وغيرها.

ومن تلاميذه الشيخ عبدالرحمن عمر التواتي ، الذي طلب منه إجازات علمية فأجازه عندما عزم على الرحيل إلى بلدته بمانصه ،وبعد فيقول كاتبه أحمد بن صالح قد اجزت الأخ الحبيب ، والسيد اللبيب ، ومن صاحبنا وشاركنا في العلم . .عبدالرحمن بن عمر »(2)

رحلته إلى الحج :

ذهب إلى الحج برفقة تاجر من بلدة أروان ، ومر على القاهرة واشترى حملاً من الكتب من ماله الخاص ، والتقى في القاهرة برجل كان والده عالماً ، فاستضاف الشيخ وأطلعه على خزانة والده ، وأعطاه منها عدة كتب وقد أورد صاحب المخطوط أن أغرب ما أتى به من الكتب كتاب إذا قرئ عرضا يفيد تاريخيا وإذا قرئ طولاً تضمن خمسة فنون وهكذا كل ورقة منه (3)

أعتقد أن هذا الكتاب ليس بالغريب ففيه المتن والحواشي

من خلال العرض السابق لحياة هذا العالم الجليل نستنتج الآتي :

1- إنه من كبار علماء بلدة أروان ، وهذا يفسر لنا إلمامه بهذه العلوم ، واقتناؤه لحمل من الكتب في رحلة واحدة هو الآخر برهان على ذلك

2- تدل حياة هذا العالم على ماكانت عليه مدينة أروان من رقى حضارى

3- ان صفات العالم كلها متوفرة فيه ، فغزارة علمه وتواضعه وصبره على

---

(1) علم التشريح ليس بالمفهوم الحديث فالتشريح كان عبارة عن فتح على ورم خارجي في الرجل او اليد بآلة حادة لكي يستخرج منها المادة ثم يضعون فيها وفوقها نوعاً من الاعشاب ويربطونها والى اليوم يوجد هذا في الصحراء

(2) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 39-40انظر نص الاجازة والتعليق في جزئية هذا الفصل فقرة الاجازات العلمية

(3) عبدالرحمن بن عمر التواتي مخطوط ورقة 40

المتعلم ، وكيف يعامل المتعلم الكبير والصغير وقصة عبدالرحمن بن عمر التواتي ، والقرد خير دليل على ذلك فهو عالم بعلم النفس التربوي ، دون ان يذكر ذلك من بين علومه .

4- شخصيته تنم عن صفاء سريرته ، وحبه للخير بقضاء حوائج الناس .

5- كان الشيخ قد وهب جلّ وقته للتعليم والتعلم ولذلك نعتقد أنه لم يكن متزوجاً

6- رحلته إلى الحج تدل على أنه حريص على اكمال أركان الإسلام، وعلى حبه في التعلم من العلماء الذين يقابلهم في طريقه ، وفي الأراضي المقدسة

7- ينم النص السابق على أنه يتقاضى راتبه من الطلاب نظراً إلى انشغاله بالتدريس طول الوقت .

الشيخ الفقيه طالبن بن القاضي السيد الوافي بن طالبن ت 1180هـ/ 1766م

هو العلامة طالبن الملقب بسنيبر بن الوافي بن طالبن بن محمد بن أحمد ابن آدي لم نعثر على تاريخ ولادته إلا انه توفي عام 1180 هـ / 1766م ولد بمدينة أروان وتعلم جزءاً من تعليمه بها ، برع في الفقه ، والنحو ، وتلقب بسنيبر ، ومعناه باللغة السودانية العربي الكبير (1) قال عنه البرتلي : من صدور الفقهاء وأعلام النجباء .. رفيع الدرجة عالي الهمة بحر في الدراية والرواية إمام محقق مشهور ، بحر متلاطم الأمواج قاضي القضاة وإماما محققا مشهورا ..

أساتذته :

درس على يد الفقيه الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي ، نحو ثلث خليل . كما درس على يد الشيخ أحمد بن الشيخ السوقي الحديث ، والفقه وصحيح مسلم ، والخصائص الصغرى للسيوطي ، كما أخذ عن الشيخ محمد

---

(1) البرتلي ،المصدر السابق ص 102-103

بن محمد بغيغ بن محمد كورد كتاب الإيمان (1)

مؤلفاته وجلوسه للعلم :

ألف فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف وصنجة الوزان في نوازل أروان (2) .

تتلمذ على يديه الشيخ عبدالرحمن بن عمر التواتي ، قد أجازه في العلوم التي درسها عليه من فقه ونحو وغيرها (3)

ونص الاجازة الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،وعلى آله وصحبه والتابعين لهم جميعاً وبعد فيقول كاتبه طالبن ابن الوافي بن طالبن بن محمد بن أحمد بن آد ، قد اجزت الأخ عبدالرحمن بن عمر التواتي ، بلغه الله من العلم النافع مناه وحماه من كل مايقيه ، وينجينا أن يروى عني جميع مروياتي عن شيوخ من الحديث والفقه ، وغيرهما بشرط الوقوف عندما اشكل ، والمراجعة لما اعقل ، واوصيه ونفسي بتقوى الله العظيم والمراقبة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . أما صحيح البخاري فقد رواه عني قراءة منه علي من أوله إلى آخر بدء الوحي وأول كتاب الإيمان ، ومن ثم إلى آخر الصحيح إجازة مقرونة بالمناولة ، على الشرط المألوف عند أهله ، كما أخبر به الشيخ محمد بن محمد بغيغ بن محمد كورد ، إجازة وقراءة مني عليه ، من أوله إلى آخر بدء الوحي ، وأول كتاب الإيمان ، ومن هناك إلى آخر الكتاب إجازة مفروضة بالمناولة قائلاً : اخبرني به سيدي والدى الفقيه الإمام محمد بغيغ ، بجميعه قراءة مني عليه وسماعاً منه ، بلفظه غير مرة كما اخبره بذلك شيخه ووالده . الفقيه الهمام أبو عبدالله الإمام محمد كورد إلى آخر السند المتقدم ، عن شيخنا أحمد بن صالح ، قبل هذا الاشتراك بينه وآن كان قد وقع في كل من

---

(1) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 40 - 41.

(2) البرتلي ، المصدر السابق ص 103

(3) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 40-41

سنديهما تخالف ، لأن ذلك من النساخ ، وأما صحيح مسلم فقد رواه عني قراءة منه علي من أوله إلى المقدمة . وأول كتاب الإيمان من ثم إلى آخر الصحيح إجازة مقرونة بالمناولة على الشرط المألوف عند أهله كما أخبرني به شيخا والدي وشيخ سيدي أحمد بن الشيخ السوقي قائلا اخبرني به الشيخ محمد بن محمد بغيغ إجازة قائلاً اخبرني به شيخنا ووالدي محمد بغيغ قائلا اخبرني بذلك سيدي ووالده الإمام محمد كورد قائلا اخبرنى بذلك شيخنا ابوعبدالله محمد أبو العباس أحمد ، ابنا اندغ محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد إجازة ، ومناولة قائلا الأول اخبرني بكتاب المسند الصحيح تأليف الإمام الحافظ ابن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، إجازة لجميعه شيخنا الأجل بن بركات بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الخطاب الملكى لعلمها المكي ، بمنزلة بمكة المشرفة في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وتسعمائة (981هـ/ 1573م) قال اخبرنا به الوالد محمد بن عبدالرحمن الحطاب قراءة عليه بجميعة بالمسجد الحرام قال أخبرنا العلامة شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي إجازة لم يكن سماعاً قال اخبرنا به المسند الرحلة عبدالرحيم بن محمد بن الفرات القاهرى

وأما كتاب الشفاء فقد رواه عني قراءة منه علي من أوله إلى آخر المقدمة وأول القسم الأول ، ثم إلى آخر الكتاب إجازة مقرونة بالمناولة ، على الشرط المألوف عند أهله كما أخبرنا به شيخان والدي . وشيخه سيدي أحمد السوقى ، قائلا : أخبرنا به شيخنا محمد محمد بغيغ إلى آخر السند السابق .. وأما الموطأ فقد رواه عني قراءة منه علي من أوله إلى آخر المواقيت ، وأول الوضوء ومن هناك إلى آخر الكتاب إجازة مقرونة بالمناولة عند أهله .. أخبرني به إجازة سيدي القاضي أبو حفص التنبكتي .. كما أخبرنا به سيده الفقيه العلامة أحمد بابا .. كان الله لنا وله وجمعنا واياه في الفردوس الأعلى امين يارب العالمين وبه كتب وكرر

اسمه عبيد ربه طالبن بن الوافي بن طالبن بن محمد بن أحمد آد قائلا : إنما أجزت الأخ المذكور ، لما رجوت لنفسي وله من الدخول بذلك في زمرة من له النساب إلى الجناب العالي جناب سيد المرسلين أنساب العلم ..(1) من خلال النص السابق للاجازة يتضح الآتي :-

1- الديباجة التي تكتب بها الإجازة تبدأ بالحمد والثناء والتصلية على الرسول صلى الله عليه وسلم

2- اسم المانح للإجازة وتبحره في العلوم الدينية

3- اسم المجاز وكيفية تقديمه من طرف المجيز بالدعاء له .

4- بدأ صاحب الإجازة بذكر أهم المرويات التي سيرويها عنه المجاز وهي الحديث والفقه ، كما يطلب من تلميذه إذا ما حدثت أية مشكلة علمية أن يراجعها ويتحرى الحقيقة .

5- بدأ بأول الكتب وهو صحيح البخاري ، وحدد الذي سيرويه عنه تلميذه في هذا الكتاب ، وشيخه الذي أخذ عنه هذا العلم ومشائخ شيخه ومشائخ شيخه الخ ..

6- حدد الجائز الاجازة بشروط مقرونة بالمناولة ، على الشرط المألوف إجازة وقراءة ويذكر عدد المرات التي سمعها منه .

7- ذكر أنه أجازه كتاب الإيمان ، وذكر شيخه ومشائخه ومشائخ مشائخه .

8- تكشف لنا الاجازة على ان طلاب العلم في افريقيا فيما وراء الصحراء ، كانوا يتلقون بعض العلوم عن آبائهم إذا كانوا علماء .

9- توضح الاجازة في بعض الأحيان ، المكان الذي منحت فيه الاجازة مثل منزل بمكة المكرمة .

10- من بين الكتب التي أجازها المانح ، للطالب كتاب الشفاء وقد أخذه عن

---

(1) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 42-43

والده

11- توضح الاجازة سمو وخلق المانح ، فهو يذكر والده الذي أخذ عنه حزءاً من العلم ، ويقول شيخنا والدي وشيخه

12- كشفت الاجازة عن أسماء علماء من افريقيا فيما وراء الصحراء ، مثل أحمد بابا والسوقي وبغيغ الخ .. وعلماء من الشمال الإفريقي السخاوى والحطاب الخ ..

13- يتضح من الإجازة أن جل العلوم الممنوحة علوم دينية ، وهى المسيطرة على التعليم في فريقيا فيما وراء الصحراء

14- اختتم صاحب الاجازة إجازته بالدعاء له ولتلميذه بالتوفيق .

لقد كان الفقيه طالبن على معرفة بالنوازل ترفع إليه من أقاصى تلك البلاد ، وكان وافر الخزانة وملازماً للتدريس والمطالعة طوال عمره ، كانت عادته ان يقرأ كل يوم الموطأ والصحيحين وهكذا (1) طوال السنة

وفاته

توفى رحمه الله بمدينة تنبكت (2)عام ثمانين ومائة وألف 1180 / 1966م بعد أن اعتزل الناس ، ودفن بجوار ألفا مغيا (3)

سيدي عمرو بن سيدي محمد المصطفى بن الفقيه سيدي احمد بن الرقادي الكنتى

هو العالم سيدي عمر بن العلامة سيدي محمد المصطفى بن الفقيه الولى الصالح ، سيدى أحمد بن الرقادي الكنتي من بلدة أروان لم أعثر على تاريخ ولادته ، إلا أنه توفى عام 1157هـ1744م

---

(1) البرتلى ، المصدر السابق ص 103

(2) يقال انه مدفون في مقبرة تنبكت التي تقع الى الشمال منها وتبعد عنها بعشرة كيلومتر زرتها برفقة صديقي عادل الأرواني عام 1985انضر الملحق ص

(3) مجهول ، حديقة البستان على تواريخ اهل اروان ، مخطوط ورقة 13.

شمائله :

كان رحمه الله عالماً متواضعاً حسن الخلق ، لين العريكة محباً للطلاب ، لايتكبر ولايحتقر ، مع سمو ، وعلو منزلته ، وتعظيم الأكابر له ، لايراه أحد الا احبه واحترمه ، كان جواداً كريم النفس ، فصيحاً فقيها ، نحوياً لغوياً ، اديباً شاعراً ، محفوظ اللسان وجيهاً نبيهاً ، ولهذه الصفات الحميدة ، تعلق به طلاب العلم ، وتوافدوا عليه من كافة الأماكن ، ومن بينهم صاحب المخطوط الذي قدم إليه من بلدة توات ، بعد أن التقىٰ به في زاوية عم والده ، فأعجب به وبعلمه وعندما رحل الشيخ عنهم لم يطق عبدالرحمن فراقه ولحق به في بلدة أروان حيث مكث معه فترة من الزمن ينهل من ينابيع المعرفة لقد قال عنه تلميذه عبدالرحمن التواتي لقد احزنني فراقه وكاد يقطع قلبي اشتياقاً .. فقدمت عليه ففرح بي فأقمت عنده سبعة أيام فالفيته مع طلبة بلده في غاية الاجتهاد في التحصيل والمذاكرة يدرس .. فأعجبني ذلك وأنساني أهلي ومالي»(1)

أســــاتذتـــــه :

درس سيدي عمر في بلدته ، على السيد محمد الصالح بن المقداد ، وبه انتفع كما درس على الأديب سيدى محمد بن آب .. وأخذ عن الفقيهين سيدي محمد بن عبدالمؤمن ، والسيد أحمد بن حماد وغيرهما .

لقد كان الشيخ يأخذ عن كل من لقيه من العلماء ، ولو كان ادنى منه ، يشتغل بما يعنيه من قراءة واقراء ، واسماع وتغيير ، لايمل من ذلك حريصاً عليه يدعو من يظن به العلمية التعلم إلى نفسه ، ويلح عليه ويصابره ، وكان يمتلك مكتبة ضخمة جمع فيها نفائس الكتب ولعبت دوراً كبيراً في تكوينه العلمي والأدبي (2)

---

(1) عبدالرحمن بن عمر التواتي ، مخطوط ورقة 31-32

(2) نفسه والورقة .

جلوسه للتعليم :

كان الشيخ منظماً أوقات التدريس ، يجلس للتدريس من الضحى إلى قرب الظهر ، ومن بعد صلاة الظهر يقرأ صحيح البخارى مع شرحه للقسطانى ، يقرأ باباً من المتن ويتبعه بالشرح إلى العصر ، ويدرس بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب ومن بعد صلاة المغرب يقرأ التصريح للشيخ خالد الازهري ، ويراجع مع غيره ما احتاجوا إليه من الكتب

ومن أسلوبه في التدريس أنه كان يداعب طلابه ، ويلين لهم الجانب وكان يدرس حتى العبيد

وقد أخذ عنه صاحب المخطوط علم اللغة ، وفوائد وحكم الشعر . وقد ذكر عبدالرحمن التواتى أنه اكتسب منه ادباً وانتفع بكتبه وحضر دروسه في الفقه والنحو (1)

من خلال الحديث عن جلوسه للتدريس يتضح الآتى :

1- ان الشيخ سيدي عمر كان مكرساً كل وقته للفائدة والاستفادة

2- ان مانسميه اليوم في العملية التعليمية بالتربية الحديثة كان معروفاً منذ أمد بعيد ، فصاحبنا كان مطبقاً لهذه التربية على طلابه .

حجه ووفاته :

طلب الأمير سيدي محمد بن أبي نعامة صاحبنا للحج معه فأجابه ، وحج معه وعند رجوعهم من الحج وتعمقهم في الأراضي الليبية جنوباً توفى سيدي عمر في أرض (زويله)(2) بفران ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثاني ، سنة سبع وخمسين ومائة وألف 1157هـ / 1744م (3)

---

(1) عبدالرحمن بن عمر التواتي ،مخطوط ورقة 31-32

(2) عبدالرحمن بن عمر التواتي ،مخطوط ورقة 31-32

(3) زويلة مدينة ليبية تقع الى الجنوب الشرقي من مرزق وهي قاعدة فزان افتتحها عقبة بن نافع سنة 22 هـ بعد فتح برق للمزيد انظر ابن غليون المصدر السابق ص65

في ختام الحديث عن بعض العلماء الذين تجاوزت حياتهم فترتي الدراسية المحددة ، تركت عنان قلمي للكتابة عنهم ، يقيني في ذلك أن العلماء لايحددون بفترة زمنية معينة ، فجل العلماء الذين تناولتهم في دراستي ، كانوا متعلمين ومعلمين في فترتي وتجاوزت حياتهم الفترة المعينة ، وخاصة الذين تحدثت عنهم فقد كان جلهم من العلماء المغمورين الذين لم تتحدث عنهم المصادر المطبوعة بحسب حد علمي ، ولذلك فإن الحديث عنهم مهم جداً .

أدب الرحلات في إفريقيا فيما وراء الصحراء .

شغف علماء وجزء من حكام إفريقيا فيما وراء الصحراء ،بالتنقل والترحال وكان جل رحلاتهم إلى الأراضي المقدسة بقصد الحج والتعلم والإطلاع وكانوا في رحلاتهم يمرون بالشمال الإفريقي مروراً بمصر ، إلى ان يصلوا إلى مكة وغيرها .

كان لبعض حكام افريقيا فيما وراء الصحراء رحلات للحج ومنها رحلة اسكيا الحاج محمد الكبير ، إلى الأراضي المقدسة ، والتي توجت بحصوله على لقب أمير المؤمنين ثم تلتها رحلات أخرى لبعض حكام المقاطعات ومن هؤلاء الحاج موسى الأموى أمير مقاطعة كنى ، الذي قام برحلة إلى الأراضي المقدسة عام 1011هـ / 1602م وقد سبقه والده عثمان الأموي برحلة إلى الحج عام 1009هـ / 1600م أي بعده بعامين

قام الحاج موسى بهذه الرحلة بعد ان سيطر على أهالي كمكم ، الذين كانوا كثيراً ما يثيرون الشغب عليه وقد رافقه في هذه الرحلة خمسون ألف إنسان وبعض من رفاقه منهم الحاج عثمان سكنوا ، والحاج محمد ترور ، والحاج عمر جبغني والحاج عبدالمؤمن كني والحاج مصطفى الطور ، والحاج اسماعيل البابي ، وسالم سالم القسمي الذهبي ، وعبدالقادر الفوفاني ، والحاج السالم السواري ، والحاج نوح بغيغ ، والحاج محمد جاى ، وغيرهم من العلماء ، وكان وأمامه

ثلاثة الاف من الشبان يحملون مناقير الذهب (1)

وعند وصوله إلى الاراضي المقدسة التقى بوالده عثمان وابنه وبعد أداء فريضة الحج رجع الاثنان معاً إلى افريقيا فيما وراء الصحراء ، وكان عثمان وابنه موسى كلما مرا بمدينة إذا لم يكن بها مسجد شيدوا بها مسجداً .

وقد بنى مسجداً في كوار ومسجد كوارير وغيرهما وكان يصحب عثمان اثنا عشر ولداً وتسع بنات من بينهم عباس وابوبكر موسى ، صاحب الرحلة ، والقاضي محمد وفود سور وعبدالرحمن (2)

وفي المقابل كانت هناك رحلات من أهل الشرق العربي ، إلى افريقيا فيما وراء الصحراء وهذا خط سير رحلة أحمد الصقلي من مكة إلى تنبكت ، فقد سلك خطة ابتدائه من مكة إلى بغداد – ومن بغداد إلى الطائف ، إلى مصر – ومن مصر إلى الاسكندرية ، ومن الاسكندرية الى (مصراط) (3) ومن (مصراط الى بنغازي) (4) الى تنبكت (5) أما العلماء فكانوا شغوفين بالرحيل إلى الأراضي المقدسة أكثر من الحكام لأن الذي يحركهم هو الإيمان ، وحب التعلم والتعليم ومن خلال دارستنا لعدد من مخطوطات ، ومطبوعات لعلماء افريقيا فيما وراء الصحراء وجدنا لديهم رحلات إلى الأراضي المقدسة ، إلا أنها لم تكتب كرحلة مستقلة بذاتها وترد ضمن الحديث عن الشخصية وقد سبق ان تحدثت عن بعضهم في هذا الفصل باستثناء رحلة أبي سالم عبدالله بن محمد ابن أبي بكر التنبكتي (6) والتي لم يكشف النقاب عنها من قبل .

هذه الرحلة قام بها من مدينة تنبكت ، إلى الأراضي المقدسة عبر الشمال

(1) محمد محمد المفتي (مرحبا) التاريخ الخاص بالتواتر مخطوط ورقة 43

(2) نفسه ، ورقة 43-44

(3) تكتب في تلك الفترة بالسين ومحمود كعت نفسه ذكرها بالسين عندما ذكر التاجر عبدالواحد المسراتي

(4) اخطأ كعت ، فمدينة بنغازي قبل مدينة مصراتة والمسافة التي تفصل بينهم سبعمائة كم

(5) محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ص 23.....

(6) ابوسالم عبدالله بن محمد بن ابي التنبكتى رحلته الى الاراضي المقدمة مخطوط مكتبة الباحث بدون تصنيف

الإفريقي مروراً بالمغرب ومصر وكان أكثر تركيزاً على العلماء الذين التقى بهم وأجازوه وهم ينقسمون الى قسمين :

1- علماء المغاربة كأبي بكر يوسف المراكشي وغيره (1)

2- علماء المشرق بمن فيهم علماء مصر ، العالم زين العابدين أبو الحسن علي الأجهوري ، يقول صاحب الرحلة لقيته بدار الأزبكية بالقاهرة مرتين ، وسمعت منه بعض ثلاثيات البخاري وبعض عشاريات ابن حجر .. وتوفي شيخنا سيدي علي الاجهوري سنة ستة وستين والف (2) 1066هـ / 1655م

ومن العلماء الذين قابلهم في مصر الشيخ ابراهيم الميموني وقد أورد صاحب الرحلة في ذلك « .... الفقيه المعقولي المحدث البياني الشيخ إبراهيم بن الشيخ شمس الدين الميخوني لقيته بداره بالقاهرة ، قرب الجامع الأزهر أول مالقيته، يوم عيد الفطر ولم أزل أتعهد مجلسه مدة إقامتي بمصر حرة في الفيوم ..» (3) ثم يورد مروره ببسكره قائلاً :

« شيخنا نخبة الفضلاء ،ووساطة عقد النبلاء .. ابن محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري كنت لقيته أول رحلتي ببسكرة ، وذاكرته ولم آخذ عنه شيئاً ،ثم لقيته بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانية بمصر ، وقرأت عليه واستفدت منه .. وأجازني .. »(4)

أما في مكة فقد التقى مع محمد بالعلوي الحضرمي اليمني ، وأورد ذلك قائلا « ومنهم شيخنا المحمود الشمائل الفاضل الشريف .. السيد محمد بالعلوى الحضرمي اليمني ، نزيل مكة المشرفة واحد الاشراف المشهورين ، لقيته بداره بمكة ولقنني الذكر وألبسني الخرقة ..» (5)

---

(1) نفسه ورقة 10

(2) نفسه ورقة 11

(3) نفسه والورقة

(4) ابوسالم عبدالله بن محمد ، مخطوط ورقة 31

(٥) نفسه والورقة

وقد رجع إلى بلاده بعد رحلة استغرقت اثنتى عشرة سنة من هنا ندرك بما لايدع مجالاً للشك أن هناك رحلات مدونة لعلماء من افريقيا فيما وراء الصحراء .

أدب الرسائل

انتشرت كتابة الرسائل في افريقيا فيما وراء الصحراء ، بانتشار العلم والمعرفة ، وتنوعت أغراضها فكانت هناك مراسلات سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، واتخذ الحكام وعامة الناس كتاباً للرسائل ، وكان جلهم من الشمال الإفريقي وخاصة من المغرب ، من أمثال السجلماسي ، ومن ليبيا مثل فياضي الغدامسي وغيره .

وهذه الرسالة من أعيان تنبكت إلى أمير المؤمنين أحمد بن أحمد ، وهي عبارة عن شكوى نقتطف بعضاً منها ، ونصها « ... الحمد لله الذي نصب السلاطين والأمراء لإثبات كل ذي حق حقه .. نزل من أعيان تنبكت البيضان والسودان ، إلى أمير المؤمنين أحمد بن أحمد كافل الأرامل والأيتام والضعفاء ..

فقد بلغنا ماجوبتنا أنك رأيت براءتكم .. ما رأيت نقض تلك القضية .. مع ذلك الحاكم أحمد بن ألف عمر بين يديك فإذا ثبت لكم الحق عليكم فاحكم .. وانما اردنا الشريعة على الكتاب والسنة كما اجبتنا إليه المشارعة » (1)

وهذا نموذج من البراءة التي كتبها أسكيا الحاج محمد الكبير إلى من يأتي بعده ، ونصها «هذا كتاب أمير المؤمنين قامع الفجار والكافرين ، أسكى الحاج محمد بن أبي بكر إلى وراثه المسدد والقائم بأمره المؤيد للمؤمنين أحمد المنصور ، فالسلام أشهى من كل مشتهى ، واكرام أنوار من الدرر وابهى ، يخصك ويعم على كافة من منك وإليك بروح وريحان ، فموجبه إليك أيها الاخ أكبر البر

(1 مجهول رسالة من اعيان تنبكت من بيضان وسودان ، الى امير المؤمنين احمد بن الشيخ الرسالة عبارة عن شكوى مخطوط مكتبة الباحث بدون تصنيف (تاريخها كان حياً 1120هـ 1780) انظر الملحق ص 787

الصالح أعلامك ، وتبشيرك بأنك آخر الخلفاء وقاهر الاعداء وهادي السعداء باتفاق العلماء ، ونحن نطلب منك الدعاء ، وأن أكون يوم القيامة في كريم زمرتك ، كما نسأل الله العصمة من فتن الزمان ، ونرجو من الله سبحانه أن يجعلنا وإياك في زمرة خير الورى آمين (1)

من خلال النص السابق تتضح عدة جوانب هي :

1- الصيغة التي تكتب بها البراءة زمن أسكيا الحاج محمد الكبير

2- انتقاء الكلمات المعبرة والبليغة والأسلوب السلس

3- تكشف البراءة على أن أسكيا الحاج محمد ، كان يطلق على نفسه أمير المؤمنين .

4- تبين البراءة جهاد اسكيا الحاج محمد من خلال عبارته المقاتلة

5- توضح البراءة الكيفية التي يخاطب بها وريثه الذي يتخيله فبادره بالسلام

6- من خلال النص نتعرف على نفسية أسكيا الحاج محمد ، الذي يؤمن بالجوانب الغيبية ، ويصدق بعض كلام العلماء ، في ذلك الأمر الذي يدل على أن الإيمان لم يتجذر في نفسه

وهذا نموذج آخر من الرسائل السياسية ، إلا أنها تختلف عن سابقاتها لأنها موجهة من حاكم مقاطعة ، وهو الأمير مود إلى العالم سيدي أحمد أكاد بن سيدي صالح الأرواني وبالرغم من أنها مبتورة الآخر . إلا أنها لم تحرمنا من فائدتها العلمية : نص الرسالة « بسم الله الرحمن الرحيم ،مولى النعمة ، وموتى الرحمة ، وكاشف الغمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي الأمة ، وعلى آله وأصحابه الناصحين للخاصة والعامة .

هذا وإنه من الأمير الناصح الأعز ، الفاضل الماجد الأبر « بل بن مود » أصلح

---

(1) محمود كعت المصدر السابق ص 15

الله به وعلى يديه الحمر والسود ، إلى عنصر المجد وتليده ، ودوحة الكرم وسيلة خليفة السلف الخلف ، سيدي أحمد الحبيب بن سيدي أحمد أكاد بن سيدي صالح الأرواني ، نفعنا الله وإياه بفضله الأماني سلام تام وإكرام عام يخصك ، ويعم كافة من منك وإليك ، والأعلام ياسيدي ، انه بلغني كتابك العزيز ، بكلامك الوجيز ، صحبة رسولك سيدي بكر فحمدنا الله تعالى (1) على حياتك وعافيتك ، ووفاق مارجوته فيك على وفق المراد وفرحنا به غاية الفرح والسرور ، ولكنا وجدنا الأمر لايمكن لقاء إلا بحضورك ، لأنا نحب مشورتك على كل مانريد أن نفعل من أمور هذه الأرض ولاتخفى عليك من أمورها شيئاً لما تريدان . .» من خلال النص السابق يتضح الآتي

1- الطريقة التي تكتب بها رسائل الحكام إلى العلماء وفي هذا النموذج نجد الأمير يمدح نفسه ، وأعتقد أن لهذا الأمير كاتب رسائل ولذلك فهو لايستطيع أن يذكر اسم الأمير مجرداً

2- مكانة العلماء في نفوس بعض الحكام

3- الفقيه سيدي أحمد الحبيب كان قد بعث لهذا الأمير وهذه الرسالة رد عليه .

4- رسالة الفقيه للأمير تظهر مكانة الأمير لديه ، ويبدو ذلك من عبارات الأمير للفقيه مثابك العزيز بكلامك الوجيز - ولكنا وجدنا الأمر لايمكن إلا بحضورك لنا نحب مشورتك الخ . .

وهذا نموذج آخر لأدب الرسائل من مواطن فلاني ، إلى امام تنبكت أحمد بن محمد بن أبي بكر .

نص الرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم ،أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله من عبد ربه . . إلى الامام أحمد بن محمد بن أبي بكر ،

(1) وردت في النص تعلى

وفقه الله لمرضاته بسلام تام وإكرام عام .. أعلم أن العادة التى عودتني واصل الله عليك عوائده خيره ، ولاقطع عنك موجبات رحمته ، ومما ينبغي إعلامك به أن تعينني ، أعاننا الله وإياك على شدائد الدنيا والآخرة ، ببيوت أحباس المساجد بتنبكت ، وهى ثلاث ديار ، ولو بشئ منها لاننتفع بكرائها .. أو بما تيسر لها ، ادام الله النفعة والإنتفاع به للمسلمين ، ونسألك الدعاء ودعاء الامام العادل مستجاب ، ودعوة الأخ لأخيه على ظهر الغيب مستجابة ، ونحن ندعو لك تقبل الله منا ومنك ، وأعاننا وإياك علي رعاية الودائع ، وحفظ الشرائع والسلام عليك من كاتبة ابنك سعيد بن بابا بن سعيد بن الحاج عبدالرحمن إسماعيل بن محمد كورو الفلاني ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه والمسلمين آمين » (1)

الجوانب التي تكشف عنها هذه الرسالة

1- الأسلوب الذي كتبت به

2- الراسل والمرسل إليه وهو إمام تنبكت

3- هناك نظام الأحباس على المساجد في تنبكت وانها قد يقطع منها .. لفقراء المسلمين

4- اعتاد هذا الإمام أن يرسل في كل مناسبة لصاحب الرسالة صدقات ، وهذا يتضح من خلال النص بكلمات اعلم ان العادة التي عودتني

5- إمام تنبكت كان منتهجاً العدل والمساواة يوضح ذلك عبارة صاحب الرسالة للإمام حينما قال له دعاء الامام العادل مستجاب

6- صاحب الرسالة كان على درجة من التأدب امام الإمام لانه في الأخير يقول هل ابنك وكما توضح الرسالة ركاكة أسلوبه

---

(1) سعيد بن سعيد بن الحاج عبدالرحمن بن اسماعيل بم محمد كورد الفلاني يبعث برسالة الى الامام احمد بن محمد بن ابي بكر بخصوص احباس مساجد تنبكت مخطوط مكتبة الباحث ورقة واحدة تاريخ الرسالة حسب اتفاق عدد من باحثي مركز احمد بابا وخبير المخطوطات احمد سالم الشود وجبريل وكوري ان صاحبها كان على قيد الحياة مابين عام 1650الى 1710

7- يوضح النص الخواتم التي تختم بها الرسائل ، وهي الدعاء للإمام للمسلمين .

نكتفي بهذه النماذج من الرسائل في هذا المضمار لأنها كثيرة وتحتاج إلى دراسة مستقلة بذاتها .

إسهام عدد من علماء افريقيا في رسم سياسة الحكام

سبق الحديث عن علاقة بعض حكام افريقيا فيما وراء الصحراء ، متمثلة في الأسكيا محمد الكبير ، ببعض العلماء وتسخيرهم لرسم سياسة بلاده سنغاي ، فقد انتهج أسكيا الحاج محمد سياسة ترمي الى اشراك الفئة المتعلمة ، في مخططه السياسي ، وبعقلية جمعية يهدف من ورائها إلى إضفاء الشرعية على سياسته ، وتمرير مخطط . وقد وضعوا له مخططاته السياسية ، وتصدر هؤلاء العلماء محمد بن عبدالكريم المغيلي ، وجلال الدين السيوطي ، ومن هنا ظهرت علاقة السياسة بالدين ، وقد حصلت الفئة المتعلمة من جراء هذا الامتزاج على امتيازات جد مهمة ، لم تحصل عليها من قبل ولذلك آزرته ووصفت عهده من خلال كتاباتها بعصر الازدهار وانتصار الإسلام ، ومن هؤلاء العلماء القاضي محمود كعت ، الذي رافقه في رحلته إلى الحج ووظعه من بداية الرحلة في تمرير مخطط باضفاء لقب أمير المؤمنين عليه ، وقد مدح كعت الاسكيا الحاج محمد قائلاً :« وله من المناقب ، وحسن السياسة ، والرفق بالرعية ، والتلطف بالمساكين مالايحصى ولايوجد له مثل لاقبله ولابعده وحب العلماء والصالحين والطلبة ، وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل ، وكان من عقلاء الناس ودهاتهم والواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين ، واعانتهم على طاعة الله وعبادته ، وأبطل جميع ماهم عليه من البدع ، والمناكر ، والظلم ، وسفك الدماء وأقام الدين أتم قيام ، وأطلق كل من ادعى الحرية من إسترقاقهم ، ورد كل مال غصبه شيء إلى مواليهم ، وجدد الدين

وأقام القضاة والأئمة ، جازاه الله عن الإسلام خيراً (1) »

النص السابق يوضح كيف أن بعضاً من حكام إفريقيا فيما وراء الصحراء ، وفي مقدمتهم الاسكيا الحاج محمد استطاع إستمالة العلماء وجعلهم يتكلمون عن مخططاته بإسهاب ، وهكذا وجد من يتكلم على نجاحاته ويضخمها وحصل على من يدافع عن سياسته ، وعلى مايبدو أنه استفاد من تجربة من سبقه لحكم سنغاى ، وخاصة الملك سنى علي ، الذي لم يشرك العلماء في وسط المخطط السياسي ، فثاروا عليه ونعتوه بنعوت سيئة مثل الفاجر والمتسلط والكافر الخ..

لم يقتصر حكام افريقيا فيما وراء الصحراء في رسم مخططهم السياسي على العلماء المحليين ، بل تعدوهم الى اشراك علماء من توات، من أمثال محمد بن عبدالكريم المغيلي ، ومن مصر لجلال الدين السيوطي (2)

وقد كانت بين أسكيا الحاج محمد مراسلات مع المغيلي ، تصب جميعها في السياسة الشرعية ، وتضم سبع مسائل (3) وكذلك فتاوى السيوطي لعلماء التكرور ، ولقاء الأسكيا محمد في مصر ، والاستفسار عن عدة مسائل تهم سياسته ، وحصول الأسكيا على فتوى أنه أمير المؤمنين ، دعم بها ما ذهب إليه مفتى مكة بإطلاق لفظ أمير المؤمنين على السلطان اسكيا الحاج سبقت الإشارة إليها ، من هنا ندرك أن العلماء كانوا الركيزة الأولى والمهمة ، في إنجاح هذا المشروع .

والسؤال المطروح : لماذا اختار أسكيا الحاج محمد بن عبدالكريم المغيلي ، لتنفيذ المخطط السياسي ؟

(1) محمد كعت ، تاريخ الفتاش ،المصدر السابق 59

(2) عبدالرحمن السعدى ، المصدر السابق ص 73

(3) محمد بن عبدالكريم المغيلى ، اسئلة اسكيا واجوبة المغيلى ، المصدر السابق

نعتقد ان ذلك راجع إلى مكانة المغيلى العلمية ، والاجتماعية في افريقيا فيما وراء الصحراء وانه أحد شيوخ الزاوية القادرية ، بمدينة توات وبمناصرة المغيلي لأسكيا الحاج محمد ، يكسب من وراء ذلك تأييد شيوخ الطريقة لصالحه ، وبذلك تكثر شعبيته وبالاضافة لذلك يريد كسب ود سيدي عمر البكاي الذي ينتمي لقبيلة كنتة ذات النفوذ الروحي الواسع في المنطقة ، وفعلاً ، عندما توفي المغيلي عام 939هـ / 1532م خلفه على قيادة الزاوية القادرية سيدي عمر البكاي ، والمخطط الذي تقضي إشراك العلماء في الشؤون السياسية ، انتهجه بعض قادة السلطان المنصور الذهبي في افريقيا ، فكانت أول رسالة يحملها قائد الحملة المغربية جودر باشا ، من المنصور موجهة إلى سيدي محمد بن آد ،

والرسالة الثانية إلى قاضي تنبكت ، الشيخ عمر بن الشيخ محمود بن عمر بن اقيت (1) سبقت الإشارة إليهما في الفصل السياسي

ومن هنا ندرك أن العلماء في عدة فترات من تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء ، كانت لهم حضوة ومكانة في تسيير دفة أمور البلاد.

ان أهم تكريم ومنصب قلده الحاج محمد للعلماء ، هو منصب التعلم واعطاء الصلاحية لهم بالإشراف المباشر على منارات العلم ، والعبادة ، من حيث البناء ، وتعيين الأئمة ، وتنظيم أوقات التدريس ، وجلب الكتب ، ونسخها ، وتشجيع التأليف ، الأمر الذي مكن بعض العلماء من تكوين خزائن من الكتب فعالم واحد جلب لنفسه من مصر حملاً من الكتب سبق تناوله ، وفضلاً عن مهمة التعليم فقد مارس فقهاء البلاد وظائف أخرى منها

القضاء ويختص بالفصل في المنازعات ، التى تقع بين الناس وبذلك مارس القضاة السلطة بطريقة غير مباشرة ، وكان قضاة تنبكت من أشهر القضاة

(1) محمود الاروانى ،الترجمان ،مخطوط ورقة 9

(1) وهم :

القاضي محمد الكابري

القاضي عبدالرحمن بن أبي بكر بن الحاج ، تولى قضاء تنبكت في آخر دولة ملي ، توفى عام 900هـ / 1464م

القاضي سيدي محمود بن عمر بن محمد اقيت ، توفى عام 956هـ/ 1549م

القاضي محمد بن سيدي محمود ، عرف عنه العدل توفى عام 956هـ 1549م

القاضي العاقب توفى سنة 998 / 1580م

القاضي عمر محمود توفى بمراكش عام 1003هـ / 1594م

القاضي محمد بن أبي بكر أبولونكري كان حيا عام 1684م

القاضي عبدالرحمن بن احمد مغيا توفي سنة 1096هـ/ 1684م.

القاضي ابراهيم بن الفقيه عبدالله و كان قاضياً ليس له نظير توفي عام 1111هـ-1699 م .

القاضي أحمد كان عاماً قاضياً توفي عام 1160 / 1747م وغيرهم من القضاة (2)

من هنا نختتم الحديث عن الحركة الفكرية في افريقيا فيما وراء الصحراء لنخلص الى نتائج هذه الدراسة

---

1) lenis : I m: Islam In Tropical Africa : ox ford 1969 p27

Djibril tamsis Naine : Recherche sur L Empire su Mali au Moyen Ag: presense Africaine: paris 1975 1975 p 42

(2) احمد بابير الارواني الارواني السعادة الابدية مخطوط ورقة 62-63وعبدالرحمن السعدي ، المصدر السابق ص308

الخاتمة

ختاماً لهذه الدراسة ، فإن الباحث قد توصل إلى عدد من النتائج في الجانب الحضاري

أ- الجانب الإجتماعي :-

1 – أظهرت الدراسة ان منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء، تعيش فيها مجموعة من القبائل مختلفة الأجناس والديانات ، الإ أنها كونت لحمة إجتماعية فيما بينها لصالح منطقتها .

2- خلصت الدراسة إلى أن المجتمع الإفريقي يهيمن عليه نظام الطبقات

3- أثبتت الدراسة أن الطراز المعماري في بناء المنازل وأثاثيتها ، وخاصة في مدينة تنبكت وجنى وجاو واقدز ، مغربي السمات .

4- توصلت الدراسة إلى أن المنطقة تتمتع بموروث إجتماعي متنوع الاغراض والمقاصد منه فن الغناء والموسيقى وانتشار أسواق لفن القصة الروائى والمضحك

5- أفادت الدراسة أن هناك تأثيراً وتأثراً بين الفن المغربى الافريقي ، وانتقال آلات موسيقية مغربية مثل الغيطة إلى إفريقيا فيما وراء الصحراء ، وانتقال آلة الطبل من افريقيا الى المغرب .

6- أوضحت الدراسة أن المرأة الإفريقية كانت على درجة من المهارة في فن الطبخ ، وإعداد الحلويات وأن الوجبات التي تقدم مثل وجبة الكسكس ونحوها انتقلت من الشمال الإفريقي من المغرب وليبيا وتونس ، بل إن اعداد الكسكس في تنبكت اقرب الى المغرب منه الى باقي بلدان الشمال الافريقي ، وأن المغاربة ادخلوا وجبة العشاء الى المنطقة إذ لم تكن معروفة عندهم في إفريقيا فيما وراء

الصحراء .

7- أبانت الدراسة حدوث تزواج بين السكان الأصليين وسكان الشمال الافريقي

8- اثبتت الدراسة أن زي أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء تأثر بزي الشمال الإفريقي ،وخاصة المغرب الأقصى وليبيا .

9- أفادت الدراسة أن وجود عدد من الأديان في المنطقة ، أكثرها انتشار الإسلام

10- أظهرت الدراسة أن المغاربة أضفوا على الاحتفالات الدينية بمنطقة افريقيا تقاليد جميلة منها خروج الباشوات لتفقد الرعية في هذه المناسبات

11- أوضحت الدراسة ان عادت الزواج تختلف من منطقة لأخرى في بعض عاداتها . وأن قبائل الطوارق لهم عادات في ذلك تختلف عن بقية المجتمع الافريقي

12- بينت الدراسة أنه بدخول المغاربة للمنطقة حاولوا استحداث عادات جميلة في المجتمع السوداني ، من بينها تجميعهم لأبناء الفقراء وإقامة احتفالات لهم وختانهم الأمر الذي وطد عرى المحبة بينهم وبين السكان الأصليين

13- افصحت الدراسة عن وجود عدد من الأمراض منها ماتصيب الإنسان ومنها ماتصيب الحيوان ، مما يترجم على أن البيئة لم تكن في المستوى المطلوب من النظافة والرعاية الصحيحة

14- كشفت الدراسة أن الطب كان في تلك الفترة بدائيا إلى حد كبير

ب- العمران

15- أظهرت الدراسة الميدانية من خلال الإطلاع على المخطوطات التي لم تكن معروفة من قبل ، عددا من المدن والقرى بمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء

16- أفصحت الدراسة على أن عددا من المدن والقرى كان مؤسسوها مغاربة

ج- الحركة الفكرية

17- أبانت الدراسة وجود جامعة بالمنطقة كانت على درجة من التقدم العلمي ، بنيت على الطراز المغربي الإسلامي بأيد مغربية ليبية

18- اثبتت الدراسة أن مدينة تنبكت تمثل قلب الحركة الفكرية إفريقيا فيما وراء الصحراء وملتقى الحضارة العربية الإفريقية

19- أضافت الدراسة أن جل المناهج التعليمية بالمنطقة مغربية

20- أثبتت الدراسة أن جل الذين لعبوا دوراً في ازدهار المنطقة هم أساتذة من المغرب وليبيا

21- أفادت الدراسة أن مدينة فاس كانت ملاذاً للمتعطشين للعلم من أبناء إفريقيا فيما وراء الصحراء .

22- أثبتت الدراسة أن عددا من علماء الشمال الإفريقي المترددين على المنطقة شيدوا مساجد حملت أسماءهم .

23- أظهرت الدراسة أن أول الطرق الصوفية ، التي وصلت الى المنطقة هي القادرية والشاذلية وانبثقت عنها الطريقة العروسية التي ادخلها أحمد بن أحمد بن أقيت ، بعد أن تلقاها على يد العالم الليبي عبدالسلام الأسمر وعينه مقدماً لها في منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء .

24- بينت الدراسة انتشار المذهب المالكي في المنطقة

25- أبانت الدراسة ان القراءات التي كانت متداولة في المنطقة قراءة ورش وقالون عن نافع

26- افصحت الدراسة سيادة الخط المغربي في افريقيا فيما وراء الصحراء ، إذ لانجد مخطوطاً أو وثيقة الا وكتبت بالخط المغربي

27- بينت الدراسة أن التعليم في المنطقة كان منظماً إلى حد كبير ، كما استحدث التعليم المهني .

28- كشفت الدراسة عن ارتحال عدد من علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ، الى مراكز العلم بالشمال الإفريقي ومصر والحجاز بقصد طلب العلم وتصدر عدد منهم للتدريس في تلك المنارات

29- أظهرت الدراسة على الزخم الهائل من علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء ،ودورهم في عملية التطوير للعملية التعليمية وتأليفهم للكتب وشروحهم لمتون وحواشي علماء الشمال الإفريقي ومصر من أمثال عبدالرحمن السيوطي وغيره.

30- هيمنة المنهج الديني على المؤسسات التعليمية في افريقيا فيما وراء الصحراء .

31- كثرة التأليفات لعلماء المنطقة في النحو والفقه

32- أفادت الدراسة أن علم التشريح من العلوم التي كان يدرسها بعض علماء افريقيا في مؤسساتهم التعليمية

33- أثبتت الدراسة ازدهار المناخ الأدبي وتنوع أغراضه ومقاصده في المنطقة

34- أبانت الدراسة على أن المنارات العلمية الإسلامية في ذلك الوقت ، قد حققت نجاحاً باهراً ، في ربط الفكر الدينى الإسلامى بالحضارة الإفريقية في نطاق التأثير المتبادل ، دون حدوث نكسات أو أدنى مظهر للرفض ، من طرف الأفارقة الذين أصبح التراث العربي الإسلامي جزءاً من كيانهم

35- أفادت الدراسة اعتراف عبدالرحمن السيوطي بعلم المنطق ، وعدوله عن رفضه له لاقتناعه بما قدمه محمد عبدالكريم المغيلى في هذا العلم .

36- بينت الدراسة أن عددا من علماء افريقيا فيما وراء الصحراء ،كان لهم رحلات إلى الشمال الإفريقي والحج سجلوها بدقة

37 - أظهرت الدراسة إسهام عدد من علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء في رسم سياسة منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء .

المخطوطات

1ـ ابن أحمد عائشة محمد الكشاط بن الحسن بن محمد ، وثيقة عقد زواج ابنتها ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

2ـ ابن أيداه المختار ، في حق أحمد بابا التنبكتي ، عند سفره الى مدينة مراكش ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

3ـ ابن غونو أمن ، مجموعة تواريخ ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

4ـ ابن الشيخ محمد بن أحمد ، إجازة علمية في صحيح البخاري صادرة عنه الى محمد أحمد ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

5ـ ابن الصالح عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بابن فودي ، المسائل العشرة فيما به العمل ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

6ـ ابن الطاهر محمد تقي الله بن الشيخ سيدي أحمد ، إجازة على قراءة ورش وقالون ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

7ـ ابن فودي عثمان ، نور الألباب ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

8ـ ابن ليم جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غداد ، رحلة لأقدز ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

9ـ ابن محمد أحمد ، يبعث برسالة إلى الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد ، في شأن خلاف بين الفلان والطوارق ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

10ـ ابن محمد حنيفا بن أحمد سيدي البكاي ، حول بيع العبيد ، مخطوط

، نسخة أصلية ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

11ـ ابن المختار البكاي بن محمد ، رسالة في فضل التقوى ومضرة الفجور ، مخطوط مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

12ـ ابن موسى نوح بن الطاهر أبى بكر ، يبعث برسالة يتحدث عن تاريخ آسكيا ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

13ـ ابن مولاي الشريف إسماعيل ، الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

14ـ ابن مولود محمد فتوى في شأن عادة أهل ولاته في الزواج ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

15ـ ابن الحسن ابراهيم بن مالك ، فقهاء تنبكت ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

16ـ الأرواني أبو الخير بن عبدالله ، نبذة من تاريخ أروان ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

17ـ الأرواني أحمد بابير ، الجواهر الحسان في أخبار السودان ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف

18ـ الأرواني أحمد بابير ، السعادة الأبدية ، مخطوط ، ورقة 62ـ63 ، وعبد الرحمن السعدي ، المصدر السابق.

19ـ الأرواني محمد محمود ، الترجمان في تاريخ الصحراء وأوران ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

20ـ أقيت محمد بن عمر ، حاشية القومية على شرح الأجرومية ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

21ـ اندغ محمد المختار .3.القاضي ، قصيدة يمدح فيها السوقيين ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

22ـ الأيسي عبدالله بن يوسف بن إبراهيم بن عمر ، يسأل أحمد بابا التنبكتي ، مخطوط مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

23 ـ بابا أحمد الآلي السندسية في الفضائل السنوسية ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

24ـ باغو إبراهيم ، مسائل فقهية ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

25ـ البركوي محمد ، تاريخ مينو ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

26 ـ البرمونى كريم الدين ، مناقب عبد السلام الأسمر ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

27ـ البغطوري مقرين بن محمد ، سيرة أهل نفوسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

28ـ بغيغ محمود ،جواهر الاحسان في دعوة الإخوان ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

29ـ بغيغ محمد محمود ، فتوى بخصوص الإفطار فى شهر رمضان ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

30ـ بكدا لامين بن أحمد ، تاريخ أقدز ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

31ـ البلبلي الحاج محمد بن أحمد بن أبى بكر ، رسالة تجارية يبعث بها إلى عثمان بن الحاج محمد بن اعلي ، مخطوط ، مكتبة الباحث ،بدون تصنيف .

32ـ التكروري مود سال سوار ، قصيدة في مدح عبد القادر الجيلاني ، مخطوط ، مكتبة البحث ، بدون تصنيف .

33ـ التكني احمد بلعراف ، أهمية التاريخ وإزالة الريب والتفريط في ذكر

المؤلفين من التكرور ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

34ـ التنبكتي أبو سالم ، رحلته للأراضي المقدسة ، مخطوط مكتبة الباحث بدون تصنيف .

35ـ التنبكتي أبو عبدالله أحمد بابا الأمين ، المنح الحميدة في شرح الفريدة ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

36ـ التنبكتي محمد بن محمد بن الحسن ، كتاب في الإمامة والمعاملات اليومية ، مخطوط مكتبة الباحث بدون تصنيف .

37ـ التنواجيوي محمد السالك بن خي ، فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول في تاريخ الدول وأصول الأنساب ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

38ـ التواتي عبد الرحمن عمر ، فهرسة لأشياخه ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

39ـ الحضيري عثمان بن علي ، إجازة علمية ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

40ـ الحضيري عثمان علي ، مساجد أقدز ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

41ـ الحبيب محمد المبارك بن بابا سيدي أحمد ، إجازة علمية لحميد بن مرزوق ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

42ـ رقية بنت ، تبعث برسالة إلى زوجها الحاج عبدالله بن الحاج الصالح الوغلاني ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

43ـ الطرابلسي بوجمعة ، يبعث برسالة إلى أحمد بابا التنبكتي ، مخطوط ، مكتبة الباحث ،بدون تصنيف .

44ـ عمر عائشة بنت محمد الشطاخي ابنة مسعودة ، وثيقة عقد زواجها ،

مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
45- عائشة بنت محمد الشكاط ، عقد زواجها ص18 ملحق ، مخطوط ، مكتبة الباحث .
46- الفاسي محمد ، إجازة علمية ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
47- الفاسي ، أبو سالم سيدي محمد بن أحمد ، أركان البيع ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
48- الفاسي عبد القادر بن علي بن يوسف ، إجازة علمية صادرة عنه إلى أبي بكر االحضرى ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
49- الفزاني عثمان بن عبي بن أبي بكر الحضري ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .
50- الفلاني سعيد بن سعيد بن الحاج عبد الرحمن اسماعيل بن محمد كورد ، يبعث برسالة الى الإمام أحمد بن محمد أبي بكر بخصوص أحباس مساجد تنبكت ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
51- فودي عبدالله بن محمد ، ضياء التأويل فى معاني التنزيل ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
52- الكنتي محمد المختار بن أحمد ، الطرائف والتلائد فى كرامات الشيخين الوالدة والوالد ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
53- لامة بن أحمد ، تاريخ أقدز ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .
54- محمد بن عبد الرحمن السيوطي ، رسالة لأحد علماء التكرور ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .
55- مسعودة بنت محمد الشكاط ، وثيقة زواج ، مخطوط ، مكتبة الباحث

، بدون تصنيف .

56ـ مجهول، مكتوب في لفظ الضاد ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

57ـ مجهول ، أصل سلطنة برنوح ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

58ـ مجهول ، تذكرة النسيان ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

59ـ مجهول و تراجم علماء باغرام معمر القذافي لجمع التراث العربي الإفريقي ، بدون تصنيف .

60ـ مجهول ، جوامع التواريخ ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف

61 ـ مجهول ، حديقة البستان على تواريخ أروان ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

62ـ مجهول ، جواهر الحسان في تاريخ أروان ، مخطوط ، مكتبة الباحث ،بدون تصنيف .

63ـ مجهول ، رسالة الى محمد بن أحمد باباالتنبكتي نصح وإرشاد ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

64ـ مجهول ، قبور ومساجد أهير وأقدز ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

65ـ مجهول ، رسالة من أعيان تنبكت من بيضان وسودان إلى أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ ، الرسالة عبارة عن شكوى ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنف .

66ـ مجهول ، سلسلة القادرية ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

67ـ مجهول ، سؤال من أحد علماء السودان الغربي موجة إلى طالبن بن

سيدي الوافي بن محمد بن أحمد بن أد ، بخصوص بعض الممارسات المشينة ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

68- مجهول ، غرر المسائل ، أسئلة علماء جازولة ، أخذت من باب الجعل والإجازات والأكرمية والموزعية والمغارسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

69- مجهول ، مخطوط في الطب ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

70 - مجهول ، فتوى فى صلاة الجمعة فى أبو جبهة ، مخطوط ، مكتبة الباحث

71- المحجوبي أبو بكر بن أحمد المصطفى ، منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

72- مرحبا محمد محمد المفتي ، فتح الحنان المنان بجمع تاريخ بلاد السودان ، مخطوط مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

73- مرحبا محمد محمد المفتي ، التاريخ الخاص بالتواتر ، مخطوط ، مكتبة الباحث .

74- المغيلي محمد عبد الكريم ، منح الوهاب في رد الفكر للصواب ، دار معمر القذافي لجمع التراث العربي الإفريقي بجاور ، بدون تصنيف .

75- المغيلي محمد عبد الكريم ، يبعث برسالة إلى أمير كني ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

76- المغيلي محمد عبد الكريم ، قصيدة بشراك ياقلبي ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

77- مغيا ، يجيز إجازة علمية إلى محمد بن محمد الدرعي المهراوي ، مخطوط ، مكتبة الباحث بدون تصنيف .

78- النهر والي محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن أبي محمد شمس الدين بن حميد الدين قاضي كان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن

حسن بن علي ، إجازة في أسانيد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، صادرة عنه الى الحاج إبراهيم بن عبدالرحمن التكروري الجنوبى ، منحت في الأراضي المقدسة عام 988 هـ 1580 م ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

79ـ الهادي سيدي مولاي محمد ، الحقوق الاجتماعية للعبيد ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

80ـ الودلوي أحمد بن عبدالله ، يبعث الى البكاي ، يذكره بأمر ارسال جيش الى تنبكت ، مخطوط ، مكتبة الباحث ، بدون تصنيف .

المصادر

1ـ القرآن الكريم ، مصحف الجماهيرية ، رواية قالون عن نافع المدني.

2ـ ابن الأبار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاني ، المعجم فى أصحاب القاضي الإمام أبى علي الصدفي ، مجريد : مطبعة وخسن 1885 م .

3ـ ابن بطوطة أبو عبدالله عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر بدون تاريخ .

4ـ ابن عبد الحكم ، فتوح البلدان والاندلس ، نشر النص العربي والترجمة الفرنسية آلبيرت جاذي 1948 م .

5ـ ابن فودي محمد ، إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، الناشر الحالج طن أغي طابير يرو 1964 م.

6ـ البكري أبو عبيد عبيد ، كتاب المالك والممالیك ، حققه وقدم له أدريان فان آليومن و آندري فيري ، تونس الدار العربية للكتاب 1992 م .

7ـ التنبكتي أبو العباس سيدي بن عمر بن محمد بن أقيت بابا ، نيل الربتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبدالحميد الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الأسلامية ، بدون دار نشر 1989 م .

8ـ التنبكتي أحمد بابا ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، تحقيق أحمد مطيع .. محمد الخامس .

9ـ التونسي محمد بن عمر ، تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ومصطفى محمد سعيد ، مراجعة مصطفى زياد ، الدار المصرية للتأليف والنشر 1965 م .

10ـ الجزربي شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، بعناية ج جستر اسر القاهرة مكتبة الخانجي 1933 م .

11ـ الحسني أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحموي الإدريسي وكتاب نزعة المشتاق في اختراق الافاق ، بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، بدون تاريخ .

12ـ السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، باريس نشر هوداس وبنوه 1964 م .

13ـ السيوطي عبدالرحمن بن ابي بكر ، الحاوي للفتاوي ، القاهرة مكتبة القدس 1351 م .

14ـ الشفواني محمد بن عسكر الحسيني ، الناشر تحقيق محمد حجي ، الرباط ، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976 م .

15ـ الشنقيطي أحمد بن أمين ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، ط : 2 ، بعناية فؤاد سيد ، القاهرة مطبعة السنة المحمدية 1958م .

16ـ القلشقندي أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة المؤسسة للتأليف والنشر 1963 م .

17ـ كرنجال مارمول ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد ونبير وآخرون ، الرباط ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع 1984 م .

18ـ كعت محمد ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ،

باريس ، نشر هوداس وبنوه 1940 م .
19ـ مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول ، الدار البيضاء دار النشر المغربية 1985 م .
20ـ مجهول ، تذكرة النسيان ، باريس ، نشرة هوداس 1966 م .
21ـ المغيلي محمد بن عبد الكريم ، أسئلة الآسكيا وأجوبة المغيلي ، تحقيق عبد القادر زبادية ، الجزائر 1974م .
22ـ المغيلي محمد بن عبد الكريم ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1968 م .
23ـ المغربي أبو الحسن علي بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل المغربي ، بيروت ، مطبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر 1970 م .
24ـ المقري أحمد بن محمد ، روض الآس العاطر في ذكر من لقيه من أعلام الحضرتين مراكش وفاس 1983 م .
25ـ الوزان الحسن ،وصف إفريقيا ، ط : 2 ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، الرباط ، دار الغرب الإسلامي والشركة المغربية للناشرين المتحدين 1983 م .

المراجع

1ـ الألوري آدم عبدالله ، موجز تاريخ نيجيريا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة 1965 م .

2ـ جامعي عبد القادر ، من طرابلس الغرب الى الصحراء الكبرى ، ترجمة محمد الأسطى ، قدمه علي مصطفى المصراتي ، طرابلس ، دار المصراتى للطباعة والنشر والتوزيع 1974 م .

3ـ الجراري عباس ، ثقافة الصحراء ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1978 م

4ـ حجي محمد ، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، المغرب ، مطبعة فضالة 1977 م.

5ـ الدالي الهادي المبروك ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، اللجنة العلمية لدراسة جنوب الوطن العربي ، بيروت ، دار حنين للطباعة والنشر 1996م.

6ـ الدالي الهادي المبروك و عمار هلال ، الاسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا 1850 ـ 1914 م ، اللجنة العلمية لدراسة جنوب الوطن العربي بيروت ، دار حنين للطباعة والنشر 1996 م.

7ـ الدالي الهادي المبروك تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء من خلال الرواية الشفوية مرقون تحت الطبع .

8ـ الدالي الهادي المبروك ، من روائع أدب إفريقيا فيما وراء الصحراء ،

بيروت ، دار حنين للطباعة والنشر 1996 م .

9ـ دي فيج جي ، تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة وتعليق وتقديم السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجت رياض صليب ، القاهرة ، دار المعارف 1982م .

10ـ روكز يوسف ، إفريقيا السوداء ، سياسة وحضارة ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع 1986م .

11ـ زبادية عبدالقادر ، القرن 16 وبداية حركة التعليم في تنبكت ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر 1977م .

12ـ زبادية عبد القادر ، القرن 16 وبداية حركة التعليم فى تنكبب ، مركز التبادل الثقافي الأول مع المغرب ، حملة المؤرخ العربي 1980 ع 14 .

13ـ زناتي محمود سلام ، الاسلام والتقاليد القبلية في افريقيا ، بيروت ، دار النهضة العربية 1969 م .

14ـ عباس الجراري ، ثقافة الصحراء ، الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة 1978 م .

15ـ عبد القادر سيلا محمود ، المسلمون في السنغال ، متاب الأمة 1986 م.

16ـ العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983 م .

17ـ العمري أحمد سويلم ، الافريقيون والعرب ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية 1967 م

18ـ غانم عماد ومايكل محرز ومحمد الأسطى وآخرون ، الصحراء الكبرى ، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1976 م.

19ـ الغربي محمد ، بداية الحكم المغربي في افريقيا فيما وراء الصحراء ، بغداد ، دار الرشيد للنشر 1982 م .

20ـ قداح نعيم ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، مراجعة عمر الحكم ،

كوناكري 1969 م .

21ـ قداح نعيم ، حضارة الإسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية ، الجزائر 1957 م.

22ـ القشاط احمد سعيد ، التوارق عرب الصحراء ، ط:2 مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء ، ايطاليا ، كالياري ، مطابع اديتار 1989 م.

23ـ المامي عبد الرحمن عمر ، الدعوة الاسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل ، ط:5 الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 1989 م.

24ـ مقلد محمد يوسف ، موريتانيا الحديثة ، غابرها وحاضرها ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1960 م .

25ـ مايكور بما زكاري وديوبي كابور ويودي هادو و اخرون ، الحضارة الإسلامية في النيجر ، منشورات المنظمة الا سلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيكو ، الرباط ، مطبعة البيت 1994 م .

26 ـ محمود حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا ، القاهرة 1962 م .

المراجع الاجنبية

1. Assio clerici , Histoire des pepupies noire , paris 1921.

2. Barth Henrri , voyages et decouvertes dans 1 afrique Septenttrionae et centrai , vol I Paris 1860

3. Caillie Rene , Voyage a tombuctou , paris 1982 .

4. Cuoq Joseph , Recueil des souces Arabes concerant occidental du VIII AU XVI siecle , paris 1975 .

5. Dammam , E , les regions de L afriques , Traduit de L allemand par Jospin Lpayot , paris 1978 .

6. Delaffose , hante senegal – Niger .

7. De scamps Henri , Iatique precoinie Ala , paris

8. Dijibo malam Hamani .

9. Duboi F , Timbucto The my sterion . london sans date .

10 . Dupuis y , Industriers pricipales professions des Habitants de La regioı de Tombouctou , paris 1992 .

11. Hanani dijibo , Au carrrefour du soudan et Ka Berber,li sulanat Touarezl de layar , Institue de recherche en sience Humaines , Niamey 1989 .

12 . Hunwick , J . D . transactions of the historical journal of Ghana , vol VI 1964 .

13 . Gadot , vera , Belles page de listoire Africaine , paris 1916 .

14. Gouilli . A , Lisllam dans Lafrique occidantale Fransaise , paris 1952 .

15. Levis . I . M ,Islam in tropical Africa , oxford 1969.

16 . Lhote Henri , Les Touaregs du Hogions Ahmed Colin Editeur , paris 1984.

17. Luneau Rene et Levis Thomas , Les regions d afrique noire " textes " e traditions stock 1981

18. Moneil Charles , une cite soudanaise Djenne Metropole du delta central du Niger , paris 1931 .

19. Naine Tamsir Djibril , recherche sur I empire du Mali au moyen age presence Africaine , paris 1975 .

20. Zoubir A . Mahmoud , Ahmad Baba de Tombouctou 1556 – 1627 sa vie et son Oeuvre Maisonneur et Larose , paris 1977 .

21. Zoubeir . A Mahmoud , Abdoullah , Boularaf , sontre Ahmed Baba 1993 .



الشركة العامة للورق والطباعة
مطابع الوحدة العربية ـ الزاوية